جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم
قسم اللغــة العربيــة

رسالة ماجستير بعنوان

توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرُّمّاني والباقلاني

The Application of Rhetoric Research in AL- Qur'ans' Inimitability Between AL Rummani and AL- Baqilani

إعداد الطالبة:

سحر عطا الله محمد الحسبان

الرقم الجامعي:

٠٢٢٠٣٠١٠٠٧

إشراف الأستاذ الدكتور :

علي حسين البواب

العام الجامعي ٢٠٠٥/٢٠٠٦م

رسالة ماجستير بعنوان

توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرُّمّاني والباقلاني

The Application of Rhetoric Research in AL- Qur'ans' Inimitability Between AL Rummani and AL- Baqilani

إعداد الطالبة:

سحر عطا الله محمد الحسبان

الرقم الجامعي:

٠٢٢٠٣٠١٠٠٧

إشراف الأستاذ الدكتور :

علي البواب

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
أ.د علي حسين البواب	(مشرفا ورئيسا)	.....
أ.د يوسف أبو العدوس	(عضوا)	.....
د. حسين كتانة	(عضوا)	.....
د. إبراهيم أبو علوش	(عضوا)	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بـــإجازتها/ تعديلها/ رفضها بتاريخ:.....

الإهداء

إلى اللذين ربّياني صغيراً، وتحمّلا كثيراً من العناءِ والجهدِ في سبيل تعليمي، وإخراجي من ظلمات الجهل والأميّةِ إلى نور العلمِ والإيمان.

إلى زهرة أيامي التي ذهبتُ إلى مثواها الأخير دون رجوع، إلى ابتسامةِ أحلامي التي اختطفت مني دون سابق إنذار.

إلى النور الذي كان يُنيرُ دربي وما زال، إلى الأمل الذي كنت أرى الحياة من خلاله، يشقى ويتعب من أجل راحتي وسعادتي، إلى الذي خُلق ليكون قطعة من روحي فمزجت روحي ، بروحه ثم مضت تلك الروح إلى السماء.

إلى قرة عيني، وسُهاد أجفاني، إلى والدي المعطاء رمز الخير والحب - رحمه الله عز وجل.وأدخله فسيحَ جنانه - ، فلولاه لما وصلت إلى هذا المستوى التعليميّ فلقد أختاره الله قبل أن يرى ثمرة جهده، وشقائه.

إلى أمي ... نبع الدفء والحنان والأمان.

إلى الروح الطاهرة الأخرى روح أخي (علي) رمز الطيّبِ ودفء القلب - رحمه الله وأدخله فسيح جنانه - ...

إلى سندي إخواني وأخواتي، سمير، محمد، سميرة، أميرة، فاطمة....

أهدي إليهم هذا الجهد

شكر وامتنان

الشكر العظيم لله عز وجل الذي أعانني على إنجاز هذه الرسالة كما وأشكر المشرف الأستاذ الدكتور الفاضل علي حسين البواب، لما قدّمه لي من توجيه وإرشاد، وأعانني على إخراج هذه الرسالة بالصورة التي بين أيديكم.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لكل عضو هيئة تدريسية في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة آل البيت، الذين نهلتُ من علمهم ولم يبخلوا علىّ بشيء.

كما وأتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة.

والله ولي التوفيق

المقدمة:-

الحمد لله الذي علّم الإنسان البيان، وصلى الله وسلّم على من أنزل على قلبه القرآن بلسان عربي مبين.

وبعد،،،

فالقرآن الكريم كتاب الله عز وجل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم خبير، اشتملت آياته وسوره على أمور الدين والدنيا معاً، وانتظمت بذلك السعادة في الدنيا والآخرة، ونزلت هُدى ونوراً للبشرية كافة، فقضت على الأوهام والأساطير الكاذبة والعبادات الضالة، وأحالت الظلام ضياء، والشقاء سعادة، واليأس أملاً، والضلال هُدىً، والجهل علماً، ونقلت الإنسان من عصر تسوده الفوضى والطغيان والعبودية لغير الله، وسفك الدماء، إلى حياةٍ فيها الأمن والطمأنينة، والسلام والحرية، والعدل، والإخاء، والمعرفة والعلم.

وقد شغلت قضية الإعجاز القرآني فكر المسلمين قديماً وحديثاً، منذ نزول القرآن الكريم وتسلسل آياته على قلب النبي محمد ρ، فسحرت ألبابهم ببيانه وجمال رونقه، ووقفوا عند أشياء في القرآن الكريم استرعت انتباههم، وهي مضمون إعجازه وجماله في التعبير إلى حد الروعة، فخشعت لسماعه القلوب، وأقرّت الألسنة أمامه بالضعف.

وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال تحدي القرآن الكريم الإنس والجن كافة، أن يأتوا بمثله، أو بسورة واحدة، أو حتى بآيه، ولكنهم لم يقدروا، قال تعالى:- (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[1] صدق الله العظيم.

فهذا دليل على أن القرآن الكريم مُعجز إذ بلغ القرآن الكريم أقصى درجات البلاغة والفصاحة، فيزيد الإعجاز القرآني المؤمن إيماناً، وتُقام الحجة على المُعاند والمستكبر، الذي يجب عليه اتباعه وعدم معارضته.

---

[1] سورة الأسراء، آية ٨٨.

ولا شك أن البحوث والدراسات حول الإعجاز القرآني أسهمت بجهود طيبة، ولفتت الأنظار إلى جوانب الإعجاز البلاغي بعامة والبياني بخاصة، إذ عكف العلماء على دراسة الإعجاز بادئين بالجوانب البلاغية وما احتوى عليه القرآن الكريم من قيم بلاغية، وصور بيانية.

ويلاحظ أن الدراسات التي تناولت الموضوع إما أن تتحدث عن البلاغة العربية فقط، مثل دراسة الدكتور علي عشري زايد في "البلاغة العربية" وعن الإعجاز دراسة نعيم الحمصي في "فكرة إعجاز القرآن"، ودراسة علي البدري في "علم البيان في الدراسات البلاغية". وبالتالي لا توجد دراسة شاملة مستقلة حول توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرُّمَّاني والباقلاني تجمع بين هذين العلمين.

ولقد اهتم المتكلمون – معتزلة وأشاعرة – بالإعجاز القرآني، إذ إن الحياة الفكرية مبينة على تعاليم الدين الحنيف، والأعداء قد طعنوا في القرآن الكريم وفي نزوله وفي إعجازه، فدافع المتكلمون عن كل هذا، وتعرّضوا لقضية الإعجاز القرآني، ومن المتكلمين الذين اهتموا بقضية الإعجاز القرآني الرُّمَّاني (ت٣٨٦هـ) وهو من أعلام المعتزلة والباقلاني(ت٤٠٣هـ) وهو من أعلام الأشاعرة، وهما موضوع هذه الدراسة.

وقد استند كل من الرُّمَّاني والباقلاني إلى البلاغة في توضيحهم لبيان القرآن الكريم وإعجازه، ومن هنا فإن هذه الدراسة تجمع بين هذين العلمين لتسليط الضوء على قضية الإعجاز القرآني، ومعرفة سر هذا الإعجاز عند كل من الرُّمَّاني والباقلاني، والتعرف إلى كيفية توظيف كل منهما البحث البلاغي في إعجاز القرآن الكريم، وكذلك التعرف إلى الأمور التي اتفقا عليها أو اختلفا فيها.

وتقوم هذه الدراسة على تمهيد وثلاثة فصول؛ خُصص التمهيد للتعرف إلى آراء العلماء في إعجاز القرآن، والتعرف إلى الرُّمَّاني والباقلاني. أما الفصل الأول فقد تناول البحث البلاغي عند الرُّمَّاني، وتم التعرف إلى جهوده في البحث البلاغي، وأثر النزعة الاعتزالية عنده في الإعجاز.

وتناول الفصل الثاني البحث البلاغي عند الباقلاني، وتم التعرف إلى جهوده في البحث البلاغي، وأثر النزعة الأشعرية عنده في الإعجاز. والفصل الثالث اختص بدراسة الموازنة

بين الرُّمَّاني والباقلاني، ومعرفة الأمور التي تم الاتفاق عليها والاختلاف فيها، وذلك في معرفة أسرار الإعجاز القرآني. وختمت الدراسة بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وبعد،،،

فأتمنى أن أكون قد وفقت في تقديم شيء مما كنت أصبو إليه من دراستي، وهو إبراز أهمية البلاغة في الإعجاز القرآني، وبأن قضية الإعجاز القرآني تستحق منّا أكثر مما قدمنا، آملاً أن أصيب النجاح في مسعاي؛ فقد قدمت جهد المُقل ولا أدعي الكمال الذي هو لله وحده، غير أنني أرجو أن لا يفوتني أجر المجتهد، فأنال أجرين إن أصبت وهذا غاية الرجاء والأمل، أو أجراً واحداً إن أخطأت وجلّ من لا يُخطئ.

واسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً ويهدينا إلى سبيل الرشد والصلاح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
- الإهداء	ب
- الشكر	ج
- قائمة المحتويات	د
- الملخص باللغة العربية	هـ
- **المقدمة**	١
- **التمهيد**	٥
أ -آراء العلماء في إعجاز القرآن.	١٤
ب الرُّمَّاني والباقلاني.	٢٥
- **الفصل الأول:- البحث البلاغي عند الرُّمَّاني:**	٣٤
المبحث الأول:- جهود الرُّمَّاني في البحث البلاغي.	٣٦
المبحث الثاني:- أثر النزعة الاعتزالية عنده في الإعجاز.	٦٨
- **الفصل الثاني:- البحث البلاغي عند الباقلاني:**	٨٦
المبحث الأول:- جهود الباقلاني في البحث البلاغي.	٨٨
المبحث الثاني:- أثر النزعة الأشعرية عنده في الإعجاز.	١٣١
- **الفصل الثالث:- الموازنة بين الرُّمَّاني والباقلاني.**	١٣٢
- **الخاتمة.**	١٥٠
- **قائمة المصادر والمراجع.**	١٥٢
- **الملخص باللغة الإنجليزية.**	١٦٢

الملخص:-

تتناول هذه الدراسة قضية توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرُّمَّاني والباقلاني، وهما من أشهر العلماء الذين درسوا قضية الإعجاز القرآني، ومعرفة سره، ووجوهه، ويبرز لنا ذلك في رسالة الرُّمَّاني "النكت في إعجاز القرآن"، وكتاب الباقلاني "إعجاز القرآن".

إذ إن الوصول إلى سر الإعجاز القرآني، وفهم أساليبه الرفيعة لا يتم إلا عن طريق معرفة أساليب البلاغة وفنونها، وهذا ما تنوي هذه الدراسة البحث فيه عند كلّ من الرُّمَّاني والباقلاني، إذ ينبغي على الدارسين معرفة كتاب الله عز وجل، الذي هو مادة هذه العقيدة، ليردّوا عنه شبهات الخصوم من ناحية، وليظهروا ما فيه من وجوه الرفعة التي جعلته مُعجزاً يتحدى الجميع أن يعارضوه أو أن يأتوا بمثله من ناحية أخرى.

وتتكون هذه الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول، وقد تحدثت في التمهيد عن آراء العلماء في إعجاز القرآن الكريم، والتعريف بكلّ من الرُّمَّاني (ت٣٨٦هـ)، والباقلاني (ت٤٠٣هـ)، إذ اهتم أكثر العلماء بالنظم وهو وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهذا ما لاحظته عند الباقلاني، ولم تكن فكرة النظم غائبة عن ذهن الرُّمَّاني، وإن لم يصرح بذلك، فإننا نلمح هذا الأمر أثناء حديثه عن باب التلاؤم الذي يرى أنه: مراعاة تأليف الألفاظ بما يكون بينها من تلاؤم، وانسجام، وبُعد عن التنافر، ورأيناه يرد هذا التأليف إلى ثلاث طبقات بحسب ما يكون بين حروفه من ائتلاف وانسجام وبعد عن الهجنة.

وتم تخصيص الفصل الأول للحديث عن البحث البلاغي عند الرُّمَّاني، الذي حصر وجوه الإعجاز القرآني في سبعة وجوه، وهي ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

فالبلاغة عنده:- "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"، وهي على ثلاث طبقات، فأعلى طبقة في الحُسن هي بلاغة القرآن الكريم، وقد اهتم الرُّمَّاني اهتماماً كبيراً بالوجه الرابع من وجوه الإعجاز القرآني وهو البلاغة، فحصر البلاغة في عشرة أقسام

هي:- الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

وقد خصّص الرُمَّاني لكل قسم منها باباً منفصلاً ذكر فيه سماته البلاغية، مستشهداً بالآيات القرآنية.

إن سرّ الإعجاز القرآني عند الرُمَّاني يكمن في البديع، وفي وجوه البلاغة. ولقد تم الحديث عن أثر النزعة الاعتزالية عنده، إذ ظهر لنا ذلك من جمعه في رسالته بين الجانب الكلامي أو العقلي وبين الجانب البلاغي على طريقة المعتزلة؛ لأنهم كانوا يهتمون بالجانب الكلامي والجانب البلاغي معاً، وهو من أعلامهم، **وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين هما:-**

المبحث الأول:- جهود الرُمَّاني في البحث البلاغي.

المبحث الثاني:- أثر النزعة الاعتزالية عنده في الإعجاز.

أما الفصل الثاني فقد خُصّص لدراسة البحث البلاغي عند الباقلاني، الذي اهتم بالبلاغة؛ وذلك لمعرفة سر الإعجاز القرآني من وجهة نظره، فاهتم الباقلاني بالبحث في الإعجاز القرآني، إذ يرى أن وجوه الإعجاز القرآني ثلاثة هي: احتواء القرآن على نبوءات عن المستقبل، وذكر الحوادث الماضية، وقصص السابقين مع أن النبي عليه السلام أمي لا يقرأ ولا يكتب، ونظم القرآن وأسلوبه وبلاغته، وقد اهتم بالوجه الثالث وتوسع فيه، إذ إن سر الإعجاز القرآني يكمن عنده في النظم، فلا مزية للفنون البلاغية إلا من خلال نظمها وسياقها، وهو يرفض فكرة التوصل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق أقسام البلاغة العشرة التي حددها الرُمَّاني، وقد جعل هذه الوجوه سبيلاً للوصول إلى الإعجاز القرآني.

وتبين لنا أن الباقلاني قد ظهرت النزعة الأشعرية في كتبه؛ إذ إن البحث في الإعجاز القرآني يعتمد على الإقناع العقلي والجدل الكلامي، والاستناد إلى البلاغة، لهذا تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية فالأشاعرة اهتموا بالعقل للدفاع عن بساطة العقيدة الإسلامية كما فعل الباقلاني، **وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين هما:-**

المبحث الأول:- جهود الباقلاني في البحث البلاغي.

المبحث الثاني:- أثر النزعة الأشعرية عنده في الإعجاز.

كما خُصص الفصل الثالث للموازنة بين الرُّمَّاني والباقلاني، ومعرفة الأمور التي تم الاتفاق عليها والاختلاف في معرفة أسرار الإعجاز القرآني إذ تم التعرف على مقدمتي الكتابين عند كل منهما، كما تم البحث في وجوه الإعجاز عندهما، ثم تطرقت الدراسة إلى الحديث عن الصّرفة، والسجع، والمجاز، وبيان موقفهما منها، كما تم البحث أيضاً في أبرز المصطلحات التي استخدمها كل من الرُّمَّاني والباقلاني في عرض أفكارهما، والدفاع عنها.

وقامت الدراسة بعرض المنهج المتبع عندهما، وكيف كان للمفاهيم الفكرية دور كبير عندهما.

وفي النهاية ختمت الدراسة بمجموعة من النتائج التي خرج بها البحث، والتي توضّح أهمّ الأمور التي اختص بها كل من الرُّمَّاني والباقلاني لمعرفة سر الإعجاز القرآني.

التمهيد

تمهيد وتعريف

أ:- آراء العلماء فى إعجاز القرآن.

ب:- الرُّمَّانى والباقلانى

التمهيد:-

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعل فيه الرحمة والأمان، فكان معجزاً بنظمه ولفظه بما فيه من معان، خارقاً لعادة الإنس والجان، مقروناً بالتحدي ببلاغته والبيان، سالماً من المعارضة إلى يوم لقاء الواحد الدّيان.

وقبل الحديث عن آراء العلماء في إعجاز القرآن لابد من تعريف القرآن الكريم والإعجاز، ومعرفة سر الإعجاز القرآني.

القرآن الكريم:- هو كلام الله عز وجلّ، المُنزّل على سيدنا محمد ρ، بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المُتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، ولقد سمّاه الله عز وجلّ بأسماء كثيرة، منها: القرآن، والكتاب، والفرقان، والذكر[١].

وقرأ: تأتي بمعنى الضم والجمع، والقراءة ضم الحروف والكلمات إلى بعضها في الترتيل، ومعنى القرآن الكريم معنى الجمع، وسُمي قرآناً لأنه يجمع السور، فيضمها، والقرآن الكريم في الأصل كالقراءة، مصدر قرأ قراءة وقرآناً[٢].

قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)[٣]، فإن علينا جمعه وقرآنه، أي جَمْعَه وقراءته، فإذا قرأناهُ فاتّبع قرآنه، أي قراءتهُ.

ثم صار يستعمل في الكلام المنزل على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بلسان عربي مبين، المكتوب بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا بعد جيل، محفوظاً من أي تغيير أو تبديل مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٤].

---

[١] مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٢١-٢٢.

[٢] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، **لسان العرب**، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، ج١، ص١٢٨.

[٣] سورة القيامة، الآيتان (١٧-١٨).

[٤] سورة الحجر، آية (٩).

فالقرآن الكريم هو كلام الله الذي لا ينفد، حتى لو جُعلت أشجار هذه البسيطة أقلاماً لكتابته، وكانت البحار مداداً لهذه الأقلام ما نفدت كلمات الله، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[١].

لذلك كان هذا القرآن معجزة باقية بقاء الدهر لا تزول، إذ نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى، ومعجزة أدبية عظمى، وقف العرب أمامها مبهورين، ولم يكن إزاء هذه المعجزة إلا أن يرجعوا إلى أنفسهم لعلهم يجدون مخرجاً لهم، ولكن الحجة أعيتهم، ووقفت ألسنتهم، واحتبست أصواتهم وهم يسمعون إلى النبي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام وهو يبلغ الناس قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[٢].

ولقد نزل القرآن الكريم منجماً أي مفرّقاً على فترات، واستغرق نزوله عشرين سنة أو ثلاثاً وعشرين سنة، أو خمساً وعشرين سنة على خلاف حول هذه المدة، وهي الفترة التي أقامها الرسول الكريم بمكة منذ البعثة، ثم الهجرة، وفترة بقائه في المدينة المنورة.

ويشير العلماء إلى أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ونلاحظ أن الغاية من هذا الأمر هو تفخيم أمره، فلقد نزل القرآن الكريم جملة واحدة إلى السماء الدنيا ومن ثم نزل مفرقاً على سيدنا محمد ρ[٣].

ويتضح لنا أن النزول بهذه الكيفية إنما هو سمة من سمات الإعجاز، ليتم التأكيد على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، وليس من عند الرسول ε، وكذلك يحمل بين آياته المتفرقات معالجات لكل الأمور حتى يتفق مع الظروف والملابسات.

فالنبي عليه السلام لم يكن من أهل الكتابة والقراءة، فلو نزّل عليه القرآن جملة واحدة لجاز عليه الغلط والسهو مثلاً، ولقد نزلت التوراة جملة واحدة لأنها مكتوبة وكان موسى عليه السلام يقرؤها.

---

[١] سورة لقمان، آية (٢٦).
[٢] سورة البقرة، الآيتان (٢٣-٢٤).
[٣] السيد عبد الغفار، **القرآن الكريم تاريخيّته، ولغته**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص١٩-٢٠.

ونرى أن القرآن الكريم بما احتوى من آياتٍ بّينات ودلائل شاهدات لم يكن كتاب أمة واحدة أو قوم معنيين وإنما كان كتاباً للعالمين، (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً)[١]، وهو بهذه الصفة يجب أن يحتوي من دلائل الإعجاز الحاضر والمستقبل ما يظل يهدي إلى السبيل الأقوم، وهو كتاب فاق حد الإعجاز بما فيه من نظم وقوانين ومظاهر الخلق المعجز والإشارات العلمية المستقبلية والمعاني الباهرة، ودلائل التوحيد، ولا يدرك إعجاز القرآن إلا من تناهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقه ومذاهبه كما ورد عند الباقلاني[٢].

وقد نزلت الآيات القرآنية على النبي الكريم والعرب في قمة الفصاحة والبلاغة التي يُعرفون بها، ولهذا منّ الله عليهم بأن أنزل القرآن الكريم بلغتهم، ولما استمعوا إلى آياته لم يحيدوا عن قول الحق، فكان أن وصفه الوليد بن المغيرة بقوله: "إن له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر". وهذا دليل على أن القرآن الكريم في قمة الفصاحة والبلاغة.

والإعجاز مأخوذ من العجز والعجز لغة: كما ذكر ابن فارس (٣٩٥هـ) في معجم مقاييس اللغة:-العَجْزُ بمعنى: الضعف. نقول: عَجَزتُ عن الشيء، وأعَجْزتُ فُلاناً إذا وَجَدْتَهُ عاجزاً. وأعَجَزني، إذا وجَدَني عاجزاً عن طلبه[٣].

وذكر الجوهري (٤٠٠هـ) في الصحّاح أن:- العَجْزُ: الضعف. نقول: عَجَزتُ عن كذا أعْجِزُ بالكسر عَجْزاً ومَعْجِزَةً ومَعْجَزَةً ومَعْجِزاً ومعَجْزاً بالفتح أيضاً على القياس[٤].

وذكر ابن منظور (٧١١هـ) في لسان العرب:- العَجْزُ: نقيض الحَزْم، عَجَزَ عن الأمر يَعْجزُ وعَجِزَ عَجْزاً فيهما، ورجل عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجزٌ، والمَعْجِزَةُ والمَعْجَزَةُ: العَجْزُ ومعنى الإعجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، والعَجْزُ: الضعف[٥]. وأكد هذا المعنى الفيروز آبادي في

---

[١] سورة مريم، آية (٩٧).

[٢] محمد عللوه، **الإعجاز القرآني والتقدم العلمي**، دار الإشراق، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص١٣-١٤.

[٣] أحمد بن فارس بن زكريا، ت(٣٩٥هـ)، **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج٤، مادة عجز.

[٤] إسماعيل بن حّماد الجوهري (ت٤٠٠هـ)، **الصّحاح تاج اللغة وصحاحُ العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، ج٣، مادة عجز.

[٥] ابن منظور، **لسان العرب**، مصدر سابق، ص٣٦٩.

القاموس المحيط[١]، أما الزّبيدي فقال: إن العجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، وصار في العُرف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة[٢].

ونستنتج من هذا كله أن لفظ المعجزة اسم فاعل من المزيد مشتق من العجز المقابل للقدرة، فالمعنى المشترك لجميع هذه التعريفات اللغوية للعَجْز، والإعجاز، هو الضعف أولاً من طرف، وتحقيق الفوت والسبق للطرف الآخر.

وبمعنى أوضح:- إن المعجزة حقيقة لا تثبت عجز المعارضين وإنما تظهره فقط، وأما السبب الحقيقي في إثبات العجز هو الله عز وجلّ، فإطلاق الإعجاز على المعجزة من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب والتاء للمبالغة أو التأنيث[٣].

فالإعجاز اصطلاحاً:- قصور القدرة البشرية عن محاكاة القرآن والإتيان بمثله، والتعريف العام للمعجزة هو:- الإتيان بالأمر الخارق للعادة، مقروناً بالتحدي مُقراً بقصور القدرة الإنسانية، ويقوم حجة قاطعة في يد الأنبياء على صدق دعواهم في رسالاتهم السماوية[٤].

وإن إعجاز القرآن هو: العلم الذي يبين كيف أعجز القرآن جميع الخلق، وأقام عليهم الحجة، وذلك من خلال الحديث عن وجوه الإعجاز والتحدي في الكتاب الكريم، ودلالة هذا على صدق الرسول ρ.

والمعجزات إما حسية وإما عقلية، ومن الملاحظ أن أكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة باقية إلى يوم القيامة فقد خصّت بالمعجزة العقلية لكي يراها ذوو الأبصار[٥].

ويمكن القول هنا إن المعجزات الماضية كانت حسّية تشاهد بالأبصار: كناقة صالح، وعصا موسى، وأما معجزات القرآن فتشاهد بالبصيرة، والذي يُشاهد بعين العقل باق والذي

---

[١] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج٣، مادة عجز.

[٢] محمد مرتضى محمد الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج٤، مادة عجز.

[٣] سعد الدين السيد صالح، **المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٣١.

[٤] عمر السّلامي، **الإعجاز الفني في القرآن**، د.ط، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، ص٥٢.

[٥] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، د.ط، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، د.ت، ج٢، ص١١٦.

يشاهد بعين الرأس يزول ويذهب. فلابد هنا من معرفة وجوه الإعجاز القرآني كون القرآن الكريم معجزة النبي ρ[١].

ونقصد هنا بوجوه الإعجاز الأمور التي اشتمل عليها القرآن، وهي تدل على أنه من عند الله عز وجلّ، وما كان في استطاعة أحد أن يأتي بمثله، سواءٌ الجن أو الإنس، ولهذا اكتفى بعض العلماء بالإعجاز البياني، وجعله الوجه الوحيد في الإعجاز، الذي كان به تحّدي الكفار وقت نزول القرآن، ومنهم من أضاف للإعجاز البلاغي وجوهاً أخرى، مثل الإعجاز الغيبي، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز النفسي، والإعجاز العددي[٢].

فالإعجاز البياني يقوم على البيان والبلاغة والفصاحة، وهو الوجه البارز في الإعجاز؛ لأن العرب في العصر الجاهلي كانوا وقد وصلوا الذروة في مستوى الفصاحة والبلاغة.

ولقد قال قوم إن من وجوه الإعجاز القرآني ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة، وقال آخرون إنه ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول، أو من شاهدها وحضرها[٣].

ورأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب، وذهب أكثرهم إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة منها الإعجاز البياني، والعلمي، والتشريعي. ولكي نرجح أحد هذين الرأيين، لابد أن نتحدث عن التحدي ومراحله في القرآن الكريم[٤].

وتحدى القرآن الكريم أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، قال تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[٥]. فلم يستطيعوا يستطيعوا الإتيان بعشر سور فتحداهم بسورة واحدة من مثله (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[٦].

---

[١] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مصدر سابق، ص١١٦.
[٢] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **البيان في إعجاز القرآن**، دار عمار – عمان، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص١٣٥.
[٣] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مصدر سابق، ص١١٨.
[٤] فضل حسن عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط١، مكتبة دار الفرقان، إربد، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، ج١، ص١١٠.
[٥] سورة هود، الآيتان (١٣-١٤).
[٦] سورة البقرة، الآيتان (٢٣-٢٤).

وحاول بعض العلماء تفسير عجز العرب عن الإتيان بشيء من مثل القرآن، إذ نسبوا إلى النظّام من المعتزلة قوله بالصّرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضته مع قدرتهم عليها، وزعم آخرون أن العلة في إعجاز القرآن كامنة في إخباره عما يكون في مستقبل الزمان، وردّ الخطابي على هذا بأن الإخبار ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن فكل سورة معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق الإتيان بمثلها[١].

وأما القول بالصّرفة فهو باطل، ذلك لأنه لا أحد يستطيع الإتيان ولو بسورة واحدة من القرآن الكريم، ويقول الأكثرون من أهل النظر إن إعجاز القرآن هو في بليغ نظمه وبديع تأليفه، ويمكن القول هنا إن القرآن الكريم معجزٌ، والعُمدة في الإعجاز هو التحدي، وقد ذكرت عدداً من الآيات التي تُبيّن عجز البشر عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم حتى ولو بسورة واحدة. فالنبي عليه الصلاة والسلام تحدى العرب الذين هم قمة في الفصاحة والبلاغة، والغاية في الطلاقة، وقد عجزوا عن معارضته.

وقد قسّم هذا التحدي في ثلاث مراحل، هي[٢]:-

الأولى:- التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن كاملاً، قال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٣].

الثانية:- تحداهم بعشر سور من مثله، قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[٤].

الثالثة:- ثم تحداهم بسورة واحدة من مثله، قال تعالى:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ)[٥]. وكرر هذا التحدي في قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ)[٦].

---

[١] محمود أحمد نحلة، **في البلاغة العربية (علم المعاني)**، ط١، دار العلوم العربية، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١٢-١٣.
[٢] مَناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مصدر سابق، ص٢٥٩.
[٣] سورة الإسراء، آية (٨٨).
[٤] سورة هود، الآيتان (١٣-١٤).
[٥] سورة يونس، آية (٣٨).
[٦] سورة البقرة، آية (٢٣).

ونلاحظ هنا أن التحدي كان بالقرآن أولاً، ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة، وعلى الرغم من هذا فلم يستطيعوا، وهذا دليل العجز والإعجاز وهذا كقول رجل لغيره: هات قوماً مثل قومي، هات كنصفهم، هات كربعهم، هات كواحد منهم. فإنّ كل من توّافرت دواعيه إلى الشيء ولم يوُجد مانع منه، ثم لم يتمكن من فعله، فإنه يكون عاجزاً، لأنه لا معنى للعجز إلا ذاك[١].

ومن الإعجاز ما تحدّى به كل من سواه تعالى حيث يقول: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ، هَذَا خَلْقُ اللَّهِ، فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٢]. ويقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)[٣].

فإن التحدي بقدرته تعالى على من سواه أعظم معجزةٍ في القرآن الكريم، مع اختصاصه تعالى بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها سواه، فلا يستطيع أحد من الإنس والجن معرفة مفاتيح الغيب، إذ لا يعلم مفاتيح الغيب إلا الله عز وجلّ، وهذا واضح في الآيات الكريمة كما لوحظ.

وبالرجوع إلى قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ)[٤]. ففي كلمة (مفتريات) نلاحظ أن المطلوب عشر سور من مثل القرآن، في البيان والفصاحة كما ذكر سابقاً، ولكن ليس مثل سور القرآن الكريم في موضوعاتها، وعلومها، وقصصها، وأخبارها، فلقد أعفى القرآن العرب عندما تحداهم من الموضوع والمضمون والمعاني وطلبهم بالصورة والشكل والقالب، وطالبهم بألفاظ بليغة وبيان فصيح، وهذا رأي أنصار الإعجاز البياني، لكن من المعروف أن الإعجاز كامن بالقرآن كاملاً وليس بالألفاظ فقط[٥].

وفي هذا السياق نشير إلى بعض الآيات التي تضمنت التحدي والإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وهذه الآيات تُوجد في مواضع كثيرة في القرآن، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا

---

[١] يحيى بن حمزة العلوي اليمني، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت، ج٣، ص٣٧٠-٣٧١.
[٢] سورة لقمان، آية (١٠-١١).
[٣] سورة لقمان، آية (٣٤).
[٤] سورة هود، آية (١٣).
[٥] الخالدي، **البيان في إعجاز القرآن**، مرجع سابق، ص٧٨.

أسَاطِيرُ الأوَّلِينَ)[١]، فهذا قول كفار قريش الذي حكاه تعالى عنهم، وهذا كذب وافتراء ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه، بل إنهم يعلمون كذب أنفسهم[٢]، فلا يستطيعون الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقد قال الله عز وجل ردّا عليهم:- (قُلْ أنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ، إنَّهُ كَانَ غَفُورا رَحِيما)[٣].

ويمكن القول إن المُعْجزة الدالة على صدق نبوة سيدنا محمد ρ هو القرآن الكريم، ولكن هناك اختلاف بين العلماء في أي وجه من الوجوه تكمن المعجزة، هل لأنه خرق العادة بفصاحته وبلاغته، أم للصرفة، أم لوجه آخر، على الرغم من أن للنبي الكريم علامة خاصة على صدق نبوته وقعت في العقل موقع فلق البحر لموسى عليه السلام من العين.

وهذا قوله لقريش خاصة وللعرب عامة مع ما فيها من الشعراء، والخطباء، والبلغاء، وغيرهم، وذلك إن عارضوا النبي الكريم بسورة واحدة فقد كذب في دعواه وصدقوا في تكذيبهم، وهذا دليل عجزهم على الرغم من أن العرب على اختلاف عللهم، وكثرة عددهم، ومنازعتهم للخطباء، ولهم أصناف النظم وضروب التأليف كالقصيد والرجز وغيرها[٤].

فيلاحظ هنا أن عجزهم كان ظاهرا، مهما بلغوا قمة الفصاحة والبلاغة. فالتحدي وقع بالقرآن كاملاً، وما لم يكن معلوماً لم يجز التحدي به، وهذا مجموع كلام المتكلمين[٥].

فالقرآن الكريم اشتمل على بدائع المعاني التي عجزت الحكماء والفصحاء عن الإتيان بمثلها، فالتعجيز هنا ظاهر ظهور الشمس خصوصاً والقرآن الكريم يُقرأ عليهم، فلم يكن بليغ من بلغاء العرب يتصدى لمعارضة القرآن الكريم أو يتحداه، دلالة على العجز التام.

والدليل على ثبوت نبوة سيدنا محمد عليه السلام هو المعجزات، ومن آياته بناءً على هذا هو القرآن الكريم، ومن وجوه الإعجاز ما أختص به القرآن الكريم من الجزالة والنظم

---

[١] سورة الأنفال، آية (٣١).

[٢] محمد حسين سلامة، **الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢، ص١٠-١١.

[٣] سورة الفرقان، آية (٦).

[٤] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **رسائل الجاحظ**، قدّم لها وبوبها وشرحها علي أبو ملحم، ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص١٥٣-١٥٤.

[٥] الرازي فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، **أساس التقديس في علم الكلام**، دراسة محمد العربي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص١٢٩.

الخارج عن أساليب وكلام العرب جميعها[١]. وعندما نقول إن المعجز أمر خارق للعادة مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة، فيلاحظ أن كلمة (أمر) هنا لأن المعجز قد يكون إتياناً بغير المعتاد وقد يكون منعاً للمعتاد، أو خارقاً للعادة ليتميز به المدّعي عن غيره، وأما مقروناً بالتحدي فلكي لا يتخذ الكاذب معجزة مما مضى حجة له، وأما عدم المعارضة؛ فلكي يتميز به عن السحر[٢].

فأن للمعجزة شروطاً يمكن عرضها على النحو التالي:-

١ -أن تكون من فعل الله عز وجل، أو ما يجري مجرى فعله وإن لم يكن في نفسه فعلاً[٣].

٢ -أن يكون ناقضاً للعادة فيمن هو معجز له وحجة عليه، ليدل على صدق من ظهر عليه أصلاً[٤].

٣ -سلامتها من المعارضة.

٤ -أن تكون موافقة لقول مدّعيها.

٥ -التحدي بها.

٦ -أن يستشهد بها مدّعي النبوة على الله عز وجل.

٧ -تأخر الأمر المعجز عن دعوى الرسالة لأنه بمثابة الشاهد ولا يقوم الشاهد إلا بعد الدعوى[٥].

ويمكن القول:- إن القرآن الكريم اشتمل على علوم النحو، والصرف، والصوت، والبلاغة، والفقه، والتفسير، وغير ذلك من علوم الحياة، قال تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[٦]. فكان مبدأ العظمة في هذه الآية أن نوديت الأرض، ثم أُمرت وكان النداء بيا دون أي نحو: "يا أيتها الأرض" ثم قيل وغيض الماء، ولم يغض الماء إلا بأمر آمر، وقدرة

---

[١] الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت٤٧٨هـ)، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، تحقيق فوقية حسين محمود، راجع التحقيق محمود الخضيري، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص١٢٥.

[٢] الرازي فخر الدين محمد بن عمر، **مُحَصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**، تقديم سميح دغيم، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص١٥٧.

[٣] البغدادي عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت٤٢٩هـ)، **أصول الدين**، د.ط، دار زاهد القدسي،د.ت،ص١٧١.

[٤] الهمذاني عبد الجبار بن أحمد(ت٤١٥هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق أحمد بن أبي هاشم، وتحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٧م، ص٥٦٩.

[٥] علي أحمد مزاج علي، **الإعجاز والبيان في قصص القرآن**، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٧-٨.

[٦] سورة هود، آية (٤٤).

قادر وتأكيد ذلك بقوله: "وقضُي الأمر" وذكر فائدة هذه الأمور وهي: "استوت على الجـــودي" ومقابلة (قيل) في الخاتمة (بقيل) في الفاتحة[١].

فالقرآن الكريم مُعجز بنظمه البديع المخالف لنظم العرب، وبإخباره عن المغيبات في المستقبل التي لا يُطلع عليها إلا بالوحي، وبالتناسب في جميع ما تضمنه القرآن ظاهره وباطنه من غير أي اختلاف في ذلك.

أ. آراء العلماء في إعجاز القرآن

عرفنا أن القرآن الكريم معجزة معنوية، ينفرد العقل بمخاطبتها وإدراكها، وبناءً على هذا لم يكن فهم هذه المعجزة على درجة واحدة عند الناس جميعهم، وإنما كل إنسان يفهم منها قدر قوة إدراكه واستطاعته.

وهذا هو سبب اختلاف العلماء في معرفة وجوه الإعجاز القرآني، ولو أن هذه الآراء تتفق على أن القرآن معجز، لأنه حين نزل وتحدى العرب، في ظرف بلغوا فيه الـــذروة فـــي الفصاحة والبلاغة والبيان، فتحداهم القرآن أنهم يقدرون على أكثر من هذا وذلك إظهاراً للعجز وإبطالاً للحجة، وما زال القرآن الكريم يتحداهم صباحاً ومساءً، يقرع أسماعهم، مُعلناً في ذلك عَجزهم عن مُجاراة القرآن، حتى خرّت جباه رؤوسهم ساجدةً لفصاحة هذا الكتـــاب الجليـــل، وبلاغة أسلوبه ولطف معانيه، وبالتالي أقر هؤلاء القوم بأن فصاحة القرآن الكريم فوق كـــل فصاحة، وبلاغته فوق كل بلاغة، مُعلنين بذلك عجزهم عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، بل عجزوا عن أقصر سورة من سوره[٢].

إن اختلاف آراء العلماء الذين بحثوا في إعجاز القرآن الكريم كان فـــي وجـــوه هـــذا الإعجاز، أين وقع الإعجاز؟ وما وجوه هذا الإعجاز؟ هل القرآن معجز بلفظه أم بمعنـــاه؟ أم بكليهما؟ أو هل هو معجز بنظمه؟ أم إعجازه وقع بما أخبر به عن المغيبات المستقبلية؟ أو بما قص علينا من أخبار الأمم الماضية التي انطمست معالمها؟ أو أنه كان معجـــزاً بكـــل هـــذه الأمور؟.

---

[١] الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـــ)، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، صحح أصله الأستاذ الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، د.ط، مكتبة العـــالم، الجيزة، د.ت، ص٥٤.

[٢] عمر الملاحويش، **إعجاز القرآن وعلم المعاني**، د.ط، مكتبة الفلاح، الكويت، د.ت، ص١٣٥.

أم أن الإعجاز وقع بصرف الله عز وجل الناس عن الإتيان بمثله كما قال بعض العلماء، هذه هي معظم وجوه الاختلاف بين العلماء وآرائهم في الإعجاز، وهذا ما سأبحثه إن شاء الله في هذه الصفحات.

رأي النظّام في الإعجاز (ت٢٢١هـ):-

هو أبو اسحق إبراهيم بن سيّار المعروف بالنظّام، أحد أعلام المعتزلة، والمقدم من رجالهم، وهو أول من أفتى في مسألة الإعجاز برأي عُرف به، ونُقل عنه ذهابه إلى القول بالصرفة، أي أنّ عز وجلّ صرفهم؛ وذلك بأن صرف دواعيهم إلى المُعارضة مع توافر الدواعي إلى المعارضة، خصوصاً بعد التحدي، فكان يجوز أن يقدر العباد على التأليف والعجز لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم. كذلك ذهب النظّام إلى أن الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب[١].

وهذا الرأي يقوم على نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي ρ، ولا دلالة على صدقهِ في دعواه للنبوة، وإنما وجه الدلالة على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، أما النظم والتأليف فإن الناس قادرون على مثلهما، ولكن الله عز وجل صرف أذهانهم عن معارضة القرآن، ولو تركهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بمثله فصاحة وبلاغة، ولقد نسب ابن الروندي هذا القول إلى النظّام، وردّ الخيّاط على هذا القول إن النظّام يُقرّ بإعجاز القرآن نظماً وإخباراً[٢].

أمّا قول النظّام إن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن فهذا قول غير جائز، وعجباً لقول النظّام في الإعجاز على الرغم من مكانته في فصاحة اللسان، والبصر بجواهر الكلام، والبلاء في الدفاع عن الإسلام. **ويبدو أن هذا الرأي صادر عن عقيدتين في نفسه هما:-**

أولاً:- عقيدته في التوحيد، والعدل على مذهب المعتزلة، ونفي صفات الله عن ذاته، ومن ثم فلا كلام لله في الشكل اللفظي المعهود من الخلق، وإنما كلام الله وحي وإلقاء في الروع.

---

[١] الأشعري علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلين**، هلموت ريتر، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٢٢٥.

[٢] البغدادي عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق مُحي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص١٤٣.

ثانياً:- مذهبه القياسي التجريبي الطبيعي في التفكير، وتزمته في تطبيقه على القرآن وبيانه، ولم يكتب لرأي النظّام الذيوع والانتشار، وأول من خرج على النظّام تلميذه (الجاحظ)[١].

ويلاحظ هنا أن خصوم المعتزلة والنظّام بخاصة يتجاهلون عادة ربطه للإعجاز بإخبار النص عن الأمور الماضية والتنبؤ بأمور تحدث في المستقبل، ومن اللافت للنظر أن هذا الرأي لا ينكر الإعجاز، إذ يمكن تفسير هذا الشيء بمصطلح الصرفة الذي شاع بعد ذلك، فالنظّام يجعل المعجزة أمراً واقعاً خارج النص ويرتبط بصفة من صفات قائل النص وهو الله عز وجل، وانطلاقاً من مبدأ التوحيد الذي اهتم به المعتزلة وحرصوا على تأكيده، فهنا تصور النظّام والمعتزلة للنص بأنه كلام، وبأنه فعل من أفعال الله التي ترتبط بوجود العالم، فكان من المهم التمييز بين الكلام الإلهي والكلام البشري، ولكن تصورهم لكلام الله جعل التمييز بين الكلامين من جهة المتكلمين لا من جهة الكلام ذاته[٢].

ومن هنا انتقلت قضية الإعجاز من مجال العدل – مجال الأفعال – إلى مجال التوحيد، ومفارقة الصفات الإلهية إلى صفات البشر، وإن قدرة الله عز وجل لا تغالبها قدرة فإن (العجز) الذي يشير إليه النص في تحديه للعرب بأن يأتوا بمثله، كان عجزاً ناتجاً عن تدخل القدرة الإلهية؛ لمنع العرب من التحدي، وهذا ليس إنكاراً للإعجاز القرآني بل هو تفسير له خارج إطار علاقة النص بغيره من النصوص الأخرى.

رأي الجاحظ في الإعجاز (ت٢٥٥هـ):-

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الذي أثبت الإعجاز للقرآن الكريم، وأرجعه إلى بلاغته الساحرة، وخصائصه البيانية الرائعة، ونظمه العجيب وفصاحته الباهرة، فالقرآن في الذروة الأولى من البلاغة، وفي القمة من الإعجاز، ولقد تحدوا به ولم يقدروا، وسُجّل عليهم العجز عن معارضته والاعتراف ببلاغته[٣]. وهذا رأي جميل وصائب؛ فالقرآن الكريم كله معجز وليس الألفاظ معجزة دون المعاني، أو المعاني معجزة دون الألفاظ.

---

[١] محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، تقديم محمد خلف الله أحمد، ط٣، دار المعارف. د.ت، ص٧١.

[٢] نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النص دراسة في علوم القرآن**، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٤٥-١٤٦.

[٣] الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، مصدر سابق، ص١٥٣-١٥٥.

رأي الخطابي في الإعجاز (ت٣٨٨هـ):-

هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، عاش في القرن الرابع الهجري وكان في عصره آراء واضحة في الإعجاز وهذا العصر هو عصر الخطابي، والرُّمَّاني، إذ ظهر رأيان خارج الأسلوب القرآني أو خارج النص، هما:- عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم مع ما اجتمع لهم من أسباب التفوق في الفصاحة والبلاغة والبيان، ويقول هنا الخطابي عن هذا الرأي إنه أيسر الوجوه مؤونة وذلك لمن لم يفتش عن أسرار الإعجاز القرآني[١].

ثانياً: القول بالصرفة، وهي فكرة النظّام كما أسلفنا سابقاً ومن شايعه، ففيه نوع من الإعجاز الخارج على مجرى العادة الناقض لها؛ ولقد اعترف الخطابي بأن الصرفة وجه قريب للإعجاز، ورأى أن دلالة آية الإسراء تنقضه في قوله تعالى: (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[٢]، فقد أثبت للثقلين تكلفاً واجتهاداً، وتم التحدي بأسباب ممهدة، ولو كان صرفاً لما كان للتحدي ثمرة.

وهناك رأيان في الإعجاز متصلان بذات القرآن الكريم، الإخبار عن الغيوب المستقبلية، كغلبة الروم، ونصر بدر.

أمّا الرأي الذي ارتضاه الخطابي فهو الإعجاز البلاغي، فالخطابي يريد لوناً من المعالجة الشاملة للقرآن الكريم، لذلك لم يرتض بدء المفاهيم المبهمة التي امتلأت بها كتب السابقين، ودليله على هذا أن هذا الشيء لا يقنع، ولا يشفى من داء الجهل به[٣].

فمن أسرار الإعجاز القرآني عند الخطابي الجزالة، والسهولة، فقسم أجناس الكلام المحمود إلى ثلاثة أقسام: البليغ الرصين الجزل، والفصيح القريب السهل، والجائز الطلق المرسل.

ومن أخطر ما توصل إليه الخطابي في قضية الإعجاز هو أن بلاغة القرآن تكمن في اللفظ والمعنى والنظم، وإذا تأملنا القرآن الكريم نلاحظ أن هذه الأمور مجتمعة في غاية الشرف، فلا نرى لفظاً أفصح من الآخر أو أجزل منه، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً من نظمه، أما المعاني فلا تخفى على ذي عقل إذ أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها.

---

[١] الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، حققها وعلق عليها محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م، ص٢٢-٢٣.

[٢] سورة الإسراء، آية (٨٨).

[٣] الخطابي، **بيان إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٤.

رأي عبد القاهر الجرجاني في الإعجاز (ت٤٧١هـ):-

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجُرجاني، سار على نهج الجاحظ في تفسير الإعجاز القرآني، ودافع عن إعجاز القرآن الكريم، وأرجعه إلى خصائص النظم العربي ودقائقه وما تجدد بالقرآن الكريم من عظيم المزية، وباهر الفضل في الوصف، حتى أعجز العرب والخلق قاطبة، يقول عبد القاهر الجُرجاني: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجارى ألفاظه ومواقعها، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعَشْراً عَشْراً وآية آية. فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور"[١].

ويلاحظ هنا أن الألفاظ الموجودة في القرآن الكريم متسقة مع بعضها بعضاً، ولا يستطيع أحد أن يبّدل كلمة مكان الأخرى، فكل لفظ له معناه الخاص به، والقرآن معجز بنظمه العجيب والباهر.

رأي الزمخشري في الإعجاز (ت٥٣٨هـ):-

هو محمود بن عمر الزمخشري، يرى أن القرآن الكريم معجز من جهتين من جهة إعجازه بنظمه، فلقد اتصف القرآن بما ذكر من التأليف، فكان مؤلفاً منظماً من مفردات وجُمل على أحسن وجوه البلاغة، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب[٢]، ويستشهد الزمخشري بقوله تعالى: (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)[٣]، وهذا من الإعجاز، لأنه إخبار بما سيكون وقد كان.

ويلاحظ هنا اتفاق كل من الجاحظ، والجُرجاني، والخطابي، والزمخشري بأن النظم وجه من وجوه الإعجاز.

رأي السكاكي في الإعجاز (ت٦٢٦هـ):-

---

[١] الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، مصدر سابق، ص٤٩-٥٠.

[٢] الزمخشري محمود بن عمر، **الكشّاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجُوه التأويل**، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ج١، ص٥-٦.

[٣] سورة الحجر، آية (٩١).

هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، صاحب كتاب "مفتاح العلوم"، يقول السكاكي هنا: إن القرآن معجز بالنظم؛ وهذا يذكرنا برأي عبد القاهر الجرجاني في الإعجاز، ويرى ما يراه الجرجاني: بأن الإعجاز قد يُدرك بالذوق، وطول خدمة علم البلاغة، وممارسة الكلام البليغ والفصيح.

كما يقول السكاكي: إن القرآن الكريم يدرك ولكن لا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن، تدرك ولكن لا يمكن وصفها[١].

رأي ابن أبي الإصبع في الإعجاز (ت٦٥٤هـ):-

هو أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع، قد ألف في بلاغة القرآن كتابه: "بديع القرآن"، وكتابه "تحرير التحبير"، ويرى أن القرآن بليغ بألفاظه وأسلوبه وتراكيبه وأثره، ويزيد أن القرآن بليغ بما فيه من التراكيب البديعية التي يعرفها العرب والمتكلمون بالعربية[٢]، ويلاحظ هنا أنه يخالف عبد القاهر الجرجاني، والباقلاني في رأيهما الذي يقولان فيه: بأن وجود الأنواع البديعية في القرآن غير دال على إعجازه.

رأي حازم القرطاجني في الإعجاز (ت٦٨٤هـ):-

هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني الأنصاري، صاحب كتاب "منهاج البلغاء"، إذ يقول إن وجه إعجاز القرآن من حيث إنه استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها استمراراً لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر، وكلام العرب ومن تكلّم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها إلا في الشيء اليسير والمعدود[٣].

رأي الزركشي في الإعجاز (ت٧٩٤):-

هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، صاحب كتاب "البرهان في علوم القرآن"، وهو يرى أن إعجاز القرآن وقع في تلك الوجوه جميعها التي تحدث عنها العلماء في

---

[١] السكاكي يوسف بن أبي بكر محمد (ت٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، علق عليه نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٤١٦.

[٢] ابن أبي الإصبع أبو محمد بن عبد العظيم بن عبد الواحد (ت٦٥٤هـ)، **بديع القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، ص٥٦.

[٣] أبو الحسن حازم القرطاجني، **منهاج البغاء وسراج الأدباء**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٣٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٣٨٩-٣٩٠.

الإعجاز، وليس في وجه واحد منها، فهو لم يحدد وجهاً واحداً، بل ذكر أن إعجاز القرآن ليس وجهاً واحداً بل وجوهاً كثيرة، منها الروعة التي يشعر بها القارئ عند القراءة وتدبر الآيات، ومنها أنه لم يزل غضاً طرياً في أسماع السامعين؛ ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة [١].

ويمكن القول: إن وجوه الإعجاز في مجملها عند العلماء الباحثين تنحصر في أربعة أوجه هي:- ١- النظم. ٢- الإخبار عن الغيوب. ٣-الإعجاز النفسي.
٤- الإعجاز العلمي[٢].

فالإخبار عن الغيوب يشمل غيب الماضي والمستقبل، كما ذكر سابقاً وأذكر هنا دليلاً آخر مستشهداً بالقرآن الكريم قال تعالى: (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)[٣]. إن الإخبار عن الغيوب إنما ظهر وقت نزول المائدة وذلك لأن القوم كانوا يخزنون ويدخرون، فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بذلك[٤].

ويلاحظ هنا أن عدداً من العلماء اتخذ الإخبار وجهاً من وجوه الإعجاز مثل الزمخشري، فالإخبار عن الغيوب كما في الآية الكريمة يعدّ معجزة.

وهكذا كان البحث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم سبيلاً وطريقاً للوقوف على البلاغة العربية بعلومها المختلفة، إذ دعاهم البحث في الإعجاز إلى الخوض في البحوث البلاغية، فأخذوا يدرسون فنون البلاغة العربية كي يقفوا على سر الجمال في التعبير القرآني، ولكشف النواحي التي من أجلها عجز العرب عن أن يأتوا بأقصر سورة في القرآن الكريم.

وهكذا فالغاية الأولى هي البحث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، والبلاغة هنا لها غاية دينية في إثبات الإعجاز، إذ إن إدراك إعجاز القرآن ينبغي أن يقوم على الاقتناع بالحجة والبرهان، وعلم البلاغة هو الذي يقدم ذلك البرهان[٥].

فلا يوجد اختلاف بين البلاغيين والنقاد في أن البلاغة نشأت أول الأمر فطرية ساذجة، لم يدرسها العرب في كتب ولم يتلقوها عن أساتذة، وقد بلغت البلاغة رشدها، وحققت

---

[١] الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ج٢، ص١٠٦-١٠٧.

[٢] أحمد سيّد محمد عمار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٩٨-٩٩.

[٣] سورة آل عمران، آية (٤٩).

[٤] الرازي فخر الدين محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٣٢ جزءاً**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج٨، ص٥١.

[٥] بدوي طبانة، **البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى**، ط٧، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، د.ت، ص٢٦.

غاياتها في كتاب عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" حيث جمع الجرجاني بين العلم والذوق[١].

ومن الملاحظ أن فساد الأذواق، وانحراف الملكات، بعد اتساع الفتوحات الإسلامية وامتزاج العرب بالشعوب الأخرى، إذ ظهر هذا الفساد نتيجة هذا الامتزاج في الألسنة والطباع فكان هذا من البواعث على تدوين أصول البلاغة العربية؛ وذلك لتكون ميزاناً سليماً توزن به بلاغة الكلام، ولتمنع هذه الأصول البلاغية الأدباء من الوقوع في الخطأ والالتزام بالمنهج الصحيح.

ويمكن القول هنا إن هناك طريقين لفهم ومعرفة الصلة بين البلاغة ودراسة الإعجاز القرآني:-

الطريقة الأولى:- هي أن البلاغة في حدودها وأصولها استقرئت من خلال النصوص، فلها صلة بالنص، والبلاغة قبل نزول القرآن الكريم بلاغة تطبيقية في النصوص من الشعر والنثر. وبعد نزول القرآن الكريم كان النبي عليه السلام يفسر للناس ما يريدون ويوضح لهم الغامض.

الطريقة الثانية:- أصبحت البلاغة من مواطن دلائل إعجاز القرآن الكريم وعندما امتدت الفتوح الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فتطلّب الأمر علوماً تساعد على فهم القرآن الكريم فنهض العلماء للقيام بذلك عن طريق التأليف، فترعرعت علوم البلاغة العربية؛ خدمة للقرآن الكريم[٢].

والبلاغة في اللغة تعني الانتهاء والوصول، نقول: بلغ، والبُلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كانَ أو زماناً أو أمراً من الأمور المُقدرّة[٣]. وقيل بَلَغَ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قولٌ بليغ، وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة[٤].

---

[١] فتحي عبد القادر فريد، **بحوث ومقالات في البلاغة**، ط١، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص١٥، ٦٨.

[٢] محمد بركات حمدي أبو علي، **البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل**، ط١، دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٩٥.

[٣] الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص٧٦.

[٤] الزمخشري محمود بن عمر (ت٣٥٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٥٠.

وهكذا أرى أن مصطلح البلاغة في المعاجم العربية يعنى الوصول إلى الشيء والانتهاء إلى الغاية، إذ نقول:- بلغت المكان إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغاً بحق المقاربة[١]، قال الله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)[٢].

فالبلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها الصحيح[٣]. إذ يلاحظ هنا أن البلاغة صفة المتكلم، والفصاحة صفة الكلام، ويجب أن نبتعد في البلاغة عن الإيجاز المخل، والتطويل الممل.

أما الفصاحة:- فهي خلو الكلام من التعقيد، الذي لا يفهم بسببه المراد[٤].

وعناصر البلاغة إذا لفظٌ، ومعنى، والتأليف للألفاظ يمنحها قوةً وحسناً، ثم الدقة في اختيار الكلمات والأساليب حسب مواطن الكلام[٥].

ويمكن القول:- إن البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب وكثيراً ما نسمي ذلك فصاحة أيضاً، وهذا مُراد الشيخ عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"[٦]، وخير تعريف للبلاغة هو تعريف أبي هلال العسكري، البلاغة: "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[٧]. ونرى هنا أن هذا التعريف واضح ومفهوم وهو لب البلاغة والبيان.

وعلوم البلاغة ثلاثة هي:- المعاني والبيان البديع، **وعلم المعاني:**- هو تتبع خواص تراكيب الكلام؛ وذلك ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تأدية المعنى المراد، **أما علم البيان:**- فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ مطابقة الكلام، لتمام المعنى المراد منه،

---

[١] عوض بن معيوض الجميعي، "**البلاغة العربية وعلم الأسلوب**"، مجلة كلية اللغة العربية، عدد١٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٦٣.

[٢] سورة الطلاق، آية (٢).

[٣] السكاكي، **مفتاح العلوم**، مصدر سابق، ص٤١٣.

[٤] الرازي فخر الدين محمد بن عمر، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي، د.ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٤٠.

[٥] علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة (البيان والمعاني البديع)**، تدقيق أشرف محمد عبد، ط١، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٩.

[٦] القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان البديع)**، تحقيق عبد القادر حسين ، د.ط، مكتبة الآداب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٣٢.

[٧] العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ)، **الصناعتين**، تحقيق مفيد قمحية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص١٩.

أما علم البديع:- فهو ما يُعرف به وجوه تحسين الكلام، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى مثل: المطابقة، وقسم يرجع إلى اللفظ مثل: التجنيس[١].

ومن الملاحظ بأن هذه العلوم الثلاثة:- (المعاني، والبيان، والبديع)، لم تظهر إلى الوجود دفعة واحدة، بل على فترات متوالية، ولقد تعاقب عليها الكثير من أدباء الأمة الإسلامية وعلمائها على مر العصور والأزمان.

وتأخر علم البديع لا يعني ذلك أنه ليس علماً مستقلاً، وإلا لم يكن كثير من العلوم علماً على حدة، ففائدته هي إظهار رونق الكلام وحسنه العرضي[٢].

ويمكن القول هنا إن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين لنا مراتبها، ويكشف لنا عن صورها، ويبرز لنا مكنون ضمائرها، وبهذا أبان الله عز وجل الإنسان من سائر الحيوان. فلولا (علم البلاغة) لم تتعد فوائد العلم عالمه، ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها، ولوقع الحي الحساس في مرتبة الجماد، ولما ظهر الفرق بين المدح، والذم، والتهجين. فالوصف الخاص به هو الذي يُرينا المعلومات بأوصافها التي وجدها العلم عليها، ويقرر لنا كيفياتها[٣]، وتبرز لنا هنا أهمية علم البلاغة كما هو ملاحظ وتؤكد لنا هذه الأهمية قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[٤].

وأرى أن البلاغة هي تخيّر اللفظ في حسن الإفهام، وكانت الغاية التي اتجه من أجلها العلماء إلى البحوث البلاغية هي:- فهم إعجاز القرآن، فقد أدركوا أنه لا سبيل للوصول إلى سر القرآن، وفهم أساليبه الرفيعة إلا بطريق البلاغة، وهذا شجّع البحث في بلاغة القرآن، وظهور الفنون البلاغية، فهذا أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري الذي هو موضوع البحث في الفصل الثاني يبين لنا أن البحث في إعجاز القرآن وبيان طرق بلاغته أحق من التصنيف في دقيق الكلام[٥].

ومن هذا كله استنتج أن القرآن الكريم بلغ أقصى درجات البلاغة والفصاحة إلى حد أننا لا نجد في اللغة العربية كلمة واحدة تحل محل الكلمة القرآنية بكمالها وجرسها وما تعطيه

---

[١] السكاكي، **مفتاح العلوم**، مصدر سابق، ص٤٢٣-٤٢٩.

[٢] الحلي عبد العزيز بن سرايا (ت٧٥٠هـ)، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، تحقيق نسيب نشاوين ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٣.

[٣] الجرجاني، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق محمد رشيد رضا والشيخ أسامه صلاح الدين، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص٩-١٠.

[٤] سورة الرحمن، آية (١-٤).

[٥] حمزة الدمرداش زغلول، **نشأة الفنون البلاغية**، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٧، ١٥.

من معنى، ومناسبة لما قبلها وما بعدها، لا فرق في ذلك بين آية وآية، ولا بين سورة وسورة فقد انبهر العرب بقليل القرآن الذي نزل قبل أن يكتمل، وهذا دليل قاطع على أن كل آية قرآنية بلغت أرقى درجات البلاغة والفصاحة التي لا يستطيع أحد أن ينكر هذا.

وقد نشأ علم البلاغة في أحضان المتكلمين وبخاصة المعتزلة، وازدهر في هذه البيئة، ونضج على أيدي المعتزلة من أمثال: الرُّمَّاني الذي هو موضوع بحثي في الفصل الأول، الذي ساعد على هذا اطلاعهم على الثقافات والمعارف العربية والأجنبية.

وقد كان الدرس البلاغي عند المعتزلة خاضعاً للمجاز، وهو موجود في اللغة العربية ومن ثم فهو موجود في القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ولا يوجد تعارض بينهم وبين متكلمي أهل السنة (الأشعرية) في مسألة التسليم بوجود المجاز في اللغة العربية والقرآن الكريم[١].

وترى المعتزلة أن البلاغة جودة سبك العبارة وحسن الديباجة والعناية بالألفاظ والحرص على الوضوح وحسن الإفهام، ومراعاة مقتضى الحال عن إيجاز وإطناب ومساواة ومخاطبة الناس على حسب عقولهم[٢].

وقد نشأ خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في معنى كلام الله، فنشأ بذلك مذهبان في البلاغة العربية مذهب اللفظيين، وهو يتعصب للفظ على المعنى، ومذهب المعنويين وهو يتعصب للمعنى على اللفظ، فالكلام عند المعتزلة:- هو الألفاظ المسموعة، وعند الأشاعرة:- هو القائم بالنفس ويعني عندهم (المعنى)[٣]، ويكرر الجاحظ دائماً بأنه لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً، وساقطاً، ومبتذلاً[٤].

ومن الأمثلة على الجانب البلاغي من جوانب الإعجاز القرآني قوله تعالى وهو يصف لنا نهاية الطوفان: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ)[٥].

---

[١] رابح دوب، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص١٩٥، ٢٠٧.

[٢] الجاحظ عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **البيّان والتبين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج١، ص١٦٤-١٦٦.

[٣] محمد بن علي بن محمد الصامل، **المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة**، ط١، دار اشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص١٢٦.

[٤] الجاحظ، **البيان والتبين**، مصدر سابق، ص١٧٠.

[٥] سورة هود، آية (٤٤).

وهذه الآية القرآنية تعبر لنا بألفاظها المعدودة عن نهاية حدث يحتاج الإنسان العادي إلى الصفحات الطوال كي يعبر عنه، ويصفه إنها تتكلم عن نهاية الطوفان وما آل إليه حال أولئك الذين لم يستجيبوا لنوح عليه السلام وما حدث للأرض من طوفان لم يشهد التاريخ له مثيلاً. ومن جهة ثانية فإن التناسق بين الكلمات يتضح جلياً، وهذا يضفي على الآية الإيقاع الموسيقي الذي لن نشعر به إذا حذفت كلمة واستبدلت بأخرى[١]. ولقد استشهدت بهذه الآية في الإعجاز القرآني.

ب- الرُّمَّاني – الباقلاني

الرُّمَّاني (٢٩٦ – ٣٨٦هـ = ٩٠٨ – ٩٩٤م)

هو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني النحوي المتكلم، ولد سنة ستٍ وتسعين ومئتين للهجرة، بمدينة سامراء أو ببغداد، وتوفي ليلة الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين، وقيل اثنتين وثمانين وثلاثمائة[٢].

ومن كتبه التي تذكرها المصادر: التفسير الكبير، والجامع في علوم القرآن، والنكت في إعجاز القرآن، وألفات القرآن، وكتاب الاشتقاق الكبير، وشرح كتاب سيبويه، ونكت سيبويه، وأغراض سيبويه، وكتاب شرح المسائل للأخفش، وكتاب التصريف، وكتاب الهجاء، وكتاب الإيجاز في النحو، ويوجد للرُّمَّاني التصانيف المشهورة في كل فن[٣].

ولقد لقب الرُّمَّاني بالنحوي المتكلم، شيخ العربية وصاحب التصانيف؛ وذلك لأنه كان متقناً للأدب وعلوم اللغة والنحو[٤].

ويُعرف الرُّمَّاني أيضاً بالإخشيدي وبالوّراق، وبالجامع، وهو بالرُّمَّاني أشهر، والرُّمَّاني بضم الراء وتشديد الميم وبعد الألف نون، فهذه نسبة إلى الرُّمان وبيعه، ويمكن أن تكون نسبة إلى قصر رُمَّان وهو قصر موجود بواسط، وهو قصر معروف[٥].

---

[١] يوسف هزايمة، **من علوم القرآن**، ط١، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٥٠-٥١.

[٢] ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، المجلد الثالث، ص٢٩٩.

[٣] الرُّمَّاني علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ)، **النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، حققها وعلق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م، مقدمة المحقق، ص١٠.

[٤] المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص١٠.

[٥] ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان**، مصدر سابق، ص٢٩٩.

أمّا الإخشيدي: فنسبة إلى شيخهِ المعتزلي أبي بكر أحمد بن علي الإخشيدي، فلقد لزمه الرُمّاني وأخذ عنه، وبالنسبة للورّاق: فهي صفة تشير وتبين لنا عن حرفة الوراقة التي احترفها الرُمّاني؛ وذلك لكي يجد ما يعيش به[١].

وقد نشأ الرُمّاني نشأة فقيرة، فاشتغل بطلب العلم، الذي ساعده على كسب قوته عمله بالوراقة، وأخذ الرُمّاني اللغة والنحو على يد مجموعة من شيوخ العلم مثل:- أبي بكر بن دريد، وأبي بكر السرّاج، والزجاج، وتخرج في علم الكلام على يد أستاذه ابن الإخشيد[٢].

وعرف الرُمّاني بحبه للعلم، وسعة الإطلاع، وإتقانه للأدب، وعلم اللغة، والنحو، وكان ميّالاً لعلوم المنطق، والفلسفة، والنحو. ولوحظ ذلك من خلال تصانيفه الكثيرة.

وتظهر لنا مكانة الرُمّاني العلمية بما كتبه معاصره أبو حيّان التوحيدي، إذ قرر أنّه لم ير مثله علماً بالنحو، وغزارة في الكلام، وإيضاحاً للمشكل، وقال عنه ابن سنان: "إنه ذو مكان مشهور في الأدب"، وممن نقل عنه ابن رشيق القيرواني، وابن أبي الإصبع العُدواني المصري، والسيوطي[٣].

ويعد ما كتبه الرُمّاني إجابة لبعض طلبة العلم، فلقد التزم القول الموجُز في رسالته المُسماة "النكت في إعجاز القرآن" فهجم على الموضوع دون مقدمات[٤].

وكان الرُمّاني يقول: "تفسيري بستان تجني منه ما تشتهي"[٥]. ومن الملاحظ أن تفسير تفسير الرُمّاني قد اشتهر بين الناس، وكثر ذكره في الكتب أيضاً، فقوله هذا دليل على أنه مشهود له باللغة، والأدب، والنحو، وعلوم القرآن، والتفسير.

المُعتزلة:-

لقد سُميّت المعتزلة بهذا الاسم عندما اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري وذلك حول مرتكب الكبيرة والحكم عليه إذ سمّاه الحسن البصري منافقاً، فاعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن وسُميت فرقته بالمعتزلة، وقال واصل بن عطاء بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين[٦].

---

(١) الرُمّاني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص١٠.
(٢) المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص١٠.
(٣) الرُمّاني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص١٠.
(٤) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ط٣، دار الفرقان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٤٢.
(٥) سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، مرجع سابق، ص٢٣٥.
(٦) حسن صادق، **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص١٤٨-١٥٢.

والمعتزلة يُسمّون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، ويُلقبون بالقدرية والعدلية[١]، ويمكن القول هنا إن المعتزلة أول من تحدث في علم الكلام في نسق مذهبي متكامل.

وقد افترقت المعتزلة فيما بينها إلى عشرين فرقة ومن هذه الفرق:- الواصلية، والهزلية، والنظّامية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية[٢].

والواصلية من أتباع واصل بن عطاء وهم رأس المعتزلة[٣]، فالمعتزلة أبرز طوائف المتكلمين التي عملت على الدفاع عن الإسلام، ولقد ظهر بظهورهم أول كلام منظم عن القرآن الكريم[٤].

وكان من روّاد المعتزلة الكبار إبراهيم بن سيّار النظّام، وسميت فرقته بالنظامية فالتيار الفلسفي المُعبّر عن الاعتزال لم يخل من الأصالة والعبقرية والجدل في فلسفة الأديان[٥].

ووقفت المعتزلة على خمسة أصول، وأصرّت عليها حتى أن الخيّاط قال: لا يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يُجمع القول بالأصول الخمسة وهي كالتالي[٦]:

١-التوحيد. ٢-العدل. ٣-الوعد والوعيد. ٤-المنزلة بين المنزلتين.
٥-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويعد التوحيد عند المعتزلة أساساً راسخاً والمقصود به تنزيه الله عن الشبه بالمخلوقين تنزيهاً يحتم تأويل الآيات القرآنية التي يدل ظاهرها على التجسيم[٧]، مثل قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[٨]، أما العدل فالإنسان خالق لأفعاله، والوعد والوعيد وعد المطيع بالثواب وتوعد العاصي بالعقاب، والمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة، والأصل الأخير عام

---

[١] الشهرستاني محمد عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق أمير مهنا – علي حسن فاعور، ط٦، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ج١، ص٥٤.

[٢] البغدادي، **الفرق بين الفرق**، مصدر سابق، ص١١٤.

[٣] صلاح الدين أحمد مقبول، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، د.ط، دار عالم الكتب، الرياض، ص٥٥، ص٥٨.

[٤] ابن أبي الإصبع، **بديع القرآن**، مصدر سابق، د.ت، ص٣٤.

[٥] محمد عزيز نظمي سالم، **إبراهيم بن سيّار النظّام والفكر النقدي في الإسلام**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص٦٩.

[٦] الخياط أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد (ت٣٠٠هـ)، **الانتصار والرد على ابن الروندي المُلحد**، تحقيق الدكتور نيبرج، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م، مقدمة المُحقق، ص٥٠-٥١.

[٧] شوقي ضيف، "**عقيدة الموحدين بين التشيع والاعتزال**"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مجلد ٧٦، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص١٨٤.

[٨] سورة الأعراف، آية (٥٣).

عند المسلمين، ويذهب المعتزلة إلى أن الإعجاز يتعلق بالقرآن جميعه لا ببعضه، أو بالسورة كلها لا برأسها[١].

وترى المعتزلة أن الدليل على صدق النبي الكريم هو أخلاقه، وتعاليمه ثم تأتي المعجزات، وقد خالفوا بذلك الأشاعرة الذين يرون أن المعجزات هي الدليل على صدق الرسول الكريم[٢]. ونلاحظ أن المعتزلة يكبرون العقل، ويغلبون نظراته على مبادئ الشريعة، فيهتمون به اهتماماً كبيراً.

ولا بد في نهاية الحديث عن المعتزلة أن أذكر بعض أقوالهم، لكون الرُّمَّاني من أعلام المعتزلة، فلابد أن يكون قد تأثر بهم وهذا محور حديثي في الفصل القادم، والآن أعرض لبعض أقوالهم.

أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير وليس بجسم ولا جُثّة، ولا يحيط به مكان، ولا يجرى عليه زمان، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم، ولا يوصف بأنه متناهٍ[٣]. قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[٤]. شَيْءٌ)[٤]. وقوله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)[٥]. ولا تحيط به الأقطار وإنه لا يحول ولا يزول ولا يتغير ولا ينتقل، قال تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ)[٦]. وإنه القديم وما سواه محدث وإنه العدل في قضائه الرحيم بخلقه[٧].

وترى المعتزلة أن الله وحده قديم وبالتالي فإن الكلام من صفات الأفعال، وليس من صفات الذات فكلام الله محدث، والقرآن بهذا مخلوق[٨].

وترى المعتزلة نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ويستحيل أن يرى بالحواس، كما يستحيل أن يرى من غير حاسة[٩].

---

[١] القطّان، **مباحث في علوم القرآن**، مرجع سابق، ص٢٦٤.
[٢] منير سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، ط١، نشأة المعارف، الإسكندرية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ص٢٢٢-٢٢٣.
[٣] الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، مصدر سابق، ص١٥٥.
[٤] سورة الشورى، آية (١١).
[٥] سورة الأنعام، آية (١٠٣)
[٦] سورة الحديد، آية (٣).
[٧] الخياط، **الانتصار والرد على ابن الرّوندي الملحد**، مصدر سابق، ص١٣.
[٨] محمد حسن عبد الله، **أصول النظرية البلاغية**، ط٢، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص١١٣.
[٩] الجويني عبد الملك بن عبد الله (ت٤٧٨هـ)، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تعليق زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص٧٥.

وترى أيضاً أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بـذات الله عـز وجـل، واختلفت المعتزلة في وجوه وجودها، وأن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير[١].

الباقِلاّني (٣٣٨ – ٤٠٣هـ = ٩٥٠ – ١٠١٣م)

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفـر بـن القاسـم، المعـروف بالباقلاني البصري المتكلم، المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيـداً اعتقاده وناصراً طريقته، سكن بغداد وصنّف التصانيف المشهورة في علم الكلام وغيره، فكان في علمه أوحد زمانه، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه، فاتصف بجودة الاسـتنباط، وسـرعة الجواب، وسماع الحديث، وكان كثير التطويل في المناظرة، ومن أهم مؤلفاته: "إعجاز القرآن" و"التمهيد في الرد على الملحد والمعطلة والخوارج والمعتزلة" و"الفرق بين معجزات النبيـين وكرامات الصالحين"[٢].

وتوفي الباقلاني آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، وصلى عليه أبنه الحسن ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل إلى مقبـرة باب حرب.

والباقلاني بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف وبعدها نون، هذه نسبة إلى الباقلّى وبيعه فمن شد اللام وقصر الألف ومن خففها مد الألف مثل بـاقلاء وهـذه النسبة شاذة وذلك لزيادة النون فيها مثل صنعاء: صنعاني[٣].

ولقب الباقلاني بسيف السنة ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهـل الحـديث، فكـان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب[٤].

وكان من شيوخ الباقلاني أبو بكر بن مالك القطيعي، حيث كان الباقلاني يسمع الحديث منه، ومن شيوخه أيضاً أبو محمد بن ماسي، وأبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري. وكـان

---

[١] الشهرستاني، **الملل والنحل**، مصدر سابق، ص٥٧.

[٢] ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، المجلد الرابع، ص٢٦٩.

[٣] المصدر نفسه، ص٢٧٠.

[٤] الباقلاني محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، **إعجاز القرآن**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط٤، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، د.ت، مقدمة المحقق، ص١١.

يأخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي وهو صاحب الأشعري[١]. لـذلك يمكـن القول إن الباقلاني يتصف بالصفات التالية:-

- إنه من أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، وكان سيفاً من سيوف السنة وأحـد مشاهير وقته، ولقد انتهت إليه الرياسة في مذهبه.
- كان يتصف بجودة الاستنباط وسرعة الجواب[٢].

والباقلاني سنيّ في اعتقاده، وهو علمٌ من أعلام الأشعرية، ويمكن أن نعدهُ الرجل الثاني بعد أبي الحسن الأشعري، الذي عمل على تطوير المذهب الأشعري، وساعد على نشره بين الناس وعمل على تثبيت هذا المذهب، وساعد في مواجهة المعتزلة والعمل على الرد عليهم.

ومن تلاميذ الباقلاني، أبو عبد الله الأسدي صاحب العلم والأدب، وأبو طاهر البغدادي الناسك والواعظ[٣].

ولقد عرُف الباقلاني بكثرة التأليف إلى جانب اهتمامه بالمناظرة، ويروى أنه كان يكتب في كل ليلة خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه وذلك بعد صلاة العشاء.

وأرى من المفيد أن أتطرق إلى بعض كتبه وأذكر الهدف منها كما يلي[٤]:-

١ -التمهيد:- وهدفه الرد على الفرق في مسألة التوحيد.

٢ -الإنصاف فيما يجب اعتقاده:- وهو كذلك في التوحيد.

٣ -الانتصار:- ومختصره نكت الانتصار وهو أحد الكتب المهمة في علوم القرآن.

٤ -إعجاز القرآن:- نشر أكثر من مرة وهدفه بيان إعجاز القرآن الكريم.

ويمكنني القول إن أهم العلماء الذين درسوا الإعجاز القرآني ومن ثم البلاغة العربية هم مجموعة من المتكلمين المشهود لهم بالرسوخ في العلم والعقل والقدرة على التحليل والتعليل وفي مقدمتهم المعتزلة والأشاعرة ويمثلهما الرُمَّاني والباقلاني.

الأشاعرة:-

---

[١] المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص١١.

[٢] المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص١٢.

[٣] عبد الرؤوف مخلوف، **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقديـة**، د.ط، دار ومكتبة الحيـاة، بيروت، د.ت، ص٨٢-٩٢.

[٤] الباقلاني محمد بن الطيب، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط٣، مؤسسـة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٠.

هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ولد سنة (٢٦٠هـ)، ونشأ في بيت زوج أمه أبي علي الجبائي المعتزلي الذي عمل على تربيته وعلّمه الكلام، وكان من أئمة المعتزلة في ذلك الوقت، وقد خرج الأشعري عليهم، وخالفهم وبذل خالص جهده في الابتعاد عنهم، وكوّن الأشعري بذلك مدرسة كلامية مقابلة لمدرسة المعتزلة[١].

ويلاحظ هنا على الرغم من اختلاف المدرستين في المذهب إلا أن هدفهما واحد ألا وهو نصرة الدين الإسلامي، والعمل على إعلاء شأنه، وصد هجمات الأعداء عنه.

وقد خالف الأشعري أستاذه الجبائي عندما سأله سؤالاً حول رأيه في ثلاثة إخوة مات أحدهم مُطيعاً، والآخر عاصياً، والثالث صغيراً، فردّ عليه الجبائي: إن الأول يُثاب بالجنة، والثاني يُعاقب، والثالث لا يُعاقب، فسأله الأشعري: إذا قال الصغير: يا رب لمَ أمتني صغيراً وما أبقيتني إلى أن أكبر حتى أطيعك وأدخل الجنة؟ فماذا يقول الرب هنا؟ فرد عليه الجبائي: يقول الله تعالى: أنه يعلم أن هذا الصغير لو كبر لعصاه ودخل النار، فكان من الأصلح أن يموت صغيراً، وكرر الأشعري السؤال، إذا قال الثاني: لمَ يا رب لمْ تمتني صغيراً، لكي لا أعصي فلا أدخل النار؟ فماذا يقول الرب؟ فبهت الجبائي وترك الأشعري مذهبه[٢].

ويلاحظ أن الأشعري قد انتصر على المعتزلة، وذلك لما كان يتميز به من الصلاح والتقوى، ما جذب الناس إليه، وكان من أتباع الأشعري أشخاص أقوياء أخذوا مذهبه، ودعوا إليه من أمثال الباقلاني، وبذلك تم الابتعاد عن الاعتزال.

وقال الأشعري:- إن الإنسان إذا فكر في نفسه وفي خلقته، من أي شيء ابتدأ؟ وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتى يتم التوصل إلى كمال الخلقة؟ فأدرك يقيناً أنه بذاته لا يستطيع أن يتدبر خلقته، وينقله من درجة إلى أخرى، ويرقيه من النقص إلى الكمال، فعرف هنا أن لهذا الإنسان صانعاً، قادراً، عالماً، مدبراً، ألا وهو الله عز وجل[٣].

ومن آرائه أيضاً:- أن الله عز وجل عالم بعلم، وقادر بقدرة، حي بحياة، مُريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع يسمع، وهذه الصفات أزلية قائمة بذات الله تعالى[٤].

ومن آراء الأشعري أيضاً:- أن علم الله تعالى واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل، والجائز، والواجب، والمعدوم، وأن قدرته تعالى هي واحدة.

---

[١] منير سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، مرجع سابق، ص٣٥.

[٢] أمير مهنا، علي خريس، **جامع الفرق والمذاهب الإسلامية**، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٢٠-٢١.

[٣] الشهرستاني، **الملل والنحل**، مصدر سابق، ص١٠٦.

[٤] المصدر نفسه، ص١٠٨.

كما أثبت الأشعري أن السمع والبصر لله عز وجل هما صفتان أزليتان. وأثبت أن اليدين، والوجه صفات خبرية، فكل موجود يصح أن يرى، والمصحح للرؤية هو موجود، والباري تعالى موجود بالتالي يصح أن يُرى[١]، وهذا رأي يخالف رأي المعتزلة الذين قالوا بنفي رؤية الله عز وجل كما قلنا مسبقاً.

وقد لعب الأشاعرة دوراً مهماً في إعجاز القرآن الكريم، وكانوا وسطاً بين المعتزلة المتطرفين وغيرهم، فلقد ذهب الأشعري إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن، سواء كانت السورة قصيرة أو طويلة، فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت سورة الكوثر فإن ذلك مُعجز، وذهب المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة[٢].

ويتضح لنا أن أهل السنة (الأشاعرة) يجعلون كلام الله وكلام الرسول الكريم هو الأصل الذي يعتمد عليه، وإليه يرجع الناس في النزاعات[٣].

ويوجد للأشعري كتاب مهم هو (الإبانة عن أصول الديانة)، وقد وضح فيه كل ما يتصل بعقيدة التوحيد، كما وضع الأشعري في هذا الكتاب المنهج الأساسي، العقلي والمنطقي الفكري لعلم التوحيد.

ويستنتج من ذلك أن الأشاعرة التزموا جانب العقل والبرهان العقلي إلى جانب النص النقلي في الدفاع عن بساطة العقيدة الإسلامية.

ويلاحظ أن المعتزلة تقول أن كلام الله مخلوق مُحدث، وأما الأشاعرة فيرون أن كلام الله صفة قائمة بذاته تعالى، وهو كلام نفسي قديم[٤]. وينفي الأشعري الأخذ بالمجاز إلا بحجة، فحكم كلام الله تعالى يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة[٥].

---

[١] المصدر نفسه، ص١١٤.

[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر، سابق، ص٢٦١.

[٣] نصر محمد نصر القاضي، **موقف أهل السنة من الفرق**، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص١٤.

[٤] مهدي صالح السامرائي، **تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية**، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، ص٧٧.

[٥] الأشعري، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الكتاب،القاهرة، د.ت،ج١،ص١٦٤.

الفصل الأول

البحث البلاغي عند الرُّمَّاني

تمهيد وتعريف

المبحث الأول:- جهود الرُّمَّانى فى البحث البلاغى

المبحث الثانى:- أثر النزعة الاعتزالية عنده فى الإعجاز

الفصل الأول

البحث البلاغي عند الرُّمَّاني

تمهيد وتعريف:-

يُعد الرُّمَّاني من أعلام القرن الرابع الهجري، ويَعد عصره عصر تحديد علوم البلاغة، وأخذت ملامح علوم البلاغة تتبلور وتنضج، وأصبحت الآراء والأفكار المتناثرة في مؤلفات السابقين، من أمثال الفرّاء، والجاحظ، تنمو وتزدهر، حتى غدت أبواباً وفصولاً متكاملة في نتاج مرحلة أخرى متطورة.

ويلاحظ أن النتاج الفكري البلاغي، ظل يحمل سمات المرحلة الأولى، وبعضاً من خصائصها وبخاصة سمة امتزاج قضايا البلاغة بقضايا علوم القرآن، وأهمها قضية إعجاز القرآن، فنشأت علوم للبلاغة على هامشها، ونمت في كنفها.

وقد أخذ الامتزاج بين البلاغة والإعجاز في عصر الرُّمَّاني شكلاً جديداً، مخالفاً لما كان عليه في المرحلة السابقة، فلم يعد الامتزاج غير متكافئ بين الأفكار والملاحظات، ولم تعد البلاغة أيضاً مجرد لمحات متناثرة وسط مجموعة كبرى من قضايا العلوم، ويلاحظ أن هذا الامتزاج أصبح بين قضايا متضارعة في نضجها، أي أن هذا الامتزاج أصبح متكافئا بين علوم البلاغة وقضية الإعجاز القرآني.

فعلم الكلام أصبح من العلوم التي تمتزج قضاياها بقضايا البلاغة، وصار هذا العلم أكثر أهمية ووضوحاً في هذه المرحلة، إذ أن المؤلفات في بداية هذا القرن هي كتب بلاغية أكثر منها كلامية، على الرغم من أن أصحابها متكلمون، وكانت كتباً أساسية في موضوعات كلامية، للرد على أعداء الدين حول قضية الإعجاز القرآني ووجوهه، كما هو الشأن في رسالة الرُّمَّاني (النُّكت في إعجاز القرآن) التي تُعد واحدة من البحوث الرائدة في الإعجاز القرآني وهي في الوقت نفسه واحدة من المصادر الأساسية في البلاغة العربية، فالجانب البلاغي طاغ على الجانب الكلامي.

وعلى الرغم من صغر حجم الرسالة، البالغ ستاً وثلاثين صفحة، فقد تركت أثراً بارزاً في مسار البحث البلاغي، والتآليف البلاغية، وتأثر بها بلاغيون كثيرون، ونقاد، ومتكلمون جاءوا بعد الرُّمَّاني[١].

ويتناول هذا الفصل مبحثين هما:-

المبحث الأول:- جهود الرُّمَّاني في البحث البلاغي.

المبحث الثاني:- أثر النزعة الاعتزالية عنده في الإعجاز.

---

[١] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، د.ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت، ص١١٠.

المبحث الأول:- جهود الرُّمَّاني في البحث البلاغي

يعدّ الرُّمَّاني المتوفى (٣٨٦هـ) أحد أعلام المعتزلة في عصره، وقد كتب رسالته "النُّكت في إعجاز القرآن" جواباً على سؤال لشخص طلب إليه تفسير هذه النُّكت في إجمال وبدون تطويل[١].

فكتب الرُّمَّاني هذه الرسالة دفاعاً عن القرآن الكريم، وإبرازاً لوجوه الإعجاز التي تُعد دليلاً على الإعجاز القرآني، وتدور هذه الرسالة حول البلاغة العربية، ومباحثها بعامة، والبلاغة في القرآن الكريم بخاصة.

وقد حدد لنا الرُّمَّاني مفهومه للإعجاز القرآني في رسالته "النُّكت في إعجاز القرآن" وهي رسالة أدبية بلاغية قيّمة، تعكس لنا تخصصه العلمي، ومفهومه الاستدلالي التحليلي في توصيل أفكاره، فهو يقرر في بداية رسالته، أن وجوه إعجاز القرآن الكريم تظهر من سبع جهات[٢]:-

١ -ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

٢ -التحدي للكافة.

٣ -الصرّفة.

٤ -البلاغة.

٥ -الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة.

٦ -نقض العادة.

٧ -قياسه بكل معجزة.

ولمّا كان الرُّمَّاني أحد المتذوقين للبلاغة القرآنية، فقد أختص البلاغة وحدها من بين هذه الوجوه باهتمامه، فالبلاغة عنده على ثلاث طبقات، هي:-

١ -منها ما هو في أعلى طبقة، وهو بلاغة القرآن الكريم.

٢ -ومنها ما هو في أدنى طبقة، ككلام العامة من الناس.

٣ -ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. وهذا ممكن كبلاغة البلغاء من الناس[٣].

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق ص٧٥.
[٢] المصدر نفسه، ص٧٥.
[٣] المصدر نفسه، ص٧٥.

والرُّمَّاني لا يرى أن البلاغة مجرد إفهام المعنى، والسبب في ذلك أن المعنى قد يفهمه متكلمان، أحدهما بليغ والآخر عَيّ، كما أنه لا يرى أن البلاغة تكون بتقديم اللفظ على المعنى؛ وذلك لأنه قد يتحقق ذلك وهو غث، ومستكره، ونافر متكلف.

لذلك فالبلاغة عند الرُّمَّاني: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"، وأعلاها طبقة في الحسن هي بلاغة القرآن الكريم[١].

ويتضح لنا أن الرُّمَّاني يهدف من تعريفه للبلاغة معنيين: أحدهما متعلق بالأثر النفسي للبلاغة، ويُفهم من خلال قوله: "إيصال المعنى إلى القلب". والثاني:- يتعلق بالأسلوب، من اللفظ والصياغة أو النظم، وذلك من خلال قوله: "في أحسن صورة من اللفظ".

كما يلاحظ أن الرُّمَّاني بتحديده لمعنى البلاغة إنما يبعث من جديد قضية اللفظ والمعنى، فالجمال البلاغي لا يتحقق إلا بانتظام اللفظ والمعنى، وإيصال هذا المعنى إلى القلب.

وقد حصر الرُّمَّاني البلاغة القرآنية في عشرة أقسام هي:- الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان، فهذه الأقسام العشرة منها ما يختص بالمعاني والصور البيانية: كالإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والمبالغة، وحسن البيان، ومنها ما يختص بالجوانب اللفظية: كالتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين[٢].

كما خصص الرُّمَّاني لكل قسم منها باباً على حدة، ذكر فيه سماته البلاغية وأدق خصائصه، مستشهداً بالآيات القرآنية. وفسر الرُّمَّاني هذه الأقسام العشرة، فبدأ بتفسير وشرح الباب الأول منها، وهو الإيجاز الذي جعله فاتحة موضوعاته، كما يأتي:-

١. الإيجاز:-

يرى الرُّمَّاني أن الإيجاز هو: "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"[٣]. ويمكن أن يُعبر عن المعنى بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يُعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز، **والإيجاز عنده على نوعين هما:**- إيجاز حذف، وإيجاز قِصَر، **فالحذف:**- إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. **والقِصَر:**- بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف. وإيجاز الحذف كما نرى عنده على نوعين، كما في الأمثلة الآتية التي يستشهد بها:-

---

(١) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٦.

النوع الأول:- حذف المضاف، مثل قوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[١]، والتقدير هنا اسأل أهل القرية.

النوع الثاني:- حذف الأجوبة، وهو أبلغ من الذكر، ولقد جاء في القرآن الكريم أمثلة كثيرة، قال تعالى:(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى)[٢]، كأنه قيل هنا: لكان هذا القرآن فجواب الشرط محذوف مقدر، وقوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)[٣]، كأنه قيل حصلوا على النعيم المقيم فجواب الشرط محذوف مقدر.

وأما الإيجاز بالقِصَر دون الحذف فهو أشد غموضاً من الحذف، وإن كان الحذف غامضاً، وذلك للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح، قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)[٤]. ولكي يُبين الرُّمَّاني روعة الإعجاز القرآني من حيث الإيجاز نراه يوازن بين قول العرب: "القتل أنفى للقتل"، وبين قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)، فيوجد هنا تفاوت بين لفظ القرآن، وبين هذا اللفظ، وذلك من حيث البلاغة والإيجاز، ويظهر لنا ذلك من خلال أربعة أوجه[٥]:-

١ **الكثرة في الفائدة:**- وذلك من خلال القول السابق (القتل أنفى للقتل) فيكون فيه زيادة معاني حسنة، منها إبانة العدل الإلهي وذلك لذكر القصاص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به.

٢ **الإيجاز في العبارة:**- فهو نظير قول العرب (القتل أنفى للقتل) وقول القرآن الكريم "القصاص حياة"، فقول العرب أربعة عشر حرفاً، أما قول القرآن الكريم عشرة أحرف.

٣ **بُعده من الكلفة بالتكرير:**- الذي يكون فيه مشقة على النفس الإنسانية، وذلك من خلال قول العرب "القتل أنفى للقتل" فهذا تكرير غيره أبلغ منه، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة.

---

[١] سورة يوسف، آية (٨٢).
[٢] سورة الرعد، آية (٣٠).
[٣] سورة الزمر، آية (٧٣).
[٤] سورة البقرة، آية (١٧٩).
[٥] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٧.

٤ -**الحسن بتأليف الحروف المتلائمة:-** وهذا مدرك بالحس، وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام في قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي القِصَاص حَيَاةٌ) أعدل من الخروج من حرف اللام إلى حرف الهمزة في قول العرب: "القتل أنفى للقتل" وذلك لبعد الهمزة من اللام. وبذلك يُبين الرُّمَّاني دقة المعاني القرآنية، ومدى إعجازها البلاغي الذي يبينه الإيجاز.

ويلخص الرُّمَّاني آراءه فيقول: إن صور التعبير عن المعاني أربع: إيجاز، وتقصير، وإطناب، وتطويل[١].

ويلاحظ أن الإيجاز في نظر الرُّمَّاني بلاغة، والتقصير عيّ، والإطناب بلاغة، والتطويل عيّ، والإيجاز لا يكون فيه إخلال بالمعنى المدلول عليه، وليس كذلك التقصير، لأنه لابد فيه من الإخلال، أما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يذكر فيه التفصيل، فلكل من الإيجاز والإطناب موضعٌ يكون به أولى من الآخر، وذلك لأن الاهتمام به أعظم.

أما بالنسبة للتطويل فعيب وعي، لأن القليل يكفي عن الكثير، كالإنسان الذي يسلك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب، أما الإطناب ليس كذلك؛ لأنه كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من النزهة الكثيرة، والفوائد العظيمة[٢].

وقسّم الرُّمَّاني الإيجاز في رسالته إلى ثلاثة أوجه هي:-

١ -إيجاز بالحذف أو بالقِصَر.

٢ -إيجاز في ظهور النكته بعد الفهم لشرح الجملة، وإيجاز إحضار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة، ويكثر في العلوم القياسية؛ لأنه إذا فهم شرح الجملة حفظ النكته.

٣ -إيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد، وإيجاز باعتماد الغرض دونما تشعب، وإيجاز بإظهار الفائدة ما يستحسن بدلاً مما يستقبح؛ وذلك لأن المستقبح ثقيل على النفس، فقد يكون للمعنى طريقان: أحدهما أقرب من الآخر، كقولنا: تحرك حركة سريعة في موضع أسرع، وقد يكتنف الغرض شعباً كثيرة: كالتشبيب قبل المدح، فإذا ظهرت الفائدة بما يستحسن فهو إيجاز وذلك لخفته على النفس الإنسانية.

---

[١] عبد الغني محمد سعد بركة، **الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٨٥.

[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٨.

وللإيجاز عند الرُمَّاني منزلة يعلو بها على سائر أنواع البيان، وحتى يؤكد الرُمَّاني ما قاله يقدم لنا أكثر من تعريف للإيجاز، فالإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر، وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، وهو أيضاً إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير[١].

وكل هذا يؤكد في الإيجاز أمرين، هما:-

١ -الوفاء بالمعنى بدقائقه وخصوصياته، والبلاغيون عندما يتكلمون عن المعنى في مثل هذا السياق لا يريدون الغرض العام، والمقصود بقول الرُمَّاني من غير إخلال بالمعنى: أي من غير إهمال لخصائصه ودقائقه.

٢ -الاقتصاد في اللفظ: وهذا يعني البراعة في استخدام الكلمات القليلة في هيئة تعنى فيها بالغرض[٢].

ويختم الرُمَّاني كلامه عن الإيجاز بملاحظة دقيقة وهي أن الكلام في البيان عن المعاني المختلفة قد يطول، وهو في ذلك في نهاية الإيجاز، وإذا كان الإطناب لا منزلة إلا ويحسن أكثر، فالإطناب يكون عندئذٍ إيجاز، كصفة ما يستحق الله تعالى من الشكر على نعمه[٣].

وهكذا يتخذ مفهوم الإيجاز لدى الرُمَّاني طابعاً عاماً، فشواهده تدلنا على جميع أقسام الإيجاز، وهي التي تشمل المفردات التي ذكرها الجاحظ، ونلاحظ أن هذا الإيجاز يشمل الحذف، كحذف المفعول به وجواب الشرط، والمضاف وغير هذا[٤].

ويُستنتج هنا أن الرُمَّاني في محاولته لدراسة الإعجاز القرآني، قام بجهود مشكورة في التصنيف البلاغي، فعرّف الإيجاز، وبيّن لنا أقسامه وصوره، وكشف عن دواعيه البلاغية، وبالتالي صور الإيجاز تصويراً كاملاً، ولم يضف إليه البلاغيون التالون شيئاً، يزيد على ما جاء به الرُمَّاني في هذه الرسالة.

---

[١] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٩-٨٠.

[٢] محمد محمد أبو موسى، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٩٠.

[٣] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٠.

[٤] أحمد ياسوف، "**جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير**"، **رسالة ماجستير**، كلية الآداب (الدراسات الأدبية)، الجامعة الأردنية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص٢٧٢.

٢. التشبيه:-

يتحدث الرُّمَّاني عن باب التشبيه ضمن أقسام البلاغة العشرة، وهو في هذا الباب لم يكن متأثراً بأسلافه الذين تحدثوا عن التشبيه من مثل المبرد (ت٢٨٥هـ) الذي قال إن تشبيهات العرب على أربعة أضرب هي:- مفرط، ومصيب، ومقارب، وبعيد، وتبعه في ذلك أبو أحمد العسكري (ت٣٨٢هـ)، ولم يهتم الرُّمَّاني بما ذكره ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ) من حيث ألوان التشبيه في الهيئة، أو الحركة، أو اللون، أو الصورة، أو المعنى.

وقد اتجه الرُّمَّاني اتجاهاً جديداً خالف فيه السابقين، فبرزت هنا شخصيته واتضحت، فقد نظر الرُّمَّاني إلى التشبيه نظرة جديدة، اهتم بها العلماء والأدباء من بعده، فأخذوا بأقواله في هذا الباب، وقد يضيفون إليها آراء غيره، وقد لا يضيفون كما عمل أبو هلال العسكري[١].

ويبدأ الرُّمَّاني هذا الباب بتعريف التشبيه فيقول هو: "العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"[٢].

ويلاحظ من خلال هذا التعريف أن الرُّمَّاني ربط التشبيه بالحس والعقل، ومعنى هذا أن الإحساس والذوق يشتركان مع التفكير والعقل في فهم التشبيه، ومن شروط التشبيه الاشتراك، وأن الرُّمَّاني قد سمى الاشتراك باسم "العقد"، وهذا يكون بين شيئين على أن يسدّ أحدهما مسد الآخر، فتكون الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به تلزم أحدهما، فإذا كانت الصفة مأخوذة من المشبه به إلى المشبه فهذا هو التشبيه العادي، وإذا كانت من المشبه إلى المشبه به، فهذا هو التشبيه المعكوس أو المقلوب[٣]، كقول عنترة:

ولقد ذكرتُكِ والرّماحُ نواهلٌ مني وبيضُ الهندِ تقطرُ من دَمي

فوَدِدتُ تقبيلَ السيوف لأنها لمعَتْ كبارق ثغركِ المبتسّم

فعبارة الرُّمَّاني تعني هذا الكلام أو هذا التقسيم، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس، فأما القول فمثاله: زيد شديد كالأسد، فالكاف هنا عقدت المشبه به بالمشبه، أما العقد في النفس فالاعتقاد لمعنى هذا القول، فالتشبيه الحسّي: كماءين وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر، وأما التشبيه النفسي فنحو: تشبيه قوة إنسان بقوة إنسان آخر، كتشبيه قوة زيد بقوة عمرو مثلاً، فالقوة هنا لا تشاهد ولكنها تعلم، سادّة مسدّ الأخرى فتشبه[٤].

---

[١] عبد القادر حسين، **القرآن والصورة البيانية**، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٢٧-٢٨.

[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٠.

[٣] محمد بركات حمدي أبو علي، **دراسات في الإعجاز البياني**، د.ط، دار وائل للنشر، عمان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص٥٣.

[٤] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٠.

ويقسم الرُّمَّاني التشبيه إلى قسمين:-

١ -تشبيه شيئين متفقين بنفسهما، ومثال هذا تشبيه الجوهر بالجوهر، والسواد بالسواد.

٢ -تشبيه شيئين مختلفين لمعنى مشترك يجمعهما، مثل تشبيه الشِدّة بالموت والبيان بالسحر الحلال.

ويورد الرُّمَّاني كلمة "التشبيه البليغ" ويقصد به إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه، مع حسن التأليف، وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء، وتظهر فيه بلاغة البلغاء، وهذا التشبيه هو الذي يكسب الكلام بياناً عجيباً[١].

وأرى هنا أن هذه لفتة ذكية من الرُّمَّاني، إذ إننا لا نستطيع إجراء أي دراسة في بلاغة التشبيه إلا في الكلام ذي البيان، وليس في أي كلام عادي.

وبلاغة التشبيه هي:- الجمع بين شيئين في معنى يجمعهما أي يكسب بياناً فيهما، واشترط الرُّمَّاني تفاضل الشعراء في بلاغة التشبيه، ذلك التشبيه الذي يكون على أربعة أوجه، هي[٢]:-

١ -إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، نحو: تشبيه المعدوم بالغائب.

٢ -إخراج ما لم تَجْرِ به عادة إلى ما جرت به عادة نحو: تشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم.

٣ -إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، نحو: تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب.

٤ -إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، نحو: تشبيه ضياء السراج بضياء النهار.

ويمكن إجمال وظيفة التشبيه بناءً على ما ذكره الرُّمَّاني في أنه يقوم على تصوير المجردات والمعقولات وتجسيدها، وتقريب الصور إلى الحواس، وذلك بتشبيه الخفي بالجلي والأغمض بالأظهر، وذلك تحقيقاً للمعنى وتثبيتاً له في ذهن القارئ[٣].

ويجعل الرُّمَّاني التشبيه على وجهين:-

١ -تشبيه بلاغة: كتشبيه أعمال الكفار بالسراب.

٢ -تشبيه حقيقة: نحو: هذا الدينار كهذا الدينار، فخذ ما شئت.

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨١.
[٢] المصدر نفسه، ص٨١.
[٣] سعد سليمان حمودة، **البلاغة العربية**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٢٦.

ويستشهد لنا الرُمَّاني ببعض ما جاء في القرآن الكريم من التشبيه، وقد نبه على ما فيه من البيان وذلك بحسب الإمكان.

فتشبيهات القرآن جاءت على طريقة العرب، وهذه سمة من سمات التشبيه القرآني يجيء على طريقتهم وعلى سننهم، ويتفوق القرآن عليهم؛ لكي يبرهن لهم أنه معجز بكل المقاييس، ولذلك حاول العلماء أن يبنوا بعض الأوجه التي جاء عليها تشبيه القرآن[١]، وكان من بينهم الرُمَّاني في رسالته "النُكت في إعجاز القرآن" الذي هو موضوع هذه الدراسة.

ويذكر الرُمَّاني التشبيه في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً)[٢]، فهذا بيان أخرج فيه ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع وهنا يتم تشبيه أعمال الكفار بالسراب، فهذا من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع هذا حسن النظم، وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة.

ويلاحظ من خلال حديث الرُمَّاني عن التشبيه ما يلي:-

- أنه أبرز وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، وإن لم يذكره لنا باسم "وجه الشبه"، إنما ذكره باسم "الجامع"، ومن ذلك قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ)[٣]، فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع في هذه الآية المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع، والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي هذا حسرة عظيمة، وموعظة بليغة.

ويلاحظ هنا أن هؤلاء الكافرين كانوا يرون أن أعمالهم لها أثر في الوجود ولكن تفاجأوا بريح قوية في يوم عاصف، ولما جاء يوم القيامة تبددت أحلامهم فرأوا الحقيقة عياناً بعد أن زعموا الباطل، فكان عملهم كالسراب الذي ليس له قيمة نهائياً، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ)[٤]، وهذا أيضاً بيان قد أخرج ما لا تقع الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة، والحسرة بما يفوت من

---

[١] عبد الله علي محمد حسن، **دراسة حول أسلوب التشبيه وآيات الوحدانية**، د.ط، مركز فجر، القاهرة، د.ت، ص١٠٤.

[٢] سورة النور، آية (٣٩).

[٣] سورة إبراهيم، آية (١٨).

[٤] سورة الرعد، آية (١٤).

نيل المطلوب، وهذا الزجر في الدعاء لا يكون إلا لله عز وجل الذي بيده النفع والضر[١].

- ويشير الرُّمَّاني إلى الصورة في التشبيه، ولا تكون هذه الصورة ذات معنى بليغ إلا إذا أفادت، قال تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ)[٢]، وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به العادة إلى ما قد جرت به العادة، وقد اجتمعتا في معنى الارتفاع في الصورة، وفيه أعظم آية لمن فكر في مقدورات الله عز وجل، عند مشاهدته لذلك، لكي يطلب المنافع بطاعته لله عز وجل.

وأرى هنا أن التشبيه إنما كان لتقريب المعنى، وذلك في تشبيه الجبل مرتفعاً كأنه ظلّة، لأن رفع الجبل إثبات لقدرة الله، وإلقاء الخوف في قلوبهم.

- ويبين لنا الرُّمَّاني الناحية الوظيفية في التشبيه، وذلك للاعتبار بالموعظة، والتفكر فيها، قال تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ)[٣]، وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به. ولقد اجتمع كل من المشبه والمشبه به في الزينة، والبهجة، ثم الهلاك، ويلاحظ أن في ذلك العبرة لمن اعتبر، والموعظة لمن فكر أن كل فان حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره[٤].

وقوله تعالى: (فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)[٥]، وهذا أيضاً تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به، وقد اجتمعا في الحمرة، وفي لين الجواهر السيّالة، وهذا دليل على عظيم الشأن لنتصرف بالأمل، ويلاحظ تصوير للدنيا عندما تقوم الساعة، فتكون السماء لينة كالورد الذي يشبه الدهن وذلك بسبب ليونته التي قد تصل إلى السيولة.

- وأهتم الرُّمَّاني بالإنسان في توجيهاته لبلاغة التشبيه، ويبرز لنا ذلك من خلال استشهاده ببعض الآيات القرآنية، قال تعالى: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٣.
[٢] سورة الأعراف، آية (١٧١).
[٣] سورة يونس، آية (٢٤).
[٤] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٣.
[٥] سورة الرحمن، آية (٣٧).

وَالأَرْض)[١]، فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم، وفي هـذا البيـان العجيب ما تقدر في النفس من الأمور والتشويق إلى الجنة، فتصور لنا هـذه الآيـة الجنة، وبأنها خير من الوجود كله وأوسع.

وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَـذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ)[٢]، فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في ضعف المعتمد، فيجب على الإنسان أن لا يحمل نفسه على الغرور بالعمل من غير يقين[٣].

وقال تعالى: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ)[٤]، وهذا التشبيه قـد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، وقد اجتمعتا في العِظم، ولكن الجبال أعظم، ونرى في هذا العبرة من جهة القدرة لله عز وجل فيما سخّر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها، وقطع الأقطار البعيدة فيها أيضاً.

فتم تشبيه السفن المرفوعات الشرع المنشآت الأمواج في البحر بـالأعلام أي الجبال الطويلة، فالصفة المشتركة هنا هي العظم.

وقوله تعالى: (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)[٥]. وهذا التشبيه أيضاً قـد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، ولقد اجتمعا في الرخاوة والجفـاف وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالرياح[٦].

وفي نهاية هذا الباب نجد الرُمَّاني قد أثر في البلاغيين الذين جاءوا مـن بعـده، وأن التشبيه سر من أسرار الإعجاز القرآني الذي يتضح لنا ذلك من خلال الآيات القرآنية، التـي يبرز فيها عنصر التشبيه، فالرُمَّاني في هذه الرسالة، يعطينا لمحة فنية عن التشبيه والأمـور التي ارتضاها لإظهار جماله، فالرُمَّاني لديه ذوق كبير في أثناء عرضه للتشبيه، وذلـك مـن خلال تحليله الدقيق، وفهمه العميق لهذا الفن.

٣. الاستعارة:-

---

[١] سورة الحديد، آية (٢١).
[٢] سورة العنكبوت، آية (٤١).
[٣] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٤.
[٤] سورة الرحمن، آية (٢٤).
[٥] سورة الرحمن، آية (١٤).
[٦] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٥.

وهي ضرب من ضروب التشبيه حذف فيه المشبه والمشبه به، وتكون العلاقة فيه بين المشبه والمشبه به هي المشابهة مثل قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً)[١]، فقد استعار لفظ الإنبات للدلالة على الخلق، وبذلك بين يكون التشبيه والاستعارة اتصال، وبمعنى آخر هي طريق من طرق التشبيه[٢].

ولقد عرف الرُّمَّاني الاستعارة: أنها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة[٣].

وفرق بين التشبيه والاستعارة، فما كان من التشبيه بأداة في الكلام، فهو على أصله، لم يغُير عنه في الاستعمال، بينما الاستعارة ليست كذلك، وذلك لأن مخرج الاستعارة مخرج ما ليست العبارة له في أصل اللغة، إذ إن التشبيه عقد علاقة بين شيئين اتفقا في صفة ما، كالعلم نور والاستعارة تشبيه حذف فيه المشبه أو المشبه به[٤].

ويشير لنا الرُّمَّاني بهذا التعريف إلى الفعل الوظيفي للاستعارة وذلك في تحويل الدلالة من الأصل الذي وضعت له في اللغة إلى دلالة جديدة مضافة بحسب متطلبات التعبير، وبهذا يؤدي التحويل الدلالي إلى تحقيق التشكيل الاستعاري لغرضه في تجسيد المعنى وتثبيته وتجليته[٥].

ويذكر لنا الرُّمَّاني أن كل استعارة لابد فيها من وجود الشروط التالية:-

١ -مستعار: وهو اللفظ الذي نقل عن أصل إلى فرع للبيان.

٢ -مستعار له.

٣ -مستعار منه.

وإن كل استعارة بليغة فهي جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما، يكسب بيان أحدهما بالآخر كالتشبيه إلا أنه بنقل الكلمة، والتشبيه بأداته الدالة عليه في اللغة[٦].

ويلاحظ هنا أنه لا تكون الاستعارة بليغة إلا إذا جاوزت معنى الاستعارة الحقيقية وزادت عليه، ويقول الرُّمَّاني: "كل استعارة حسنة فهي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه

---

[١] سورة نوح، آية (١٧).
[٢] محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى القرآن**، د.ط، دار الفكر العربي، د.ت، ص٢٣٩.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٥.
[٤] المصدر نفسه، ص٨٥.
[٥] نواف قوقزة، **التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد**، ط١، وزارة الثقافة، عمان – الأردن، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص١٠٠.
[٦] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٦.

الحقيقة، إذ أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة لكانت أولى به، ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة، فلابد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة"[١].

فالرُّمَّاني هنا كأنه يقرن الاستعارة الحقيقية بالاستعارة اللغوية، والاستعارة البليغة بالاستعارة التي تدخل في دائرة المجاز. وبناءً على هذا القول فالرُّمَّاني ينظر إلى الاستعارة باعتبارها استعمالاً مجازياً، واكتفى بذكرها عن ذكر المجاز، ما يعني أنه يرى فيما هو قسيم للحقيقة مجازاً[٢].

وكما قال الرُّمَّاني: إن كل استعارة لابد لها من حقيقة كقول امرئ القيس في صفة الفرس: قيد الأوابد، والحقيقة فيه: مانع الأوابد، وقيد الأوابد أبلغ وأحسن[٣].

ويذهب الرُّمَّاني إلى الناحية التطبيقية، وذلك مما جاء في القرآن الكريم، ما فيه من الاستعارة على جهة البلاغة.

قال تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)[٤]، فحقيقة (قدمنا هنا) عمدنا، وقدمنا أبلغ منه؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر، وذلك من أجل إمهاله لهم، كمعاملة الغائب عنهم فقدم فرآهم على غير أمرهم، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما هو العدل؛ وذلك لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم بذلك يكون أبلغ. وأما "هباءً منثوراً" فقد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة[٥]، وأرى هنا أن الرُّمَّاني يذكر لنا الآية، ثم يبرز معناها الحقيقي، ثم معناها البليغ.

قال تعالى:- (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[٦]. حقيقته فبلّغ بما تؤمر، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، وذلك لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة، والتبليغ هنا قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيكون بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما هو الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ.

---

[١] المصدر نفسه، ص٨٦.
[٢] محمد حسين علي الصغير، **مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية**، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٨.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٦.
[٤] سورة الفرقان، آية (٢٣).
[٥] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٧.
[٦] سورة الحجر، آية (٩٤).

ومن الأمثلة على الاستعارة في القرآن الكريم من جهة البلاغة قوله عز وجل: (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)[١]، فحقيقته علا، والاستعارة أبلغ، لأن طغى علا قاهراً، وهو مبالغة في عظم الحال. وقوله تعالى: (بريح صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)[٢]، حقيقته شديدة، والعتو هنا أبلغ منه؛ لأن العتو فيه شدة وتمرد.

وقولـــه تعالى: (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ)[٣]، فشهيقاً حقيقتـــه صوت فظيع كشهيق الباكي، والاستعارة هنا أبلغ منه وأوجز، والمعنى الجامع بينهما هو قبح الصوت، وهذا يعني أن الاستعارة على بلاغتها لابد أن تحمل معنى الإيجاز، فالغيظ والتغـــيظ مستعاران من الحالة الوجدانية التي تدعو إلى الانتقام للحالة المتوهمة من نار الله.

ويستمر الرُّمَّاني في عقد الصلة بين الاستعارة والنفس، كما لاحظنا هذا الأمـــر فـــي التشبيه، وذلك في قوله تعالى: "تميز من الغيظ"، حقيقته من شدة الغليان بالاتقاد، والاســـتعارة أبلغ منه، وذلك لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس ومُدرك ما يدعو إليـــه مـــن شـــدة الانتقام، فقد اجتمع هنا شدة في النفس تدعو إلى شدة انتقام في الفعل وفي هذا أكبر الـــوعظ، ودليل على سعة القدرة[٤].

ويلاحظ أن الرُّمَّاني يتمتع بذوق أدبي، وذلك من خلال احتراسه فـــي قولـــه تعـــالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا)[٥]، فذرني هنا مستعار، وحقيقته ذر عقابي ومن خلقت وحيداً بترك مسألتي فيه، إلا أنه أخرج لتفخيم الوعيد مخرج ذرني وإياه لأنه أبلغ، وإن كان الله عز وجـــل لا يجوز عليه المنع، وإنما صار أبلغ وذلك لأنه لا منزلة من العقاب إلا وما يقدر الله تعـــالى عليه منها أعظم، وهذا أعظم ما يكون في الزجر[٦].

فالرُّمَّاني يراعي مستويات المخاطبين، وذلك من خلال حديثه عـــن قولـــه تعـــالى:- (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ)[٧]، فالله عز وجل لا يشغله شأن عن شأن، ولكن هذا أبلغ في الوعيد، الوعيد، وهذا دليل على المبالغة من الجهة التي هي أعرف عند العامـــة والخاصـــة بموقـــع الحكمة.

---

[١] سورة الحاقة، آية (١١).
[٢] سورة الحاقة، آية (٦).
[٣] سورة الملك، آية (٧-٨).
[٤] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٧.
[٥] سورة المدثر، آية (١١).
[٦] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٨.
[٧] سورة الرحمن، آية (٣١).

وقوله تعالى:- (رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً)[١]، حقيقته تكون لنا ذات سرور، والاستعارة هنا أبلغ وذلك لما للإحالة فيه على ما قد جرت العادة بمقدار السرور به[٢].

وقوله تعالى:- (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً)[٣]، إن أصل الاشتعال للنار وهو في هذا الموضع أبلغ، والحقيقة هي كثرة شيب الرأس، ولما كانت الكثرة تتزايد بسرعة صارت في الانتشار كاشتعال النار، وهنا بلاغة عجيبة؛ وذلك لأن الشيب في الشعر انتشر انتشاراً لا يتلاقى كاشتعال النار[٤]، فالمستعار منه هو: النار، والمستعار له هو: الشيب، والجامع بينهما هو: الانبساط، ولكنه في النار أقوى، فالطرفان حسيان ووجه الشبه حسي.

وقوله تعالى:- (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[٥]، فالتنفس هنا مستعار، وحقيقته إذا بدأ بالانتشار بالانتشار وتنفس أبلغ منه، ومعنى الابتداء فيهما، والتنفس أبلغ وذلك لما يوجد فيه من الترويح عن النفس.

قال تعالى:- (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)[٦]، فحقيقته لا تمنع نائلك كل المنع، والاستعارة هنا أبلغ، وذلك لجعل منع النائل بمنزلة اليد المغلولة إلى العنق، وذلك مما يحسن حال التشبيه فيه بالمنع فيهما، إلا أن حال المغلول (اليد) أظهر وأقوى فيما يكره.

ويستخدم الرُّمَّاني الوسائل المحسوسة، التي تساعد على ظهور الاستعارة وقد مثّل ذلك بقوله تعالى:- (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا)[٧]، فكل خوض ذمّه الله عز وجل في القرآن، فلفظه مستعار من خوض الماء، وحقيقته يذكرون في آياتنا، والاستعارة هنا أبلغ لإخراجه إلى ما تقع عليه المشاهدة من الملابسة[٨].

---

[١] سورة المائدة، آية (١١٤).
[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٨.
[٣] سورة مريم، آية (٤).
[٤] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٨.
[٥] سورة التكوير، آية (١٨).
[٦] سورة الإسراء، آية (٢٩).
[٧] سورة الأنعام، آية (٦٨).
[٨] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩١.

وفي قوله تعالى:- (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ)[١]، فهذا مستعار وحقيقته نـدموا لمـا رأوا أسباب الندم، فالاستعارة هنا أبلغ للإحالة فيه على الإحساس لما يوجب الندم بما سـقط فـي اليد[٢]. وفي قوله تعالى:-(أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ)[٣]، بالأمْس)[٣]، فأصل الحصيد هنا للنبات وحقيقته مهلكة، فالاستعارة هنا أبلغ، وذلك لما فيه من الإحالة على إدراك البصر، وهذا دليل آخر قدّمه الرُمَّاني في استخدامه للوسائل المحسوسة كما لاحظنا ذلك من خلال الآيات الكريمة.

كما يلاحظ أن الرُمَّاني اهتم بالأثر النفسي للكلام البليغ في أكثر من موطن، فهذا الأثر في نظره يتسلل إلى النفس عن طريق حاسة السمع، أو البصر، أو الذوق، أو غير ذلك، ومنه قوله تعالى:- (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً)[٤]، أشار لنا الرُمَّاني إلى هذا الأثر النفسي، وحقيقته منعناهم من الإحساس بآذانهم من غير صمم، والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ، فالمنع من الإحساس لا يُحَسّ وإنما دل على عدم الإحساس بالضـرب على الآذان دون الضرب على الأبصار، لأنه دل على المراد بالضرب على الأبصار من غير عمى[٥]، ويلاحظ هنا أن الشواهد التي جاء بها هي شواهد قرآنية، إذ درس الرُمَّاني الاستعارة الاستعارة من الناحية التطبيقية والنظرية.

٤. التلاؤم:-

هو الموصوف بالحسن والبلاغة، وقد جعله الرُمَّاني في أحد أقسام البلاغة العشـرة، فالتلاؤم عنده نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف[٦]، ولقد بدأ الرُمَّـاني هـذا الباب كغيره من الأبواب بتعريف المصطلح الذي يتناوله، وعندما قال: إن التلاؤم هو: نقيض التنافر، وتعديل الحروف في التأليف، نراه يقسم التأليف إلى ثلاثة أوجه:-

١- متنافر.   ٢-متلائم في الطبقة الوسطى.   ٣-متلائم في الطبقة العليا.

ويُورد الرُمَّاني مثالاً للتأليف المتنافر كقول الشاعر:-

وقَبْـرُ حَـربٍ بمكـانٍ قَفْـرٍ   ولَيْسَ قُـرْبَ قَبْـرِ حَـرْبٍ قَبْـرُ

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٤٩).

(٢) الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٤.

(٣) سورة يونس، آية (٢٤)

(٤) سورة الكهف، آية (١١).

(٥) وليد قصاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجـري**، د.ط، دار الثقافـة، الدوحة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٢٤٦.

(٦) الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٤.

وتعليق الرُّمَّاني عليه أنّه من أشعار الجن، وذلك لأنه لا يتهيأ لأحدٍ أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع، والسبب في ذلك هو تنافر الحروف، ويلاحظ هنا أن الرُّمَّاني قد ذم التأليف المتنافر، أما المتلائم في الطبقة الوسطى فهو كلام البشر، والمتلائم في الطبقة العليا هو الإعجاز القرآني.

أما التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى فمثاله قول الشاعر أبي حية النميري:

رَمتني وسِترُ الله بيني وبينَها   عَشِيَّةَ آرام الكِنَاس رميمُ
رميمُ التي قالت لجيران بيتها   ضَمِنْتُ لكم ألا يزالَ يهيمُ
ألا ورُبَّ يوم لو رمَتْني رمَيْتُها   ولكنّ عهْدي بالنِّضال قديمُ[(١)]

والمتلائم في الطبقة العليا هو القرآن كله، والفرق كبير بينه وبين غيره من الكلام أي الفرق بين كلام الله وكلام البشر، إذ يلاحظ هنا أن الرُّمَّاني لم يضع كلام الله ويشرحه، وإنما اكتفى بأن قال: والفرق بينه أي (كلام الله) وبين غيره من الكلام (كلام البشر) في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى. وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفطنة له من بعض، كما أن بعضهم أشد إحساساً بتميز الموزون في الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق، والسبب في التلاؤم هو تعديل الحروف في التأليف كما يقول الرُّمَّاني ، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما[(٢)].

وأمّا التنافر فيرجع إلى الناحية المعنوية، إذ السبب فيه ما ذكره الخليل بن أحمد من البعد الشديد أو القرب الشديد. وبهذا يكون التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد، فإذا قرب القرب الشديد بمنزلة مشي المقيد، وإذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، لأنه يكون بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه وهذا صعب على اللسان، والسهولة تكون في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإبدال والإدغام[(٣)].

ويرى الرُّمَّاني أن الفائدة من التلاؤم تكون في حسن الكلام في السمع، وسهولته في النطق، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريقة الدلالة، ومثال هذا قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الحرف والخط، وقراءته في أقبح ما يكون من الحرف والخط، فهذا فيه اختلاف في الصورة وإذ كانت المعاني واحدة.

---

(١) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٥.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٦.

وعندما قال الرُّمَّاني: إن التلاؤم يكون في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد، فنرى هنا أن هذه نظرية المعتزلة عندما قالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فتم اختيار أواسط الأمور، فتأثر الرُّمَّاني بهذه النظرة وأخذ بها في اعتدال الحروف في الكلمة، واعتدال الكلمات مع بعضها البعض.

وبذلك يظهر لنا سهولته على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع، فإذا أضيف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات، ظهر الإعجاز، فالإعجاز كما نراه عند الرُّمَّاني لا يقف عند حد التلاؤم بل مع ذلك صحة البرهان، فالتلاؤم كالصورة، والبرهان كالمضمون[١].

ويذكر الرُّمَّاني أن التحدي به للجميع، وذلك لرفع الإشكال، ولقد جاء على جهة الإخبار بأنه لا تقع المعارضة، وذلك لأجل الإعجاز، ولأجل إبراز جماليات القرآن الكريم وبلاغته، ويورد الرُّمَّاني أن درجات التحدي في القرآن الكريم على مراتب وهي كالتالي:-

١ قوله تعالى:- (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[٢].

٢ قوله تعالى:- (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا)[٣].

٣ قوله تعالى:- (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)[٤].

٤ قوله تعالى:- (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)[٥].

٥ قوله تعالى:- (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ)[٦].

وقد قامت الحجة على العربي والعجمي بعجز الجميع عن المعارضة، إذ بذلك يتبين المعجزة، ويلاحظ هنا أن التحدي إنما كان بالألفاظ والأساليب، وذلك لأن الأمة أمة بليغة.

ويُورد الرُّمَّاني مثالاً تطبيقياً من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)[١]، وسبق أن تكلمنا عن هذا في باب الإيجاز، فسر الجمال عند الرُّمَّاني يكمن في التعبير

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٦.
[٢] سورة البقرة، آية (٢٣).
[٣] سورة البقرة، آية (٢٤).
[٤] سورة الإسراء، آية (٨٨).
[٥] سورة الطور، آية (٣٤).
[٦] سورة هود، آية (١٣).

التعبير القرآني ويكمن في غيره. فنرى هنا إن سر الجمال عنده يكمن في التعبير القرآني ويكمن في غيره من الكلام وفنون التعبير الأخرى.

ومن هذا يتضح أن الرُّمَّاني قد استفاد من الدراسات اللغوية، وما تشتمل عليه من مخارج الحروف، والانتقال من حرف إلى آخر، وما يسببه هنا الانتقال من سهولة التلاؤم، وما يصحبه من صعوبة في حالة التنافر.

٥. الفواصل:-

عرّف الرُّمَّاني الفواصل بأنها:- حروف متشكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، فالفواصل بلاغة، والأسجاع عيب.

ويفهم من تعريف الرُّمَّاني هنا أنه يقصد نهايات الآيات، فيفرق الرُّمَّاني هنا بين الفواصل والأسجاع كما هو ملاحظ، فيمدح الفواصل، ويعيب الأسجاع وهذا بسبب أن الفواصل تابعة للمعاني، فالمعاني هي الغاية من وجودها، أما الأسجاع فالمعاني تكون تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذ أن الغرض إنما هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة، فإذا كانت المشاكلة موصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب؛ لأنه تكلف من غير الوجه الذي توجبه الحكمة[٢].

ونفهم هنا من كلام الرُّمَّاني أنه يشير إلى نوع من الأسجاع التي تتكلف المعاني أي المرذولة، والتي لا تكون المعاني غايتها.

ويضرب لنا الرُّمَّاني مثالاً للسجع المتكلف، غير المفيد في معناه، ما يُحكى عن بعض الكُهان، مثل: "والأرض والسماء والغراب الواقعة بنقعاء، لقد نفر إلى المجد إلى العشراء"[٣].

ويضرب مثالاً آخر من السجع المتكلف وهو قول مُسَيلمة الكذاب: "يا ضِفْدعَ نُقّي كم تَنِقّين، لا الماءَ تُكدّرين ولا النهرَ تُفارقين".

فيرى الرُّمَّاني أن هذا الكلام غثٌ؛ وذلك بسبب تكلف المعاني من أجله، وجعلها تابعة له، وذلك من غير أن يبالي المتكلم بها.

ويخلص الرُّمَّاني من هذا ليقول: إن فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها[١].

---

[١] سورة البقرة، آية (١٨٩).
[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٧.
[٣] المصدر نفسه، ص٩٧.

ولعل الحكمة في نظر الرُّمَّاني إلى السجع هو أن ذلك كان مبنياً على أساس ما أمامه من سجع الكهّان، وما فيه من الغرابة الذي لا يقبل جدالاً، وإلا فمن السجع ما يزيد المعنى قوة، وتكون ألفاظه تابعه لمعانيه، ويسهل قبوله، ويأتي عاملاً من عوامل التأكيد[٢].

والفواصل عند الرُّمَّاني كلمات تتفق في نهاية حروفها بعضها مع بعض، ومن ذلك ما يلي:-

١ -الفواصل التي بين حروفها تجانس، مثل قوله تعالى:- (طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى)[٣]، فكلمة (تشقى)، و(يخشى)، هي الفواصل والحروف (الشين والألف المقصورة) متجانسة في الكلمتين ومتساوية[٤].

وكذلك قوله تعالى:- (وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)[٥]، فكلمة (الطور) و(مسطور) هي الفواصل، والحروف (الطاء والراء) متجانسة في الكلمتين.

٢ -الفواصل التي بين حروفها تقارب في النطق، مثل الميم والنون في قوله تعالى:- (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[٦]، وذلك في النون في كلمتي (الرحمن، والدين)، والميم في كلمة (الرحيم)، وأيضاً في قوله تعالى:- (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)[٧]، فالحروف المتقاربة هنا الدال مع الباء وهي، كالدال في كلمة (المجيد)، والباء في كلمة (عجيب).

ويميّز الرُّمَّاني في نهاية حديثه عن باب الفواصل بين الفواصل والقوافي، فالفواصل تكتنف الكلام من البيان بما يدل على المراد في تميز الفواصل والمقاطع، وذلك لما فيه من البلاغة وحسن العبارة، وأما القوافي فجمالها وحسنها يكون في وجود الوزن، ومجانسة القوافي، ولو بطل أحد الشيئين لبطل الحسن الذي له في الأسماع، ولنقصت رتبته في الأفهام، ومن هنا يبين لنا الرُّمَّاني فائدة الفواصل في دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبدائها في الآي بالنظائر[٨].

---

[١] المصدر نفسه، ص٩٨.

[٢] عبد الفتاح لاشين، **من أسرار التعبير في القرآن (الفاصلة القرآنية)**، د.ط، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص١٠.

[٣] سورة طه، آية (١-٢).

[٤] أبو علي، **دراسات في الإعجاز البياني**، مرجع سابق، ص٦٨.

[٥] سورة الطور، آية (١-٢).

[٦] سورة الفاتحة، آية (٣-٤).

[٧] سورة ق، آية (١-٣).

[٨] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٨-٩٩.

وقد اختلف البلاغيون في تسمية أواخر الآيات هذه أتكون سجعاً أم فواصل؟ ولكن أغلبهم مال إلى تسميتها بالفاصلة، تفريقاً لها عن السجع في الكلام المنثور وبذلك فعلوا حُسناً، وكثير منهم قالوا بان التعبير القرآني في الحذف أو التقديم، والتأخير، وغيرها من الأساليب يراعي الفاصلة، بمعنى أنه يخضع لسياق الفاصلة التي ترد على صيغة أو على وزن أو حرف أو روي[١].

وبذلك تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى بالفواصل لأنه ينفصل عندها الكلام كالقافية في الشعر العمودي، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولا تسمى سجعاً. وبناءً على هذا أيكون في القرآن الكريم سجع أم لا؟

وقد لاحظنا من خلال تعريف الرُمَّاني للفواصل بأنها حروف متشاكلة في المقاطع، فهي بذلك بلاغة، أما الأسجاع فهي عيب[٢]، لذلك ينفي الرُمَّاني وجود السجع في القرآن الكريم، إذ يرجع إلى تبعية المعاني للألفاظ دائماً، أو قيام السجع على التكلف، ومن هذا المنطلق ذم الرسول ρ سجع الكُهّان، وذلك لأن التكلف في سجعهم منتشر[٣]. كما نفى القرآن الكريم عن الرسول الكريم قول الشعراء، وقول الكُهّان، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤]. ومن ومن المثبتين لوجود السجع في القرآن الكريم الجاحظ، وابن سنان الخفاجي، وابن الأثير، والعلوي[٥].

وقد جاءت الفواصل القرآنية عميقة الدلالة، تحتاج إلى تدبر؛ ليتبين للمستمع عمق دلالتها، ونماذجها ليست بالقليلة، وذلك لأن القرآن الكريم نزل مخاطباً جميع العقول، وكثر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد واللين، والنون، وحكمته وجود التمكن مع التطريب، أي حدوث انسجام صوتي في النطق وعذوبة في السمع[٦]، كما يلاحظ هذا فيما ذكره الرُمَّاني عن الفواصل واستشهاده بالآيات القرآنية الدالة.

---

[١] شلتاع عبود، **الإعجاز القرآني أسلوباً ومضموناً**، ط١، دار المرتضى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص١٢٥.
[٢] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٧.
[٣] عبد الجواد محمد طبق، **دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية**، ط١، دار الأرقم، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص٧٦-٧٧.
[٤] سورة الحاقة، آية (٤٠-٤٢).
[٥] طبق، **دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية**، مرجع سابق، ص٧٦.
[٦] البدراوي زهران، **ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين**، ط١، دار المعارف، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٢٠٥، ٢١٦.

٦. التجانس:-

وقد عرّفه الرُمّاني بأنه "بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد"[١]. ويرى أنه على وجهين هما:-

١- **تجانس المزواجة:** والمزواجة تقع في الجزاء، كقوله تعالى:- (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)[٢]، أي جازوه بما يستحق طريق العدل، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزواجة الكلام وذلك لحسن البيان.

ومنه قوله تعالى:- (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)[٣]، حيث استخدم المكر مع الله بدلاً من الجزاء على سبيل المزواجة وذلك للدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم، وقد سمى البلاغيون ذلك بالمشاكلة[٤]، ومنه وقوله تعالى:- (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)[٥]، أي يجازيهم على استهزائهم. ومنه قول الشاعر عمرو بن كلثوم:

ألا لايجْهَلَنْ أحَدٌ علينَا فنجْهَلَ فوقَ جهْلِ الجاهِلِينَا[٦]

فهذا حسنٌ في البلاغة، ولكنّه دون بلاغة القرآن؛ وذلك لأنه لا يؤذن بالعدل كما آذنت بلاغة القرآن الكريم، فيوجد تجانس بين الجهل في الشطر الأول (الظلم)، والجهل في الشطر الثاني (ظلم من ظلمنا)، فالأول بمنزلة الأصل والثاني بمنزلة الفرع الذي يُحتذى فيه على

---

[١] الرُمّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٩.
[٢] سورة البقرة، آية (١٩٤).
[٣] سورة آل عمران، آية (٥٤).
[٤] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص١٤٦.
[٥] سورة البقرة، آية (١٤).
[٦] عمرو بن كلثوم التغلبي، **ديوان عمر بن كلثوم**، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص١٥٦.

الأصل، فلذلك نقصت منزلة قول العرب الجزاء بالجزاء عن الاستعارة بمزاوجة الكلام في القرآن الكريم[١].

٢- **تجانس المناسبة:** ويدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، من مثل قوله تعالى:- (ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)[٢].

فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فُذهب عنها الخير[٣].

ومنه أيضاً قوله تعالى:- (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)[٤]. فيذكر الرُّمَّاني هنا أنه جونس بإرباء الصدقة ربا الجاهلية، والأصل واحد وهو الزيادة وجعل بدل الزيادة المذمومة زيادة محمودة، ومنه قوله تعالى:- (يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ)[٥]، فجونس بالقلوب التقلب، والأصل واحد، فالقلوب تنقلب بالخواطر، والأبصار تتقلب في المناظر والأصل التصرف[٦].

وهذا النوع من التعبير اللفظي يهدف إلى إحداث تأثيرين أحدهما صوتي:- وهو توفير نوع خاص من الانسجام في النظم، أما التأثير الثاني فهو معنوي ناتج من سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه، وهذا ما عناه الرُّمَّاني في كلا الوجهين المزاوجة والمناسبة[٧].

ويلاحظ هنا أن الرُّمَّاني لم يضف جديداً يذكر، وذلك أن تجانس المزاوجة لم يبعد عن قول الفرّاء فيه، وكذلك كلامه في تجنيس المناسبة لم يخرج مما ذكره ابن المعتز[٨]، فالرُّمَّاني مسبوق إلى هذا الفن من مجموعة من العلماء كما رأينا.

٧. التصريف:-

---

(١) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٠.
(٢) سورة التوبة، آية (١٢٧).
(٣) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٠.
(٤) سورة البقرة، آية (٢٧٦).
(٥) سورة النور، آية (٣٧).
(٦) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٠.
(٧) العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص١٤٦.
(٨) المرجع نفسه، ص١٤٧.

يعدّ الرُمَّاني أول من أدخل التصريف في بحوث البيان، وهو أول من أشار إلى أن التصريف في القرآن الكريم أبلغ من التصريف في كلام العرب، فهذا الباب من الأبواب الجديدة التي أضافها الرُمَّاني إلى بلاغة القرآن[١].

ويعرفه الرُمَّاني بأنه "تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة وهو عقدها به على جهة التعاقب"[٢].

ويفهم هنا من كلام الرُمَّاني أن التصريف على قسمين:-

الأول:- تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريف الألفاظ المشتركة في أصل واحد، وذلك مثل التصريفات المستخرجة من "الملك" في معاني الصفات؛ فصرف في معنى مالك، وملك، وذي الملكوت، والمليك، وفي معنى التمليك، والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك[٣].

وكذلك تصريف معنى العرض في الأعراض، والاعتراض، والاستعراض، والتعريض والمعارضة، والعرض، والعروض، وكل هذا منعقد بمعنى الظهور، ومنه أيضاً التعريض للأمر وذلك لأنه طلب لظهوره بالفعل، ومنه العروض لأنه ميزان الشعر يظهر به المنكسر من المتزن، ومنه المعارضة لأنها مقابلة يقع منها ظهور المساواة أو المخالفة، ومنه الاستعراض للجارية؛ لأنه طلبٌ لظهورها للحاسة، ومنه المعُرض لأنه ظهور الشيء به أبين.

وبعد هذا التحليل الاشتقاقي يلاحظ أن الرُمَّاني يبين فائدة هذا القسم في البلاغة، وذلك بأنه يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره، وتدل عليه. وأرى هنا أن الرُمَّاني أكثر من ذكر الأقسام والتصاريف.

والثاني:- تصريف المعنى في الدلالات المختلفة[٤]. ويلاحظ ارتباط هذا التصريف بالقرآن الكريم، وكيف وظّف الرُمَّاني البلاغة لخدمة الإعجاز القرآني، فذُكرت قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وفي سورة طه، وفي سورة الشعراء وغيرها؛ وذلك لوجوه من الحكمة منها:-

- التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة.
- تمكن العبرة والموعظة.

---

(١) المحمدي عبد العزيز الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن**، ط١، دار الطباعة المحمدية الأزهر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٢٣٠.

(٢) الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠١.

(٣) الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠١.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٢.

- حل الشبهة في الإعجاز.

وذكر الرُمَّاني في هذا الباب أن الأشياء على وجهين: فيها ما لا يدخل تحت الممكن فيه المعارضة، ومنها ما يدخل تحت الممكن، فالأول مثاله كالتحدي بعدد يضرب في عدد، فيكون منه خمسة وعشرون، غير خمسة في خمسة، وكذلك سبيل الجذور، فلو قيل لنا جذر مئة عشر، هاتوا لها جذراً غير العشرة، وليس كذلك سبيل أعلى الطبقات في البلاغة وذلك لأن الذي قرر أن يأتي بسورة آل عمران، والذي قرر على المائدة هو الذي قرر على الأنعام وهو الله عز وجل الذي يقدر على أن يأتي بما يشاء من مثل القرآن الكريم، فظهور الحجاج على الكفار بأن أتى في المعنى الواحد بالدلالات المختلفة فيما هو من البلاغة في أعلى طبقة[١].

ونرى هنا أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة لا تؤدي معنى واحداً، فكل تكرار يؤدي غرضاً معيناً، ويلاحظ أن كثيراً من القصص، ويلاحظ أن كثيراً من القصص تتكرر في مواضع كثيرة ومختلفة، وعلى ترتيبات متفاوتة، فبذلك يتم العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم، ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة، ولعبّروا عنها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني نفسها.

يُستنتج من هذا أن غاية الرُمَّاني ومقصده الأول في كل هذه الوسائل هو تجلية إعجاز القرآن الكريم، من خلال هذا الباب (التصريف) وغيره من الأبواب الأخرى التي ذكرت أو التي سيرد ذكرها.

٨. التضمين:-

التضمين عند الرُمَّاني كما في غيره من الأبواب من أقسام البلاغة العشرة التي دلل بها على بلوغ القرآن الكريم أسمى مراتب البلاغة.

والتضمين عندّه: هو تضمين الكلام ومعناه: "حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة"[٢]، ويقسمه الرُمَّاني إلى قسمين، هما:-

١ -ما يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، كذكر الشيء بأنه محدث، فهذا يدل على المحدث دلالة الإخبار، وكذلك سبيل المكسور ومكسر، وساقط ومسقط.

٢ - ما يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عز وجل خاصة، لأنه تعالى لا يذهب عليه وجه من وجوه الدلالة[١].

---

[١] المصدر نفسه، ص١٠٢.

[٢] الرُمَّاني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٢.

وأرى هنا أن الرُّمَّاني قد ربط بين التضمين وبين بلاغة القرآن التي جمعت ألوان البلاغة كلها، وأنه قسّم التضمين إلى قسمين هما غير السابق، فالرُّمَّاني يقدم ما يريد بأكثر من وسيلة، لكي يستوعب أكبر قدر ممكن من المستفيدين في درسه، والآخذين بآرائه، وهذا التقسيم هو[٢]:-

- تضمين يوجبه البنية مثل الصفة بمعلوم توجب أنه لابد من عالم مثلا.
- تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به، مثل: الصفة بـ(قاتل) يدل على مقتول، من حيث لا يصح معنى قاتل دون وجود مقتول، فهو على دلالة التضمين.

وتضمين يوجبه معنى العبارة من جريان العادة، كقولهم "الكُرّبستين"، فالمعنى فيه بستين ديناراً فهذا مما حذف وضمن الكلام معناه لجريان العادة به. ويرى الرُّمَّاني أن التضمين كله إيجاز، استغنى به عن التفصيل إذ كان مما يدل دلالة الإخبار في كلام الناس[٣].

ويذكر الرُّمَّاني هنا أن كل آية من كتاب الله عز وجل لا تخلو من تضمين معنى لم يذكر باسم أو صفة، ويورد مثالاً من القرآن الكريم فيه معنى التضمين وذلك في قوله تعالى:- (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقد تضمن التعليم وذلك استفتاح الأمور على التبرك به، والتعظيم لله عز وجل بذكره، وأنّه أدب من آداب الدين، وشعار للمسلمين، وفي ذلك إقرار بالعبودية، واعتراف بالنعمة التي هي أجلّ النعم، وأنه ملجأ الخائف[٤].

٩. المبالغة:-

كما يبين لنا الرُّمَّاني أن المبالغة وجه من وجوه البلاغة العشرة، والتي تضمنها القرآن الكريم، ويلاحظ أنه عمل على تعريف المبالغة أولاً ثم حلل أوزانها، وذكر وجوهها، إذ أن دراسته كانت دراسة شاملة ووافية.

ويعرف لنا الرُّمَّاني المبالغة قائلا:- "هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة"[٥]، والمبالغة عند الرُّمَّاني على وجوه وأضرب، هي:-

١ -المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية، بمعنى المبالغة، أي التعبير بصيغة تدل على المبالغة، ولقد جاء لها الرُّمَّاني بعدة أبنية هي:- فعْلان كرحْمن، عدل عن راحم

---

[١] المصدر نفسه، ص١٠٣.
[٢] المصدر نفسه، ص١٠٣.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٣.
[٤] المصدر نفسه، ص١٠٣.
[٥] المصدر نفسه، ص١٠٤.

للمبالغة، ويجب الحذر هنا إلى أن هذه الصيغة التي مثالها (الرحمن)، لا يجوز أن يوصف بها غير الله عز وجل، لأنه يدل على معنى لا يكون إلا لذات الله عز وجل.

- ومنها فعّال، كقوله تعالى:- (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ)[١]. معدول عن غافر للمبالغة، ومثاله أيضاً عَلام، معدول عن عالم للمبالغة.
- ومنها فعُول، كَغفُور، وشَكُور، ووَدُود.
- ومنها فعِيل، كقدِير، ورحِيم، وعَلِيم، وكَرِيم.
- ومنها مِفعّل، كَمِدْعس، ومِطْعَن.
- ومنها مِفْعَال، كمِنْحَار، ومِطْعَام.

٢ - المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة، كقوله تعالى:- (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[٢]. وكقول القائل:- "أتاني الناس" ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فأستكثرهم وبالغ في العبارة عنهم، ونرى أن هذا تعبيراً عن كثرة من جاء.

٣ - إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، كقول القائل: جاء الملك إذا جاء جيش عظيم له، ومنه قوله عز وجل:- (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا)[٣]. فجعل الرُمّاني مجيء دلائل الآيات مجيئاً له على المبالغة في الكلام، ومنه قوله تعالى:- (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ)[٤]، أي أتاهم بعظيم بأسه، فجعل ذلك إتياناً على المبالغة[٥].

ومنه قوله تعالى:- (فلمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا)[٦]. فالرُمّاني بهذا الضرب قد أدخل بعض أنواع المجاز في المبالغة، فالأمثلة السابقة فيها مجاز بالحذف، على أن الأصل جاء جيش الملك، وجاءت آيات ربك وتجلت، دلائل عظمة ربك[٧].

---

[١] سورة طه، آية (٨٢).
[٢] سورة الأنعام، آية (١٠٢).
[٣] سورة الفجر، آية (٢٢).
[٤] سورة النحل، آية (٢٦).
[٥] الرُمّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٥.
[٦] سورة الأعراف، آية (١٤٣).
[٧] الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٢٠٦.

٤ -إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة، نحو قوله تعالى:- (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)[١]، أي لا يدخل الجمل في سم الخياط، ولا يدخل هؤلاء الجنة وإنما هذا على البعيد.

٥ -ومن المبالغة عند الرُّمَّاني هنا إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل، والمظاهرة في الحجاج، فمن ذلك قوله تعالى:- (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٢]، أي أن أحد الفريقين لعلى هُدىً أو في ضلال مبين.

وعلى هذا النحو خرج قوله تعالى:- (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً)[٣]، فلقد جاء على التسليم أن لهم مستقراً خيراً من حيث جهة السلامة من الآلام، وذلك لأنهم ينكرون إعادة الأرواح إلى الأجسام، فقيل على أصحاب الجنة يومئذٍ خيرٌ مستقرّاً. ومنه قوله تعالى:- (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)[٤]، أي التسليم أن أحدهما أهون من الآخر فيما يسبق إلى نفوس العقلاء.

٦ -حذف الأجوبة للمبالغة، كقوله تعالى:- (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ)[٥]، وقوله تعالى:- (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ)[٦]، وقوله تعالى:- (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)[٧].

ويلاحظ هنا أن الرُّمَّاني أورد كل أمثلته من القرآن الكريم ما عدا مثالاً وهو جاء الملك إذا جاء جيش عظيم له، فالرُّمَّاني دمج بعض فنون المجاز التي عرفت عند السابقين في المبالغة، كأنه قيل في قوله تعالى:- (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) لجاء الحق أو لعظم الأمر، أو لجاء بالصدق، كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم، والحذف عند الرُّمَّاني أبلغ من الذكر، وذلك لأن الذكر يقتصر على وجه، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم؛ وذلك لما قد تضمنه من التفخيم[٨].

---

[١] سورة الأعراف، آية (٤٠).
[٢] سورة سبأ، آية (٢٤).
[٣] سورة الفرقان، آية (٢٥).
[٤] سورة الروم، آية (٢٧).
[٥] سورة الأنعام، آية (٢٧).
[٦] سورة البقرة، آية (١٦٥).
[٧] سورة ص، آية (١-٢).
[٨] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٥، ١٠٦.

ونرى هنا أن عرض الرُّمَّاني للمبالغة بضروبها الستة كلها حسنة، وغاية في الدقة، فلقد درس المبالغة كما هو واضح لنا بصورها القرآنية.

والملاحظ أن الرُّمَّاني لم يقسم المبالغة كما قسمها المتأخرون إلى تبلّغ، وإغراق، وغلو، كما فعل العسكري، وابن رشيق، وإنما جمع عناصرها معاً، ودمج أطرافها في باب واحد، فسار على نهج البلاغيين السابقين من أمثال: ابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، والمبرد[١].

١٠. حسن البيان:-

جعل الرُّمَّاني البيان هنا أحد أقسام البلاغة العشرة، وتناوله لكي يدلنا على فهم إعجاز القرآن الكريم، ومعرفة أسراره.

فقد عرّف الرُّمَّاني البيان على أنه "الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك"[٢]، وقسّمه إلى أربعة أقسام هي:- ١- كلام. ٢- حال. ٣-إشارة. ٤- علامة. فالرُّمَّاني متأثر بالجاحظ في هذه القسمة للبيان[٣]، ثم يبين الرُّمَّاني أن البيان على وجهين هما:-

١ -كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان.

٢ -كلام لا يظهر تميز الشيء، فليس هذا ببيان، كالكلام المخلط، والمحال الذي لا يفهم له معنى.

ويرى الرُّمَّاني أن حسن الإفهام شرط في البيان، لا مجرد الإفهام مع عيّ وفساد، وضرب لذلك مثلاً وهو قول السوادي، وقد سُئل عن أتانٍ معه، فقيل له: ما تصنع بها؟ فقال: أُحبّلها، وتولد لي. فهذا الكلام في نظر الرُّمَّاني قبيح وفاسد، وإن قد فهم به المراد، وأبان معنى الجواب.

فهذا الكلام قبيح ولا يصح أن نطلق عليه بيان حتى لو فهمنا معناه ومنه أيضاً، ما حكي عن باقل، والعرب تضرب به المثل في العي فيقول[٤]: أنه بلغ عيّه أنّه سُئل عن ظبية كانت معه: بكم اشتراها، فأراد أن يقول بأحد عشر، فأخرج لسانه، وفرج عشر أصابعه فأفلتت الظبية من يده، فهذا الكلام ليس من البيان، وإن تم فهم معناه، وذلك لأن الله عز وجل مدح

---

[١] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص١٣٢.

[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٣٢.

[٣] علي البدري، **علم البيان في الدراسات البلاغية**، ط٢، د.م، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص١٠.

[٤] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٦.

البيان واعتد به، فقال تعالى:- (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[١].

وإن حُسن البيان عند الرُّمَّاني له مراتب، فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم؛ حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد، وحتى يأتي على مقدار الحاجة[٢].

ويفهم من كلام الرُّمَّاني هنا، أنه يشترط أربعة أمور لعلو مرتبة البيان، هي:- حُسن الوقع في السمع، والخفة على اللسان، وحُسن التقبل في النفس، وان يكون المقال على قدر المقام، ثم إن البيان في الكلام إما أن يكون باسم، أو صفة، أو يكون بالتأليف من غير اسم المعنى أو صفة، مثل غلام زيد فهذا التأليف يدل على الملك من غير ذكر له باسماً أو صفة.

ودلالة الاشتقاق عند الرُّمَّاني كدلالة التأليف في كونها من غير اسم أو صفة، مثل قائل، تدل على مقتول، وقتل من غير أن يذكر لذلك اسماً أو صفة ولقد تحدثت عن هذا في باب التضمين.

ويشير لنا الرُّمَّاني بأن دلالة الأسماء والصفات متناهية، أما دلالة التأليف فليس لها نهاية، ولذلك صار التحدي فيها بالمعارضة لظهور المعجزة، فلو قال قائل:- لقد انتهى تأليف الشعر حتى لا يمكن أحداً أن يأتي بقصيدة إلا وقد قيلت من قبل، فهذا الكلام باطل وليس صحيحاً؛ وذلك لأن دلالة التأليف ليس لها نهاية[٣]. ويقرر لنا الرُّمَّاني هنا أن القرآن الكريم كله في نهاية حسن البيان، ويعرض لنا كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة التي يبين فيها حسن البيان فهذا كله يؤدي إلى فهم إعجاز القرآن الكريم، وإبراز وجوهه.

قال تعالى:- (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ)[٤]، فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال، وقوله تعالى:- (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ)[٥]، وقال عز وجل:- (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ)[٦]، فهذا من أحسن الوعد والوعيد، وقال

---

[١] سورة الرحمن، آية (١-٣).
[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٧.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٧.
[٤] سورة الدخان، آية (٢٦).
[٥] سورة الدخان، آية (٤٠).
[٦] سورة الدخان، آية (٥١).

عز وجل:- (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[١]، فهذا أبلغ ما يكون من الحِجاج.

وقوله تعالى:- (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ)[٢]، فهذا أشد ما يكون من التقريع، وقوله تعالى:- (الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ)[٣]، وهذا أشد ما يكون من التنفير على الخلّة إلاّ على التقوى، وقوله تعالى:- (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)[٤]، فهذا أشد ما يكون في التحذير من التفريط.

وقوله تعالى:- (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[٥]، وهذا أعظم ما يكون من الوعيد[٦]. وقوله تعالى:- (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ)[٧]، وهذا أشد أشد ما يكون من الإذلال. وقوله تعالى:- (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)[٨]، وهذا أبلغ ما يكون من الحِجاج، لأنه لو كان إلهٌ آخر غير الله لبَطَل الخلق بالتمانع بوجودها دون أفعالها.

ويلاحظ هنا أن الأمثلة التي جاء بها الرُّمَّاني من القرآن الكريم تدل على حسن البيان، وتدور حول التحذير، والوعد والوعيد، والتقريع، والحجاج وذلك كما لاحظنا سابقاً.

وبهذا القسم من أقسام البلاغة العشرة ينهي الرُّمَّاني حديثه عن وجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وهو أحد وجوه إعجازه، فالرُّمَّاني هنا يهتم بالبلاغة ويتبين لنا ذلك من خلال وقوفه على أقسام البلاغة العشرة، فالإعجاز عند الرُّمَّاني يكمن في البديع وفي وجوه البلاغة التي ذكرتها[٩].

ويمكنني الحديث الآن عن البيان عن الوجوه التي ذكرها الرُّمَّاني لإعجاز القرآن الكريم، إذ تحدث الرُّمَّاني في البداية عن البلاغة كونها وجهاً من وجوه الإعجاز ونرى أنّه قد أطال الحديث في توضيح هذا الوجه؛ للدلالة على أن البلاغة في القرآن الكريم بلغت مرتبة عظيمة، وقد أعجزت جميع البلغاء والعرب، ويلاحظ هنا أن الرُّمَّاني له أثر واضح في تشكيل

---

[١] سورة يس، آية رقم (٧٧-٧٨).
[٢] سورة الزخرف، آية (٥).
[٣] سورة الزخرف، آية (٦٣).
[٤] سورة الزمر، آية (٥٦).
[٥] سورة فصلت، آية (٤٠).
[٦] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٨.
[٧] سورة الرحمن، آية (٤١).
[٨] سورة الأنبياء، آية (٢٢).
[٩] الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٢١١.

الإطار البلاغي، وكان له تأثير في غيره من البلاغيين، إذ درسوا المصطلحات البلاغية وعرفوها مثل التشبيه، والاستعارة، والإيجاز، وغيرها. فالرُّمَّاني هنا له فضل كبير وواضح في البلاغة العربية.

فمن وجوه الإعجاز القرآني عند الرُّمَّاني:-

ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، فتوفر الدواعي يوجب الفعل مع الإمكان في واحد كان أو جماعة، والدليل على هذا أن إنساناً لو توافرت دواعيه إلى شرب ماء وهو عطشان، وقادر على شربه، وكل داع يدعو إلى مثله، وهو مع ذلك ممكن له فلا يجوز ألا تقع شربة منه حتى يموت عطشاً، وذلك لتوافر الدواعي فإن لم يشربه مع توافر الدواعي له دلّ ذلك على عجزه عنه، فتوافر الدواعي عند الرُّمَّاني معناه القدرة على الفعل، ولكن لم يفعل ذلك، فهذا دليل على العجز بما أن المعارضة لم تقع[١].

التحدي للكافة:- فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توافر الدواعي إلا للعجز عنها[٢]. ونرى هنا أن هذا الوجه قريب من الوجه السابق.

الصَّرْفة:- الصرفة عند الرُّمَّاني هي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن الكريم معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وهذا خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة[٣].

الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة:- وذلك عندما تبين أنها لا يجوز أن تقع على الاتفاق دلّ على أنّها من عند علام الغيوب الله عز وجل، ومن ذلك قوله تعالى:- (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)[٤]، فكان الأمر بالوعد من الظفر بإحدى الطائفتين: الطائفتين: وهي العير التي كان فيها أبو سفيان، أو الجيش الذي خرج من قريش، فأظفرهم الله عز وجل بقريش يوم بدر على ما تقدم به من الوعد، ويورد الرُّمَّاني مجموعة من الآيات القرآنية التي تضمنت إخباراً عن بعض الحوادث. ومنه قوله تعالى:- (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)[٥]، وقوله تعالى:- (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٩.
[٢] المصدر نفسه، ص١١٠.
[٣] المصدر نفسه، ص١١٠.
[٤] سورة الأنعام، آية (٢٧).
[٥] سورة الروم، آية (١).

رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[١]، وقوله تعالى:- (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا)[٢].

نقض العادة:- إن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر، ومنها الخطب، ومنها السجع، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فجاء القرآن الكريم بطريقة مميزة خارجة عن العادة لها، منزلة في الحُسن تفوق به كل طريقة، ولولا أن الوزن يُحسّن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصاناً عظيماً، ولذلك من جاء بغير الوزن المعروف في الطباع، الذي من شأنه أن يحسّن الكلام بما يفوق الموزون فهو بذلك معجز[٣]. ونرى هنا أن الناس جميعاً لا يقدرون أن يأتوا بمثل القرآن حتى لو عرفوا الشعر وغيره من أصناف الكلام.

قيّاسه بكل معجزة:- يعنى به أن المعجزة في جوهرها إنما تكون في أمر خارج عن العادة، وفي عجز الناس عن معارضته، وبهذا المقياس فإن القرآن الكريم معجزة، سبيله في ذلك سبيل فلق البحر، وقلب العصا حية تسعى، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيل واحد في الإعجاز، إذ خرج عن العادة وقعد فيه الخلق عن المعارضة، فلا يستطيع الناس أن يأتوا بمثل ما جاء به موسى من قلب العصا حية تسعى، وفلق البحر، ولقد ظهر الإعجاز في السور القصار والسور الطوال، قال تعالى:-(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ)[٤]، فوقع التحدي هنا فظهر العجز عن الإتيان بمثل القرآن الكريم حتى ولو بسورة من مثله.

ويقول الرُمَّاني أن معارضة العالي من كلام البشر القرآن الكريم متعذر عليهم، ويضرب مثالاً لهذا فيقول:- لو أن مُفحِماً رام أن يجعل بدل قوافي قصيدة رؤبة[٥]:-

وقاتم الأعماق خاوي المُخترَقْ
مشتبهِ الأعلام لمّاع الخَفَقْ
بكلُّ وفدِ الريح منْ حَيثُ انخرَقْ

فجعل بدل المخترق الممترق، وبدل الخفق الشّفق، وبدل انخرق أنطلق لأمكنه ذلك ولم يجب به قول الشعر ولا معارضة رؤبة في هذه القصيدة عند أحد له أدنى معرفة، وكذلك

---

(١) سورة الصف، آية (٩).
(٢) سورة الفتح، آية (٢١).
(٣) الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١١.
(٤) سورة البقرة، آية (٢٣).
(٥) الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١٢.

سبيل الفواصل وزعم أنه قد عارض، ويبرز لنا الرُّمَّاني أن العرب على بلاغتهم وإقامتهم للأوزان لا يقدرون الإتيان بمثل القرآن الكريم، فكيف يتسنى ذلك للمولدين، وليس فيهم من يقيم الإعراب بالطباع كما يقيم الأوزان، فإذا عجز العرب فالمولدون عنه أعجز أيضا[١].

وأرى من كل ما تقدّم، أن أسلوب الرُّمَّاني في عرض أفكاره هو أسلوب علمي منطقي فلقد جاءت أفكاره متسلسلة ومنظمة، وجاء كتابه مختصراً ذكر في البداية وجوه الإعجاز وأهتم بالبلاغة وهذا دليل على أن إعجاز القرآن الكريم يكون ببلاغته، رغم قوله بالصرفة التي لا تتلاءم مع قوله بإعجاز القرآن وبلاغته، ولقد عرّف بأقسام البلاغة العشرة وذكر شواهد من القرآن الكريم، وبيّن لنا سلاسة أسلوب القرآن الكريم وحسن إيقاعه وانسجام تأليفه ونظمه من خلال حديثه عن تلاؤم الألفاظ.

المبحث الثاني:- أثر النزعة الاعتزالية عنده في الإعجاز

من المسائل التي تَوقف عندها المعتزلة في دراستهم القرآنية، وعالجوها طويلا قضية الإعجاز القرآني، فكانت من أبرز المسائل وأهمها، وكانت هناك مجموعة من الاتجاهات يدور الحديث حولها وذلك للكشف عن إعجاز القرآن الكريم، وبيان السر في هذا الكتاب الكريم[٢]، وكون الرُّمَّاني أحد أعلام المعتزلة فلابد أن يكون قد تأثر بالمعتزلة من عدة جوانب، فنعرض الآن الاتجاه الأول ومدى تأثر الرُّمَّاني بهذا الاتجاه.

١. مبدأ الصّرفة:-

الصّرفة لغة:- هي رد الشيء عن وجهه، قال تعالى:- (ثم انصرفوا)، أي رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وقيل: انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا، قال تعالى:- (ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)، أي أضلهم الله مجازاة على أفعالهم.

---

[١] المصدر نفسه، ص١١٣.

[٢] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٣١٤.

أما في اصطلاح المتكلمين القائلين بها فتعني:- أن أمراً إلهياً خارقاً أجراه الله عز وجل على يد النبي ρ دليلاً على صدقه في دعوة النبوة، فالله عز وجل صرف همم العرب عن معارضة القرآن مع تحديهم بأن يأتوا بسورةٍ من مثله ولو لم يصرفهم الله عز وجل لجاءوا بمثله، فيوجد هنا تطابق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي إذ أن كليهما يعني التحول والانصراف من حال إلى حال، ومن وجه إلى وجه[١].

ويلاحظ أن الصّرفة انتشرت في البيئة الاعتزالية، ولعل النظّام هو أول من أثار مسألة الصّرفة وأدخلها في الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، ولقد قال النظّام: إن الآية والأعجوبة في القرآن الكريم ما فيه من الأخبار عن الغيوب، أما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله عز وجل منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم[٢]، فإعجاز القرآن عند النظّام ليس في حسن تأليفه أو روعة نظمه، فلا ميزة للقرآن عن غيره من سائر الكلام، فالناس قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في التأليف والنظم، ولكن الله صرف دواعيهم من المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً[٣].

فالقرآن معجز عنده بأمرين: بالصرفة أولاً، والإخبار بالغيب عن جزء من المعاني المدلول عليها في القرآن الكريم ثانياً، وأن القول الذي قال به النظّام صادر عن عقيدتين في نفسه هما[٤]:

١ -عقيدته في التوحيد والعدل وهو على مذهب المعتزلة، ونفي صفات الله عن ذاته، ومن ثم فلا كلام لله في الشكل اللفظي المعهود من الخلق، وإنما كلام الله في نظره وحي وإلقاء في الرّوع.

٢ -مذهبه القياسي التجريبي الطبيعي في التفكير، وتزمته في تطبيقه على القرآن الكريم وبيانه.

فالرُّمّاني ذهب إلى القول بالصرفة واعتبرها وجهاً من وجوه الإعجاز، فالصرفة الوجه الثالث من وجوه الإعجاز عنده، وقد تأثر بالنظّام أحد رؤوس المعتزلة، وبذلك ظهر تأثير النزعة الاعتزالية عنده في الإعجاز حيث قال الرُّمّاني: "إن الصرفة هي صرف الهمم

---

(١) أحمد سيّد محمد عمّار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٤٢، ٤٣.

(٢) الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، مصدر سابق، ص٢٢٥.

(٣) البغدادي، **الفرق بين الفرق**، مصدر سابق، ص١٤٣.

(٤) العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص٢٩.

عن المعارضة وعلى ذلك يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن مُعجز من جهة صرف الهمم عن معارضته، وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول"[١].

والواضح هنا من هذا النص أن القرآن في حد ذاته مقدور عليه إلا أن العائق عن معارضته مع القدرة عليه هو وجه الإعجاز، وهذا رأي النظّام، وغريب هذا الكلام من الرُّمَّاني الذي أشار إلى أن إعجاز القرآن بالنظم والبلاغة ولا يمكن هنا الجمع بين القول بالصرفة والقول بالنظم.

ولقد رأي بعض الباحثين أن الرُّمَّاني بإقراره للصرفة إنما أراد أن يذكر رأي جماعته من المعتزلة[٢]، أما رأيه الخاص فهو أن القرآن معجز ببلاغته وبنظمه البديع وبذاته، وذلك لأنه خرق العادة، فلم يكن ما تضمنه القرآن شعراً يشبه أشعار العرب المعروفة والتي يُقيدها الوزن والقافية، ولكنه جاء جميلاً ولطيفاً خالياً من الوزن الذي يعتبر من أساسيات جمال الشعر، فأقصر سورة معجزة كأطول سورة فيه، فهذا هو مفهوم الرُّمَّاني للإعجاز القرآني.

ونلاحظ أن أسلوبه في عرض أفكاره، كان أسلوباً منطقياً، يحتاج إلى الجهد في فهمه، وذلك لغلبة الطابع الكلامي والمذهب الاعتزالي على أفكاره، وحاجته في كثير من المواقف إلى المجادلة والنقاش، فيظهر لنا تأثره بالنزعة الاعتزالية[٣].

والرُّمَّاني بعد أن فصّل الكلام عن بلاغة القرآن وأطال فيه، ذكر لنا الصّرفة دون تعليق، ونسبها إلى أهل العلم، فكأنه بنسبته الصّرفة إلى أهل العلم يريد أن يتبرأ هو منها[٤]، ثم يعود ليدفع الشك عن نفسه في هذا الأمر، فيقول: إن الصّرفة أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول.

وهكذا نرى بأن الصّرفة عند الرُّمَّاني تنقض كل ما بناه من وجوه الإعجاز الأخرى، لأن توافر الدواعي عنده معناه القدرة على الفعل.

ويمكن الاستنتاج هنا أن القول بالصّرفة يبطل خواص القرآن الكريم، فالقرآن الكريم معجز بذاته، فلا يستطيع أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثل القرآن الكريم، لا بألفاظه ولا

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١٠.

[٢] سعد الدين السّيد صالح، **المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم**، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص١٧٦.

[٣] احمد جمال العمري، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، د.ط، دار المعارف**، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٨٢.

[٤] الملاحويش، **إعجاز القرآن وعلم المعاني**، مرجع سابق١٦٨.

بمعانيه ولا بصورة البيانية. قال تعالى: (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[١].

ونذكر الآن الاتجاه الثاني ونرى مدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية فيه.

٢. الإخبار عن المغيبات:-

ويمكن القول هنا إن هذا المبحث لا يقل أهمية عن مباحث علم الكلام في الإعجاز ولا عن الجانب البلاغي بنواحيه المتعددة، فالإخبار عن الغيوب نبع لا ينتهي، فعندما يتدبر الإنسان القرآن الكريم يُزيل الغشاء عن بصيرته، فيتأمل ماذا حدث في الأزمان الغابرة، وماذا يحدث له وأمامه، فالإنسان يجد الإشارات في القرآن الكريم، فهو مركز دائرة الغيب فما بَعُدَ عن إدراكه فهو غيب له، فشؤون الكون بعظائمه، ودقائقه، كلها غيب له لا يعلمها إلا علام الغيوب وهو الله عز وجل.

فالإخبار عن المغيبات من الاتجاهات التي وجُدت في البيئة الاعتزالية، وذلك لبيان إعجاز القرآن الكريم، فلقد كان النظّام أول من تحدث عن هذا الجانب، وذلك عندما قال: إن الآية والأعجوبة في القرآن هو ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فالنظّام هنا أنكر إعجاز القرآن الكريم في نظمه وتأليفه، وكان يرى مع هذا أنه حجة للنبي الكريم من وجه آخر وهو إخباره عن المغيبات، وذكره لأخبار يتحقق وقوعها في المستقبل[٢].

ويلاحظ هنا تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية، وذلك لأن الإخبار عن الغيوب أحد وجوه الإعجاز السبعة عنّده، وهو الوجه الخامس من وجوه الإعجاز، فنستنتج من هذا الوجه أن القرآن الكريم من عند علام الغيوب، وليس في مقدور البشر أو طاقتهم الإتيان بمثله.

ويمكن القول هنا إن الرُّمَّاني في رسالته "النُّكت في إعجاز القرآن" بدأها ببيان إجمالي أوضح فيه أن إعجاز القرآن الكريم يظهر من سبعة أوجه، كما ذكرت سابقاً وهي ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشّدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصّرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبله، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة[٣]، ففي هذا البيان التمهيدي نلاحظ أن الرُّمَّاني جمع بين الجانب الكلامي أو العقلي وبين الجانب البلاغي، وبذلك ندرك مدى تأثر الرُّمَّاني بالمعتزلة، لأن المعتزلة كانوا يهتمون بالجانب الكلامي والجانب البلاغي معاً، فتأثر الرُّمَّاني بهم كونه من أعلامهم.

---

[١] سورة الإسراء، آية (٨٨).
[٢] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٣٢٣.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٥.

وسأتحدث الآن عن الجانب الكلامي وذلك من خلال ما يلي:-

إن إعجاز القرآن الكريم متصل بقضايا علم الكلام بأكثر من سبب، يتصل من ناحية بموضوع الإلهيات، باعتبار القرآن الكريم كلام الله عز وجل، ومن ناحية أخرى يتصل بموضوع النبوات، وذلك لأن القرآن الكريم هو معجزة النبوة.

فالقرآن الكريم في نظر المعتزلة هو كلام الله عز وجل، وكلامه إنما هو فعل محدث كسائر الأعراض، فكلام الله عندهم لا يخرج عن الصورة المعقولة للكلام، وهي أنه مركب من حروف منظومة، وأصوات مقطّعة، فآمنوا بأن أسرار الإعجاز القرآني كامنة في النظم المرُكب من الحروف والأصوات، لهذا تم التركيز على ألفاظ القرآن الكريم ونظمه وتأليفه؛ وذلك لإبراز مزايا بلاغته وفصاحته وحسن بيانه[١].

ويلاحظ أن الرُمّاني تأثر بالمعتزلة وبأفكارهم، وذلك لأن مفهومه لإعجاز القرآن الكريم يكون بنظمه البديع وببلاغته.

فالمعتزلة ينظرون إلى القرآن نصاً دينياً مخلوقاً، فظهرت الصرفة، وظهرت قضية تفضيل اللفظ على المعنى.

أما الناحية الأخرى التي تتعلق بالجانب الكلامي من مسألة إعجاز القرآن الكريم فهي إثبات النبوة، فقد ذهب المتكلمون المعتزلة في معرض دفاعهم عن نبوة النبي ρ إلى أن الدليل على صدقه هو أحواله وأخلاقه، وتعاليمه، ثم تأتي المعجزات دليلا في الدرجة الثانية[٢].

ولقد سلك المعتزلة طريقتين في إثبات النبوة: أولاهما تعتمد على صحة الأخبار، وذلك لأن الخبر الصحيح يُعد حجة، وثانيهما تقوم على بيان الخوارق التي ظهرت على يد الرسول الكريم وذلك في مختلف أحواله من دلالات وبراهين.

وأما إعجاز القرآن الكريم فقد سلكوا أيضاً في إثباته طريقتين:-

١ - طريقة عقلية: تقوم على الاستدلال بأحوال العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم، وتحداهم، ولم يستطيعوا الإتيان ولو بأقصر سورة من مثله مع شدّة حاجتهم، وتوفر دواعيهم[٣].

---

[١] أحمد أبو زيد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، ط١، مكتبة المعارف**، الرباط، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦من ص٢٤٧-٢٥١.

[٢] سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، مرجع سابق، ص٢٢٣.

[٣] أحمد أبو زيد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن**، مرجع سابق، ص٢٥٥.

يلاحظ هنا تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية وذلك من خلال ذكره للوجه الأول، والثاني من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدّة الحاجة، والتحدي للكافة.

٢ – طريقة بلاغية: إذ تقوم على دراسة بلاغة القرآن الكريم[١]، وندرك هنا مدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية وذلك لأنه قال بأن القرآن معجز من جهة البلاغة، وبدأ بذكر (البلاغة) وهي أحد وجوه الإعجاز، وأطال الحديث فيها وذلك في رسالته المسماة (بالنُّكت في إعجاز القرآن) وهذا دليل على أهمية البلاغة، فلقد اهتم المعتزلة بالبلاغة فلقد نشأت البلاغة في أحضانهم، وكذلك فعل الرُّمَّاني فقد اهتم بها وجعل لها حيزاً كبيراً في رسالته.

ولقد اهتمت المعتزلة بالعقل، فهو الأساس الأول للفكر الاعتزالي وانطلق المعتزلة بواسطته إلى تحديد أصولهم ومبادئهم[٢]. ولقد تأثر الرُّمَّاني بهذا الأمر وذلك لأنه كان يهتم بالمنطق والفلسفة وهذه الأمور تدخل تحت نطاق العقل.

تنطلق المعتزلة في دراستها للإعجاز من خلال التحسين والتقبيح العقليين، فهذا المبدأ يقوم على أن عناصر الحسن والقبح ذاتية في الأشياء، ويستطيع العقل أن يعرفها، فإذا كان القرآن معجزاً من الناحية البلاغية والنظم، فيجب أن يسلط العقل عليه من هذه الناحية حتى يتبين الإعجاز. وفي هذا الاتجاه سار الرُّمَّاني وتأثر بالمعتزلة لذلك كان البحث عن العلة الجمالية لكل صورة من صور التعبير البلاغي في القرآن الكريم أهم خاصية امتازت بها رسالة الرُّمَّاني في الإعجاز[٣]، وأرى أن المعتزلة قد بالغوا في هذا المنهج العقلي وذلك لأن الحسن ما حسنّه الشرع والقبح ما قبحه الشرع أيضاً.

وقد عرضت فيما تقدم الجانب الكلامي في رسالة الرُّمَّاني، ومدى تأثره بالنزعة الاعتزالية، وفيما يلي عرض للجانب البلاغي في رسالته؛ وذلك لأن رسالته جمعت بين الجانب الكلامي العقلي والجانب البلاغي.

الجانب البلاغي:–

يمكن القول هنا إن الاتجاه الثابت في دراسة الإعجاز القرآني هو الاتجاه البلاغي، فالمعتزلة لم يختلفوا في وجود هذا الوجه في القرآن الكريم، حتى أن النظّام الذي قال بالصرفة قال عن القرآن الكريم إنه في مستوى الكلام البليغ للعرب، ولم يجرده من فضل البلاغة، ولم

---

[١] المرجع نفسه، ص٢٥٥.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٩٩.
[٣] أبو زيد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن**، مرجع سابق، ص٢٥٢.

ينكر علماء المعتزلة وعلماء المسلمين جميعاً أن القرآن الكريم معجزة بلاغيـــة، ويمكـــن أن نلاحظ في البيئة الاعتزالية وجود اتجاهين لدراسة أسلوب القرآن الكريم، وإظهـــار الإعجـــاز فيه، ومن خلال هذين الاتجاهين ندرك مدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية، وإلى أي مـــدى أخذ بآرائهم وأفكارهم[١].

فلنبدأ بالاتجاه الأول وهو نظرية النظم:- التي تقول إن إعجاز القرآن الكـــريم إنمـــا يكون في نظمه وتأليفه، ونلاحظ أن هذا الاتجاه بدأ عند الجاحظ، فقد أرجع إعجاز القرآن إلى نظمه البديع الذي لا يقدر عليه أحد من البشر، وقد وضع الجاحظ في النظم كتاباً سماه (نظـــم القرآن) وهو كتاب مفقود[٢]، لذلك يمكن القول هنا إن مفهوم النظم لم يكن غريباً عـــن البيئـــة الاعتزالية، بل كان مفهوم النظم منتشراً في البيئة الاعتزالية وذلك للكشف عن إعجاز القرآن الكريم وبيان أسراره ودقائقه.

ويلاحظ أن الرُّمَّاني على الرغم من أنه لم يذكر (النظم) كوجه من وجوه الإعجاز إلا أنه لم تكن فكرة النظم غائبة عن ذهنه، إذ تحدث الرُّمَّاني عن النظم في القسم الرابع من أقسام البلاغة عنده وهو التلاؤم، وذلك لأن مفهوم التلاؤم عنده يكون بمراعاة الألفاظ بما يكون بينها من التلاؤم والانسجام والبعد عن التنافر، ورأيناه يرد هذا التأليف إلى ثلاث طبقات بحسب ما يكون بين الحروف من ائتلاف وانسجام[٣].

وقد ذكر الرُّمَّاني أن إعجاز القرآن لا يمكن أن يكون في الوجوه البلاغية المجردة، ولا أن كل لون من ألوانها معجز بحد ذاته، بل أكد لنا أن الإعجاز يكمن في الجمال الفني، وفي مراعاة الحروف في النظم والتأليف.

ونستطيع القول إن الرُّمَّاني وهو يرد الإعجاز إلى هذه الفنون البلاغية لم يهمل شـــأن النظم، ولم يغب عن ذهنه، فقد بدأ النظم عند الرُّمَّاني بصورة شكلية بسيطة، بحيث لا تعـــدو الألفاظ وتركيبها في الكلام بما يبرز جمالها الصوتي، ويجعلها خفيفة النطق واللسان، ومأنوسة الوقع في الأسماع[٤]. وبذلك نلاحظ أن الرُّمَّاني تأثر هنا بالنزعة الاعتزالية لأن الـــنظم قـــد انتشر في البيئة الاعتزالية فكان لابد للرُّمَّاني الأخذ بالنظم كونه أحد أعلام المعتزلة.

أما بالنسبة للفواصل والأسجاع ومدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية فيمكن ملاحظة ما يلي:-

---

[١] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٣٢٤.
[٢] المرجع نفسه، ص٣٢٥، ٣٢٦.
[٣] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٣٣١.
[٤] المرجع نفسه، ص٣٣١.

لقد نفى الرُّمَّاني وجود السجع في القرآن الكريم، إذ قال في هذا الأمر:- إن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، فالفواصل بهذا الأمر تكون بلاغة، والأسجاع عيب؛ وذلك لأن الفواصل تكون تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها؛ ولأن الغرض هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة وإذا كانت على خلاف هذا فهو عيب[١].

وأبو الحسن الأشعري هو أول من قال بنظام الفاصلة في القرآن الكريم وذلك لكي يبتعد عن السجع في النثر والقافية في الشعر، فقد عمل أبو الحسن الأشعري على تنزيه القرآن الكريم عن السجع، وتبعه في هذا كثير من أهل السنة[٢].

ويبدو هنا أن الرُّمَّاني صاحب هذا الرأي، ولم ينقله عن أبي الحسن الأشعري، لأن الرُّمَّاني احتج بأقوى ما احتج به الأشاعرة أنفسهم عندما نفى السجع، وبيّن لنا الفرق بين الفواصل والأسجاع على نحو لم يفعله الأشاعرة.

وهذا يدل على أصالة الرأي والعبقرية في الفكر الموجود عند الرُّمَّاني، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرُّمَّاني تأثر بالنزعة الاعتزالية، لأن المعتزلة يعتدّون بآرائهم، ويدافعون عنها، وقد سلك الرُّمَّاني هذا المسلك نفسه عندما دافع عن رأيه وذلك في أنه دافع عن الفواصل وعاب الأسجاع.

وقال الرُّمَّاني معقباً على السجع: "فهذا أغث كلام يكون وأسخفه وقد بينا علته، وهو تكلف المعاني من أجله، وجعلها تابعة له من غير أن يبالي بها المتكلم ما كانت"[٣].

ويمكن القول هنا إن السجع المرفوض هو السجع المتكلف سجع الكُهّان؛ وذلك لأنه يُميت المعاني ويُقيّد العقول البشرية، وأمّا السجع الذي يأتي عفو الخاطر عن طبيعة وسجية ويكون تابعاً للمعاني فلا مانع منه، وهو بذلك محسن من المحسنات البديعية[٤].

ولقد قلنا فيما سبق أن الرُّمَّاني في رسالته قد جمع فيها بين الجانب الكلامي أو العقلي وبين الجانب البلاغي، ولقد تكلمت فيما سبق عن الجانب الكلامي ومدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية، أما الآن فسوف أتحدث عن الجانب البلاغي في رسالة الرُّمَّاني وإلى أي مدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية، وذلك لأن الرُّمَّاني اعتبر البلاغة أهم وجه من وجوه الإعجاز، وقد شغل هذا الجانب معظم رسالته، وذلك لأنه ذكر أوجه الإعجاز الستة الأخرى في نهاية

---

[١] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٧.
[٢] الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٢٣٩.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٨.
[٤] الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٢٤١.

رسالته "النُّكت في إعجاز القرآن" أما البلاغة فقد ذكرها في بداية رسالته، فقد بين لنا الرُّمَّاني وجه الإعجاز القرآني من خلال ذكره لأقسام البلاغة المختلفة[١].

ونلاحظ في رسالته أنه أكثر من التقسيمات ويبدو لنا ذلك عندما عرّف البلاغة وقال:- "إنها على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"[٢].

ويبدو ذلك أيضاً في حديثه عن الإيجاز، إذ يبدأ بتعريفه، ثم يقسم الإيجاز إلى عدة تقسيمات وأوجه، وقد ذكرنا هذا الأمر في المبحث الأول.

فالرُّمَّاني هنا قد تأثر بالنزعة الاعتزالية وذلك لأن المتكلمين (المعتزلة) يكثرون من الجدل والمناقشة، وتحديد الألفاظ، والإسراف في التعاريف والقواعد والأقسام[٣].

وكذلك فعل الرُّمَّاني في التشبيه، وذلك بأنه عرف التشبيه أولاً، ثم ذكر أقسامه ووجوهه، ثم ذكر أمثلة من القرآن الكريم، ووضح ما فيها من البلاغة وحسن البيان، ففي قوله تعالى:- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[٤]، ومن هنا يلاحظ أن الرُّمَّاني يرد العلة في بلاغة هذا التشبيه القرآني إلى ما فيه من التعبير بالصورة المحسوسة عن المعنى المجرد، والسراب هنا لأعمال الكفار، والجامع بينهما هو البطلان.

فالرُّمَّاني لا تقنعه هذه العلة للوصول إلى سر الإعجاز في التشبيه القرآني، لذلك بادر إلى ما في التعبير من حسن النظم، وكثرة الفائدة، وعذوبة اللفظ، وصحة الدلالة، إلى جانب حسن التشبيه.

ومن استعارات القرآن البليغة. قوله تعالى:- ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[٥]، فيبين لنا الرُّمَّاني هنا أهم ركن في بلاغة الاستعارة وهو أثرها في نفس المتلقي، فنرى أن كلمة الغيظ الواردة في الآية الكريمة لها وقع شديد على النفس، لما تثيره من انفعال الخوف والفزع، وذلك لأن شدة الغيظ تكون نتيجة شدة الانتقام.

---

(١) انظر: الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، المصدر السابق، ص٧٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٥.
(٣) أمين الخولي، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ط١، دار المعرفة، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص١٥-٢٣.
(٤) سورة النور، آية (٣٧).
(٥) سورة الملك، آية (٨).

وبهذا التحليل البلاغي للتشبيه والاستعارة في القرآن الكريم يكون الرُّمَّاني قد بيّن لنا أهم خاصة من خواص التعبير القرآني وهي التصوير الحسي، فالنفس البشرية تنفعل بهذا الأسلوب لأنه يخاطب الشعور والوجدان الإنساني(١).

ولذلك يمكن القول إن الرُّمَّاني يحيل جُلّ أقسام البلاغة القرآنية على النفس والذوق والإحساس، فدراسة الرُّمَّاني لوجوه البلاغة القرآنية، هي محاولة إيجابية للكشف عن أسرار الإعجاز القرآني.

ويلاحظ أن الرُّمَّاني يبحث عن العلة الجمالية لكل صورة من صور التعبير البلاغي في القرآن الكريم، وهذه أهم خاصة امتازت بها رسالته. وندرك مدى تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية وذلك من خلال نظرية التحسين والتقبيح العقليين، فالمعتزلة تؤمن بأن الشيء الحسن أو القبيح إنما يكون كذلك لعلة ذاتية فيه(٢).

أما في باب التلاؤم فالرُّمَّاني تأثر بالنزعة الاعتزالية أيضاً فيُعرف الرُّمَّاني التلاؤم أنه تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر، ويورد لهذا مثالاً على التنافر، أي تنافر الحروف وهو قول الشاعر:-

وقبرُ حَربٍ بمكانٍ قفرٍ ... وليسَ قُربَ قبْرِ حَربٍ قبرُ

فهذا في نظر الرُّمَّاني من أشعار الجن فلا يستطيع أحد أن ينشده ثلاث مرات دون أن يتتعتع، والسبب في ذلك هو تنافر الحروف(٣).

وهذا التنافر يرجع إلى الناحية المعنوية، إذ السبب في ذلك هو ما ذكره الخليل بن أحمد من البعد الشديد أو القرب الشديد، فيكون التلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد(٤).

وأرى هنا أثر نظرية المعتزلة وذلك في قولهم: المنزلة بين المنزلتين، واختيار أواسط الأمور، فالرُّمَّاني هنا تأثر بالنزعة الاعتزالية، وانتفع بها في اعتدال الحروف في الكلمة، واعتدال الكلمات بعضها إلى بعض، فالمنزلة بين المنزلتين أصل من الأصول الخمسة عند المعتزلة.

---

(١) أبو زيد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن**، مرجع سابق، ص٢٨٧.
(٢) المرجع نفسه، ٢٨٩-٢٩٠.
(٣) الرُّمَّاني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٤-٩٥.
(٤) الرُّمَّاني، المصدر نفسه، ص٩٦.

وفي باب التصريف الذي هو أحد أقسام البلاغة العشرة، يُظهر لنا الرُّمَّاني وجهاً من ثقافته الاعتزالية في لجوئه إلى الناحية الرياضية فيبدو لنا تأثره بالنزعة الاعتزالية، إذ يضرب مثالاً على ذلك من خلال ذكره أن الأشياء على وجهين[١].

أما في باب التضمين يلاحظ أن الرُّمَّاني أيضاً تأثر بالمتكلمين (المعتزلة) وذلك لأنه أكثر من ذكر التعاريف والأقسام، كما في باب الإيجاز.

إذ يبدأ الباب بتعريف التضمين، وتقسيمه إلى عدة تقسيمات، وهذا هو شأنه في بعض الأبواب التي ذكرناها ومنها (الإيجاز)، فيلجأ الرُّمَّاني إلى هذه الطريقة وذلك ليقدم ما يريد بأكثر من وسيلة، فكأن الرُّمَّاني أستاذ يعرض درسه بأكثر من طريقة؛ وذلك ليستوعب أكبر قدر ممكن من الطالبين للمعرفة والاستفادة من درسه ورسالته، وهذه طريقة تعليمية قد مهرها المعتزلة واستفاد منها الرُّمَّاني[٢]، ونرى هنا تأثير الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية.

أمّا في باب المبالغة فنلاحظ أن الرُّمَّاني عمل على تطويع البلاغة لخدمة الاعتزال وذلك في قوله تعالى:- (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)[٣]. فأوّل مجيء الله بمجيء آياته ودلائله، وذلك تطبيقاً لمبدأ التوحيد، الذي لا يجيز على الخالق الذهاب والمجيء والحلول[٤].

وبمثل ذلك أوّل قوله تعالى:- (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ)[٥]، وذلك بأن الذي أتاهم هو عظيم بأسه. ونلاحظ هنا تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية وذلك لأن التوحيد هو أصل من أصول المعتزلة.

ويبدو تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية في آخر رسالته، وذلك في استخدامه الوجه المنطقي الاعتزالي، في افتراضه مسألة ما ثم يجيب عنها، ويستخدم الرُّمَّاني في ذلك عبارات المناطقة، مثل: فإن قال قائل، قيل، ونبين هذا الأمر بهذا الموقف الذي يحمل معنى حجاج المناطقة[٦].

"فإن قال: فما ينكر أن يكونوا عدلوا عن معارضة الطوال للعجز، وعدلوا عن معارضة القصار لخفاء المساواة في الحكم؟ قيل له: لا يجوز ذلك لأن الحجة لهم به قائمة، لو كان الأمر على تلك الصفة، إذ كانت المعارضة فيما جرت به العادة على ذلك وقعت من

---

[١] انظر الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٢.
[٢] أبو علي، **دراسات في الإعجاز البياني**، مرجع سابق، ص٧٢.
[٣] سورة الفجر، آية (٢٢).
[٤] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق،ص١٤٩.
[٥] سورة النحل، آية (٢٦).
[٦] أبو علي، **دراسات في الإعجاز البياني**، مرجع سابق، ص٨٤.

عصبة قوم لأحد الفريقين، وعصبة فريق للآخر على نحو نقائض جرير والفرزدق؟ وقبلهما عمرو بن كثلوم، والحارث بن جلزة، فلو كان مما يجوز أن يقع فيه الاختلاف بين الجيدي الطباع لخفاء الأمر فيه لما تركوا المعارضة له والاحتجاج به"[١].

ويمكن القول: إن الرُمَّاني أخذ من طرائق الفلاسفة ومعالم المناطقة وذلك لبيان إعجاز القرآن الكريم ومعرفة وجوهه وأسراره، ولم يُسرف الرُمَّاني في استخدام أسلوب المناطقة، إذ كان يعرف ما يمكن أن يستفيد من أسلوبهم، وبالقدر الذي يريده.

ومن مظاهر تأثر الرُمَّاني بالمعتزلة أيضاً وجود المجاز، ويعدّ هذا الموضوع من أهم الموضوعات في البلاغة العربية، إثارةً للجدل بين الأصوليين والبلاغيين على السواء، والسبب في ذلك أن هذا الموضوع يمس العقيدة في جانبيها:- التشريعي العملي، والاعتقادي النظري، فكل من آيات الصفات وآيات الأحكام التي تحمل ظاهرها كان سبباً قوياً لنشأة البحث المجازي[٢]. لذلك يمكن القول هنا إن المجاز ارتبط بمسائل دينية تتعلق بقضايا تشريعية واعتقادية.

يُقسم الاسم إلى حقيقة ومجاز

فالحقيقة في اللغة:- مأخوذة من الحقّ، والحق هو الثابت اللازم، وبالتالي الحق هو نقيض الباطل، ومنه يُقال حقيقة الشيء أي ذاته الثابتة واللازمة، ومنه قوله تعالى:- (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)[٣]، أي وجبت عليهم.

أما الحقيقة اصطلاحاً:- فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في اللغة، مثل الأسد المستعمل في الحيوان الشجاع، وتقسم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام فهي:- الحقيقة اللغوية، والحقيقة العرفية، والحقيقة الشرعية[٤].

أما المجاز في اللغة:- مأخوذ من الجواز، وهو الانتقال من حال إلى حال، وجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل مثل:- جاز فلان من جهة كذا إلى جهة كذا.

---

[١] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١٢.
[٢] السامرائي، **تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية**، مرجع سابق، ص١١٦.
[٣] سورة الزمر، آية (٧١).
[٤] الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي (ت٦٣١هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، اضبطه إبراهيم العجوز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٦.

أما اصطلاحاً:- فهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى الأول والثاني، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[١].

لذلك يمكن القول إن المجاز فرع الحقيقة؛ وذلك لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له دالاً عليه أولاً، والمجاز استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع له دالاً عليه ثانياً، وذلك لنسبة وعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز، وهذه النسبة متنوعة، فإذا قوي التعلق بين الحقيقة والمجاز فهذا مجاز وظاهر وواضح، وإذا ضعف التعلق بينهما، بحيث لم تستعمل العرب مثله فهذا مجاز التعقيد، فلا ينطق به فصيح[٢].

ويقسم المجاز إلى قسمين هما[٣]:-

١ -المجاز العقلي:- الذي يكون في الإسناد ونسبة الشيء إلى غير ما هو له، ومن أسمائه، المجاز الحكمي، والإسناد المجازي، والمجاز الإسنادي، ولا يكون هذا النوع إلا في التركيب.

٢ -المجاز اللغوي:- ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى يكون بينها صلة، وهذا النوع يكون في المفرد، ويكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له، وهذا المجاز اللغوي نوعان هما:-

أ - المجاز الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة، ويسمى الاستعارة أو المجاز الاستعاري. ويكون مفرداً ومركباً.

ب - المجاز الذي لا تكون العلاقة فيه المشابهة، ويسمى المجاز المرسل، وسُمي كذلك لأنه لم يُقيد بعلاقة المشابهة، كما في النوع الأول (المجاز الاستعاري) وهذا المجاز لا يكون إلاّ مُفرداً.

ومن علاقات المجاز العقلي، العلاقة السببية التي بُنيت للفاعل وأُسندت للسبب مجازاً، قال تعالى:- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ

---

[١] عبد الله بن علي الرويشدي، **الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم**، ط١، معهد القضاء الشرعي، عُمان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٤٣، ٤٥.

[٢] عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، **مجاز القرآن ويسمى الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، تحقيق محمد بن مصطفى بن الحاج، ط١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص١٤٥.

[٣] الرويشدي، **الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٥٠-٥٣.

أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُم)[١]، فالفعل هذا يقوم به أتباعه ولكنّه لمّا كان الآمر بـــه (فرعـــون) نُسب إليه.

العلاقة الزمانية:- التي بُنيت للفاعل وأسندت للزمان، وذلك لمشابهة الفاعل الحقيقـــي في ملابسة الفعل لكل منهما، قال تعالى:- (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)[٢]، فسجى هنا بمعنـــى سكن، والليل لا يسكن، ولكن تسكن حركة الناس فيه، فجعل الله عز وجل صفة السكون عليه لمّا كان السكون واقعاً فيه.

ومن علاقات المجاز المرسل[٣]:-

السببية:- كأن يطلق لفظ السبب ولكن يُراد المسبب، قال تعالى:-(يَـــدُ اللَّـــهِ فَـــوْقَ أَيْدِيهِمْ)[٤]، أي قدرته. فاليد هنا سبب القدرة، ويكون بها البطش، والضرب، والأخـــذ وغير ذلك.

الجزئية:- وهي تسمية الشيء باسم جزئه. قال تعـــالى:- (كُـــلُّ شَـــيْءٍ هَالِـــكٌ إِلا وَجْهَهُ)[٥]، المراد هنا ذاته.

مجاز بالزيادة:- كقوله تعالى:- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[٦]، فقد سّمي بذلك لأن فيه زيادة الكاف، فنلاحظ هنا أن الكلمة تصير مجازاً بالزيادة.

مجاز بالحذف:- كقوله تعالى:- (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[٧]، أي أهلها بعد أن عرفنـــا معنـــى المجاز وأنواعه، فلابد أن نعرف الآن المجاز عند المعتزلة، وكيف تـــأثر الرُّمَّـــاني بالنزعة الاعتزالية.

ولقد وجد المعتزلة في بعض آي القرآن الكريم ونصوص الحديث ما ظاهره متعارض مع أصولهم وعقائدهم، وإنهم اجتهدوا في تأويل هذه النصوص وتفســـيرها تفســـيراً يوافـــق مذهبهم، وفي هذا التأويل كانوا يحاولون صرف الألفاظ عن ظاهرهـــا القريـــب، وإعطاءهـــا

---

[١] سورة القصص، آية (٤).
[٢] سورة الضحى، آية (١-٢).
[٣] الرويشدي، **الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٦٠،٦٢.
[٤] سورة الفتح، آية (١٠).
[٥] سورة القصص، آية (٨٨).
[٦] سورة الشورى، آية (١١).
[٧] سورة يوسف، آية (٨٢).

معاني أخرى وراء الظاهر[١]. وبناءً على هذا الأمر يمكن القول إن المعتزلة وقفت على الاستعمالات المجازية للألفاظ وبذلك كانت أصول الاعتزال دوافع مباشرة لدرس المجاز في القرآن الكريم خاصة وفي اللغة العربية العامة، ولقد توسعت المعتزلة في فكرة المجاز على القرآن الكريم ما أدى إلى تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها إن استعمال لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو الدلالة[٢].

فالمعتزلة هم الذين ميّزوا بين الحقيقة والمجاز، وكان الذي أهلهّم لذلك هو اشتغالهم بالجدل، وتحكيمهم للعقل في تأويل النصوص القرآنية وأيضاً خبرتهم باللغة.

كما ظهر تركيز المعتزلة على المجاز في تأويلهم الآيات الموهمة التشبيه إذ اعتمد تأويلهم المُنزّه لذات الله والمحقق لفكرة التوحيد عندهم على المجاز، فقد أوّلوا ألفاظ الوجه واليد واليمين، وأنكروا رؤية الله في الآخرة بالأبصار، وذلك من خلال نظرهم إلى المجاز في اللغة، ونظرهم لدلالات الألفاظ أيضاً، فالوجه عندهم يعني الذات، واليد واليمين تعنيان القوة[٣].

ولقد لفت المعتزلة انتباه الناس إلى المجاز وذلك عندما درسوا مجازات القرآن الكريم، فالمعتزلة تسلّم بوجود المجاز في اللغة العربية وبالتالي وجوده في القرآن الكريم، لأن القرآن نزل بلغة العرب، ولغة العرب فيها الحقيقة والمجاز.

وليس هناك تعارض بين المعتزلة والأشاعرة بوجود المجاز في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، إلا أنّ الأشاعرة وقفوا عند حد معين، أما المعتزلة فطبقوا المجاز إلى أبعد حد وقالوا إن معظم لغة العرب مجاز وأقلها حقيقة. ولقد أيّد قول المعتزلة ابن جني عندما قال بأن أكثر لغة العرب مجاز لا حقيقة، فابن جني توسع في مدلول المجاز توسعاً كبيراً، فجعل إطلاق الفعل غير مقيد من باب المجاز لأنه يدل على الجنس والجنس يتناول القليل والكثير[٤]. والكثير[٤].

---

[١] أبو زيد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن**، مرجع سابق، ص١٧٢.

[٢] المرجع نفسه، ص١٧٨-١٨٠.

[٣] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٣٤١-٣٤٢.

[٤] عثمان بن جنى (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٤٤٩ - ٤٥٠.

ويظهر تأثره بالمعتزلة من خلال وجود المجاز عنده، فلقد أطلق الرُّمَّـاني مصـطلح الاستعارة على النصوص المجازية[١]، وذلك عندما عرّف الاستعارة أنها تعليق العبـارة فـي غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل وذلك للإبانة، وأن كل استعارة لابد لها من مستعار ومستعار له ومستعار منه[٢]، ومنه قوله تعالى:- (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِـنْ عَمَـلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)[٣]، فقال الرُّمَّاني حقيقة قدمنا أي عمدنا، وقدمنا أبلغ لأنه يدل على أنـه عاملهم معاملة القادم من السفر لأنه عندما أمهلهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فـرآهم علـى خلاف ما أمرهم به وفي هذا الأمر تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعها هـو العدل وذلك لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل، أمّا (هباءً منثوراً) ففيه بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.

ويغلب على تصور المعتزلة للمجاز النظرة الحسية[٤]، وقد لوحظ تأثر الرُّمَّاني بهـذا الأمر عندما تحدث عن التشبيه والاستعارة في القرآن الكريم، فإن النقلة فيهما تكون لإخـراج المشبه المعنوي إلى صورة المدرك المحسوس الذي يكون قريباً من التصور، ولاحظنا ذلـك أيضاً عندما تحدث لنا الرُّمَّاني عن وظائف وفوائد ومزايا التشبيه فذكر أنه يخرج ما لا تقـع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، أو أنه يخرج ما لم تجر به العادة إلى مـا جـرت بـه العادة، أو يخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة. أو يخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة وفي هذا كله إلحاح على النظرة الحسية وبذلك تأثر الرُّمَّـاني بالنزعـة الاعتزالية في هذا الأمر.

ومن المسائل المتعلقة بأصل التوحيد عند المعتزلة مسألة صفات الله عز وجل، ومسألة كلام الله عز وجل، فثم تأويل النصوص بالاستناد على العقل واللغة معاً، فأما ما يتعلق بصفات الله كما في قوله تعالى:- (يَا حَسْرَتَى عَلَـى مَا فَرَّطْـتُ فِـي جَنْبِ اللَّـهِ وَإِنْ كُنْـتُ لَمِـنَ

---

[١] مهدي صالح السامرائي، **المجاز في البلاغة**، ط١، دار الدعوة، حماة – سوريا، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، ص٧٩-٨٠.

[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٦.

[٣] سورة الفرقان، آية (٢٣).

[٤] دوب، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، مرجع سابق، ص٢٣٤.

السَّاخِرِينَ)[١]، قوله تعالى:- (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)[٢]، وقوله تعالى:- (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[٣].

فلقد تم حمل هذه الآيات على المجاز، وحمل المعنى فيها على الظاهر يؤدي في نظر المعتزلة إلى أن تكون هذه أعضاء لله عز وجل، وبالتالي يكون لله عز وجل جسمٌ ففي الآية الأولى:- أي فيما بيني وبين الله إذا أضعت تفريطي إلى أمره ونهيه إياي.

والآية الثانية:- إنما هو الاتجاه إلى الله. والآية الثالثة:- أي تكون مكنوفا برأفتي به وولايتي له.

وقوله تعالى:- (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)[٤]، فتم جعل اليمين هنا الجارحة وهذا على وجه المجاز، وقد تم ذكر اليد اليمنى لأنها أقوى اليدين، فاليد عند المعتزلة دالة على الجارحة والعين كذلك، لكن الأصل إن تحقق اليد والعين في حق الله غير معقول، ولكنه جاء على التخيّل فقط وتدل اليد على القوة أيضاً، فالمعتزلة هنا يستخدمون في هذه الآيات المجاز، لتأويلها وحذفها عن ظاهرها، أما الأشاعرة فإنهم لا يتوسعون في استخدام المجاز في هذه الآيات، ويرون أحياناً حملها على الحقيقة، فهذه صفات لله عز وجل وردت على سبيل الإثبات والوجود، لا على سبيل الكيفية[٥].

والمسألة الأخرى هي كلام الله عز وجل، فلقد ذهب المعتزلة إلى أن الآيات التي تسند الكلام إلى الله وتصف حواراً بينه وبين الكائنات لا تؤدي معنى القول المادي وإنما هي مجازات لها حقائق مجردة[٦].

فمثلاً في قوله تعالى:- (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[٧]، يعدّ الكلام هنا حقيقة وليس مجاز، واتفق المعتزلة هنا مع الأشاعرة ولكن تم استخدام التأويل لتحقيق مبدأ الاعتزال.

ولقد تأثر الرُّمَّاني بالمعتزلة وذلك في تطبيق مسألة المجاز وذلك من خلال قوله تعالى:- (وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)[١]، حيث نفى الرُّمَّاني الإحاطة الحقيقية عن الله عز وجل وجعلها من باب المجاز، وذلك حرصاً على التنزيه المطلق في مبدأ التوحيد الذي أخذ به[٢].

---

[١] سورة الزمر، آية (٥٦).
[٢] سورة البقرة، آية (١١٥).
[٣] سورة طه، آية (٣٩).
[٤] سورة الزمر، آية (٦٧).
[٥] دوب، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، مرجع سابق، ص٢١٢.
[٦] المرجع نفسه، ص٢١٤.
[٧] سورة النساء، آية (١٦٤).

قال تعالى:- (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)[٣]، فيوجد في هذه الآية أثر لنظرية الحسن والقبح الذاتيين، وهما من أهم أسس الفكر الاعتزالي وهو متفرع عن الأصل الثاني من الأصول الخمسة وهو العدل، وينبني على العدل أن الإنسان خالق لأفعاله ومن صفات الله عز وجل العدل، ويقول الرُّمَّاني في هذه الآية بأن المنكر هو القبيح وذلك لإنكار العقل له[٤]، ويلاحظ هنا تأثر الرُّمَّاني بالنزعة الاعتزالية وذلك من خلال نظرية الحسن والقبح الذاتيين ودليل ذلك قوله السابق.

ومما يدل على تأثر الرُّمَّاني بالمعتزلة أنه كلما وردت آية تؤيد الاعتزال اتخذ منها مجالاً لتأكيد مذهبه والرد على الخصوم، فهو يتوقف عند قوله تعالى:- (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ)[٥]، ففي هذه الآية يتم النفي لإرادة الظلم، فلو أراد الله عز وجل ظلم بعضهم لبعض لكان قد أراد ظلمهم، ولو أراد ظلم الإنسان لغيره لجاز أن يريد أن يظلمه هو لأنه لا فرق بينهما في القبح.

ويظهر تأثره بالمعتزلة من خلال موضوعات الخبر والإنشاء، فاهتم الرُّمَّاني بهذا الأمر كما اهتمت به المعتزلة، فربط بين التعجب والإبهام، وبيّن أن المطلوب في التعجب هو الإبهام وذلك لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يُعرف له سبباً، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن وأصل التعجب عند الرُّمَّاني هو للمعنى الخفي سببه والصيغة الدالة على هذا يسمى تعجبا مجازا، ويربط الرُّمَّاني بين الصيغ وشعور المتحدث وأحاسيسه وذلك من خلال حديثه عن الأثر النفسي للتعجب[٦].

فالرُّمَّاني تأثر بالنزعة الاعتزالية لدرجة كبيرة، كونه من أعلامهم.

---

[١] سورة الأنفال، آية (٤٧).
[٢] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص١٤٩.
[٣] سورة آل عمران، آية (١٠٣).
[٤] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص١٤٩.
[٥] سورة آل عمران، آية (١٠٨).
[٦] قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص١٥١.

الفصل الثاني

البحث البلاغي عند الباقلاني

تمهيد وتعريف:-

يُعد الباقلاني من أعلام نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس فهو أهم تلاميذ المدرسة الأشعرية، وقد عمل على نصرة هذا المذهب، وصار فيما بعد إماماً لها، وكان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ناصراً طريقته، وأفضل المنتسبين له[١].

فقد وهب الباقلاني حياته وعلمه للدفاع عن عقيدة السلف، والرد على المخالفين والملحدين من الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم.

وعند النظر في تاريخ الباقلاني العلمي يلاحظ أنّه وقف حياته على أمرين ملكا عليه أقطار نفسه، وهما: التدريس، والتأليف.

أما التدريس:- فقد تتلمذ على يديه مجموعة من الناس في البصرة وبغداد وغيرهما، منهم القاضي البغدادي المالكي (ت ٤٢٢هـ)، الذي قال إنه صحب الأبهري، وتفقه مع أبي الحسن بن القصّار، والذي فتح فاه وجعله يتكلم هو أبو بكر بن الطيب يقصد الباقلاني[٢].

أما التأليف:- فللباقلاني مؤلفات كثيرة، وهي تقارب الخمسين كتاباً أو تزيد، وكان لورعه وتقواه أثرٌ في غزارة مؤلفاته، فمن عادته إذا صلى العشاء وقضى ورده كان يكتب خمساً وثلاثين ورقة، وإذا صلى الفجر أعطى إلى بعض أصحابه ما صنّفه في هذه الليلة لتتم القراءة ويعطى الباقلاني من الزيادات التي يراها مناسبة[٣]، وأهم هذه المؤلفات:

- **كتاب إعجاز القرآن**، وهو أول كتاب يحمل عنوان الإعجاز القرآني ومضمونه، وقد لوحظ بأن آراء الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) تُعد ترجمة عملية لما جاء في خاطره، ولما وجُد في ذهنه من أمور، فوجد الباقلاني أن أنسب ما يُقال هو التأليف حول إعجاز القرآن الكريم، وما يرتبط بهذا الإعجاز القرآني من مفاهيم ومضامين، فجاء كتابه من أعظم الكتب العلمية التي تناولت هذا الموضوع مُعبراً بهذا الأمر عن آراء السلف الصالح من علماء القرن الرابع الهجري، ويلاحظ أن الباقلاني يمثل بمفهومه للإعجاز القرآني، وبمؤلفه (إعجاز القرآن) وجهة

---

(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص١٢.

(٢) العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(٣) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص١٤.

نظر جماعة المسلمين، ويُعد هذا الكتاب أول كتاب يصنفه عالم من علماء السلف في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة وغيرهم؛ لذلك بلغ هذا الكتاب مكانة مرموقة، وشهرة ذائعة لم يصل إليها أحد غيره.

وقد اعتبر الباقلاني تأليفه لهذا الكتاب واجباً دينياً في المرتبة الأولى، وواجباً علمياً في المرتبة الثانية، فلم يدّخر الباقلاني وسعاً وهو بصدد تحليلاته من أن يعمق البحث، ويتطرق إلى كثير من المسائل التي تهم الناس وتهمه أيضاً وفي الوقت ذاته ردّ على مظان الظانين وتبطل أقوال الطاعنين[١].

ويذكر الباقلاني سبب تأليفه لهذا الكتاب، وذلك أنه رأى الناس بين رجلين: أحدهما ذاهب عن الحق، ذاهل عن الرشد، والآخر مصدود عن نصرة القرآن الكريم، وأدى هذا الأمر إلى خوض الملحدين في أصول الدين والتشكيك في القرآن الكريم، فوصفوه بالسّحر، وبالشعر، وبأساطير الأولين، وراح بعض الجُهّال يعدِلهُ ببعض الأشعار، ويوازن بينه وبين كلام العرب، ولقد قصّر أصحاب الأمر في الدفاع عن القرآن الكريم؛ لذلك رأي الباقلاني أن من واجبه بعد أن طُلب منه ذلك أن يضع كتاباً يسُقط به الشبهة، ويزيل به الشكوك عن القرآن الكريم التي أحاطها به الملاحدة[٢].

والباقلاني في كتابه **(إعجاز القرآن)** يُمثل نظرة في الفكرة البيانية في القرآن الكريم، ولقد سار على طريقين أحدهما نظري، والآخر تطبيقي ولم يخلط الباقلاني بينهما بل كان واضحاً في كلا الطريقتين.

ويلاحظ أن هذا الكتاب **(إعجاز القرآن)** نُشر أكثر من مرة كان آخرها سنة ١٩٩١ بدار المعارف، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، ويتضح لنا من خلال هذا الكتاب مفهوم الباقلاني للإعجاز القرآني ودفاعه عن القرآن ضد أعداء الدين، ويتضح لنا أيضاً جهوده في البحث البلاغي وتذوقه للبلاغة، وحسن عرضها وتحليلها وسيكون هذا الكتاب مصدراً أساسياً لدراستي في هذا الفصل الذي يُقسم إلى مبحثين هما:-

المبحث الأول: جهود الباقلاني في البحث البلاغي.

المبحث الثاني: أثر النزعة الأشعرية عنده في الإعجاز.

---

(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٢٦ – ٢٨.

المبحث الأول: جهود الباقلاني في البحث البلاغي

يعدّ كتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني وهو أشهر كتاب أقام البرهان علـــى أن القـــرآن الكريم معجز، مع أنه سبقته دراسات أخرى، لكنّه انفرد بأنّه أجرى موازنات مســـتمرة بـــين أسلوب القرآن، وأساليب البشر، وأخبار قصائد من مثل: معلقة امرئ القيس؛ وذلك ليكشف ما فيها من ضعف، ويثبت أن الكلام في الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن، فنظم القرآن عـــالٍ عن أن يعلق به الوهم، أو يسمو إليه الفكر، أو يطمع فيه طامع[١].

ولقد وجه الباقلاني اهتمامه إلى دراسة القرآن الكريم؛ وذلـــك لاســـتخلاص وجـــوه الإعجاز منه، ودرس الإعجاز القرآني في كتبه الثلاثة: **أولها:** كتاب إعجاز القرآن **وثانيهـــا:** كتاب الانتصار لنقل القرآن **وثالثها:** كتاب التمهيد.

ويلاحظ بأن أول هذه الكتب وأقربها إلى دراسة القرآن الكريم ومعرفة الإعجاز فيـــه هو الكتاب الأول **(إعجاز القرآن)**.

أما الكتابان الثاني والثالث فقد خصصهما الباقلاني للجدل والمناقشة، ولأصول الدين، ومعرفة العقيدة وتوضيحها بناءً على مذهب الأشاعرة، وأهم ما يُميز الباقلاني فـــي دراســـته القرآنية هو المنهج الكلامي المنظم، فكل موضوع من الموضوعات التي تحدث عنهـــا يعـــدّ قضية عمل على متابعتها وتحليل عناصرها، ووضع لها المقدمات التي تُبين وتوضح أفكاره، وبعد ذلك يشرح ما جاء فيها من المسائل، ويعمل على مناقشة عناصرها المختلفـــة، وأخيـــراً يلخص النتائج التي توصل إليها ويقوم بإبرازها.

وهذا المنهج التحليلي التدليلي ظهر عنده في كتابه (إعجاز القرآن) ويبدو في ترتيبـــه، وتناوله للموضوعات مدى امتلاكه لناصية الجدل، فيستخدم أسلوب الحوار في كلامه، وطرح الأسئلة والإجابة عليها؛ وذلك ليفهم السامع ما يريد، فيقدم له الباقلاني كل الحجج للمعارضة ثم يتم تفنيدها منطقياً وعلمياً في ترتيب ووضوح[٢].

وأهم ما يميز الباقلاني في كتبه وخصوصاً كتابه (إعجاز القرآن) هو دقـــة فهمـــه للنصوص، وتمكّنه من عرض الآراء بقوة والآراء البديلة أيضاً، مع قوة في شخصيته، وتملكه لزمام المناقشة من حيث متى يبدأ ومتى ينتهي، وهذا الأمر أي وجود المنهج العقلي الدقيق في

---

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٢٧-٢٥٠.

[٢] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

دراسته للبيان القرآني قد أدى به إلى الخروج بنتائج مهمة وأدى به إلى تكوين رأي وبالتالي إلى وجود منهج أو نظرية مكتملة.

فالباقلاني لم يعتمد في دراسته على دراسة الألفاظ والعبارات بقدر ما اعتمد على الأسلوب والمعاني العامة التي تُصورها الألفاظ والعبارات، مُستفيداً بذلك بما كتبه السابقون، ومُعتمداً على فكره الحُر، فهو ينقد ويفحص قبل أن يقبل أو يرفض أي فكرة أو أي رأي.[١]

لذلك يلاحظ بأن الباقلاني قد قسّم بحثه في إعجاز القرآن إلى ثلاث مراحل متوالية، جعل كل مرحلة تُمّهد لما بعدها وترتبط بها وتُكمّلها، لذا اتسم عمله بالوضوح، والتحديد، والتكامل الموضوعي والعلمي في آنٍ واحد. وهذه المراحل هي[٢]:

١. مرحلة التمهيد.
٢. مرحلة التفنيد.
٣. مرحلة التحديد.

ففي المرحلة الأولى: مرحلة التمهيد:-

يصدر الباقلاني كتابه (إعجاز القرآن) بمقدمة تمهيدية، وهذه هي المرحلة الأولى، فيحث فيها المسلمين على تدارك كتاب الله عز وجل وفهم مضمونه؛ وذلك للوقوف في وجه الملحدين، والمضللين الذين خاضوا في أصول الدين، فاتخذ الباقلاني لذلك سبيلاً وهو إبراز أهمية القرآن الكريم، فهو حجة النبوة، ودليل على صدق الدعوة الإسلامية وصدق النبوة معاً، ما أدى هذا الأمر إلى تحفيز أهل الدين للنهوض بواجبهم تجاه كتاب الله عز وجل وتجاه المسلمين[٣].

فيشار هنا إلى أن "أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه، ما كان لأصل دينهم قِواماً، ولقاعدة توحيدهم عِماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهاناً، ولمعجزته ثبتاً وحجة"[٤].

وقد اشتكى الباقلاني من تقصير العلماء في ذلك، وذلك لعدم بيانهم لوجوه الأعجاز القرآني، والكشف عن أسرارها، إذ يقول هنا: "إن بسط القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانه، أحق بكثير مما صنّفوا فيه من القول في الخبر، ودقيق الكلام في

---

[١] العمري، **المباحث البلاغة في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص٢٠٩

[٢] العمري، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٩٦.

[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص ٢٥.

[٤] المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص ٢٥ – ٢٦.

الأعراض، وكثير من بديع الإعراب وغامض النحو، فالحاجة إلى هذا أمس، والاشتغال بـــه أوجب"[١].

ويلاحظ أن الباقلاني يلتمس العذر لتقصير العلماء في ذلك لأن البحث فـــي مســـائل الإعجاز ووجوهه لم يكن يتيسر إلاّ لمن أعمل عقله وفكره، وأعد نفسه لهذه الدراسة، لأن هذه الدراسة ليست بسهلة، إذ يقول: "وقد يعذر بعضهم في تفريط يقع منه، وذهاب عنه، لأن هـــذا الباب مما يمكن إحكامه بعد التقدّم في أمور شريفة المحل، عظيمة المقدار، دقيقـــة المســـلك، لطيفة المأخذ"[٢].

ويذكر لنا الباقلاني أن الجاحظ قد صنّف كتاباً في نظم القرآن لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في أكثر من هذا المعنى.

وبما أنّ الجاحظ من رؤوس المعتزلة، والباقلاني من رؤوس الأشاعرة فقد ظهر بينهم الخلاف في عدة أمور، وهذا الأمر جعل الباقلاني يستخف بالجاحظ وبكتابه "نظم القرآن".

ويختم الباقلاني مقدمته بأنه لا تُدرك وجوه الإعجاز ولا يستوعبها إلا من كان من أهل صناعة العربية، وقد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه، فضمن الله عز وجل البيان لمثل من وصفنا، قال تعالى: (كتابٌ فُصلتْ آياتُهُ قُرآناً عربيّاً لقومٍ يَعلمُونَ)[٣].

ويلاحظ هنا أن منهج الباقلاني في دراسة الإعجاز ووجوهه أنه يستعرض آراء مـــن سبقه من العلماء بالنسبة لهذا الموضوع ثم يضيف رأيه الخاص، موضحاً ما يتفاوت به الكلام في البلاغة وما يجب أن يتسم به الكلام البليغ بكل أجناسه من شعر ورسائل وخطب، لأن هذه الأصول يقع فيها التفاوت، ويبذل في تنقيحها كل جهد، وبذلك ندرك هنا سمو منزلة القـــرآن الكريم، وتجاوزه الحد الذي يبيح موازنته بغيره.

مرحلة التفنيد:-

وفيها عقد الباقلاني بعد المقدمة التمهيدية فصلين قبل حديثه عـــن وجـــوه الإعجـــاز القرآني، إذ يلاحظ أن الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" قسم بحثه إلى فصول متوالية وكـــل فصل مرتبط بما بعده وبما قبله، وذلك كله من أجل إبراز وجوه الإعجاز القرآني وبيان سرها وكنهها. فأول فصل تحدث عنه هو أن نبوة النبي ε معجزتها القرآن الكريم، فالرسول الكريم إن كان قد أيد بمعجزات جمة لا يستطيع الإنسان إنكارها أو جحدها إلاّ أنّ معجـــزة القـــرآن

---

(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧.
(٣) سورة فصلت، آية (٣).

الكريم معجزة عامة، عمّت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت وُرُودِها إلى يوم القيامة على حد واحد[١].

فالله عز وجل عندما بعث نبيه محمداً ε جعل معجزته القرآن الكريم، وبذلك بنى أمر نبوته عليه، ودليل ذلك من القرآن الكريم، قوله تعالى:- (ألم كِتَبٌ أنزلنَهُ إليكَ لِتُخرجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّور بإذن ربِّهِمّ إلى صِرَاطِ العَزيز الحميد)[٢]، فيخبرنا الله عز وجل هنا أن القرآن الكريم أنزله تعالى للهداية، ولا يكون ذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة.

ثم يقدم الباقلاني دليلاً آخر من القرآن الكريم ليستدل به على أن القرآن الكريم هو معجزة النبي الكريم، قال تعالى: (وإنْ أحَدٌ مِّنَ المُشركينَ استَجَارك فأجرهُ حَتّى يسمَعَ كَلامَ اللّهِ)[٣]، إذ يلاحظ أن الباقلاني يقول عن هذه الآية "فلولا أن سماعه إياه أي – القرآن الكريم- حجة عليه لم يوقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة"[٤].

ويفهم من هذا القول أن القرآن الكريم يحمل في آياته دلائل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، بما في ذلك من شواهد الإعجاز التي يجدها من يستمع إلى آيات القرآن الكريم.

وهذا إنما يكون للعرب وحدهم الذين يعرفون مكانة البلاغة وقدرها، ويعرفون فضل ما بين كلام وكلام آخر[٥].

ويمضي الباقلاني في الاستشهاد بكثير من الآيات القرآنية التي تدل على إعجازه، فمن ذلك قوله تعالى:- (وقالوا لولاَ أُنزلَ عليهِ آياتٌ مِّن ربِّهِ قُل إنّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَإنّمَا أنَا نَذيرٌ مُّبِينٌ أوَ لم يكفِهِم أنّا أنزلنا عليكَ الكِتَابَ يُتلَىَ عليهِم)[٦]، فالكتاب هنا آية من آياته، وعلم من أعلامه، وهذا يكفي في الدلالة، ويقوم مقام معجزات غيره، وآيات سواه من الأنبياء صلوات الله عليهم[٧].

---

(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٣١.
(٢) سورة إبراهيم، آية (١-٢).
(٣) سورة التوبة، آية (٦).
(٤) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٣٢.
(٥) الخطيب، **الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها**، مرجع سابق، ص ١٩٦.
(٦) سورة العنكبوت، آية (٥٠-٥١).
(٧) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٣٧.

ويلاحظ أنّ هذه الآية تدل دلالة واضحة على أنّ القرآن الكريم هو معجزة النبـــي ε، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، وهو معجزة النبي الكـــريم الدالة على صدق نبوته الكريمة.

ويُبين لنا الباقلاني أنّ القرآن الكريم مشحون بالدلالات الصريحة على أنّه هو آية النبي ε، ودليل هذا الآية الذي ذكر من سورة العنكبوت، والسور التي افتتحت بالحروف المقطعـــة مشحونة ببيان أن القرآن الكريم آية النبي عليه الصلاة والسلام، وكثير من الآيـــات القرآنيـــة بُنيت على أساس أن القرآن الكريم حجة، وآية للنبوة[١].

كما عرض لنا الباقلاني لتأكيد هذا الأمر في سورة غافر، وسورة فصلت، وكـــان ذا قدرة بارعة في استخراج ما يتصل بهذا المعنى.

ويلاحظ أنّ الباقلاني لا يترك إثبات نبوة سيدنا محمد ε مبنية على دلالة معجزة القرآن الكريم دون أن يبين لنا وجه هذه الدلالة؛ لذلك أوجد فصلاً آخر وهو في الدلالة على أن القرآن الكريم معجزة.

واعتمد الباقلاني في توضيح وجه الدلالة على أن القرآن معجزة على أصلين اثنـــين هما:

١. إثبات أن القرآن الكريم – الذي هو متلو محفوظ في المصاحف – هو الذي جاء بـــه النبي ρ، وأن النبي الكريم تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة، ويلاحظ أن دليل الباقلاني على هذا الأمر هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري بـــه، فقام به في المواقف، وكتب به إلى البلاد، فلا يستطيع أحد أن يـــأتي بقـــرآن يتلـــوه، ويأخذه على غيره، فانتشر هذا الآخر في البلاد في أرض العرب وتعدى إلى الملـــوك المعاقبة لهم، كملك الروم وغيره من ملوك الأطراف[٢].
٢. التحدي:– فالتحدي هو الأصل الثاني الذي اعتمد عليه الباقلاني في بيان وجه الدلالـــة على أن القرآن الكريم معجز في ذاته، وقد تحدى القرآن الكريم العرب بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم، ولكن لن ولم يستطيعوا، ويذكر لنا الباقلاني الآيات القرآنيـــة الكريمـــة التي يستدل بها على صحة هذا الأصل الثاني، من مثل قوله تعالى:– (وَإِنْ كُنْتُمْ فِـــي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَـــارَةُ أُعِـــدَّتْ

---

(١) أبو موسى، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**،مرجع سابق، ص ١٨٠.
(٢) البلاقلاني، **إعجاز القرآن، مصدر سابق**، ص ٣٩ .

لِلْكَافِرِينَ)[٣]. وقوله تعالى:- (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[١]، فهذه الآيات تُبين لنا عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، فيعد هذا دليلاً على أنه من عند الله عز وجل، ودليلا على وحدانيته، فترك العرب وغيرهم الإتيان بمثل القرآن الكريم، وهذا دليل على عجزهم.

ويبدو لنا أن قضية التحدي كانت محور أهتمام الباقلاني خصوصاً وهو بصدد الدفاع عن القرآن الكريم، فنراه يُشبعها تحليلاً، وذلك لإثبات صدق النبوة، وبياناً وتدعيماً لوجه الدلالة، وردا على الملحدين والمتكلمين عامة، والمعتزلة خاصة الذين أثاروا مسألة الصّرْفة[٢].

ويلاحظ أن الباقلاني يرفض القول بالصّرفة، ولا يرى هذا في الإعجاز، ويرد على الذين يقولون بالصّرفة بردود مقنعة، وهذه الردود هي كالتالي :-

- لو كان الأمر على ما ذهبوا إليه، من الإعجاز بالصرفة لكان ذلك الأقوى في الحجة، والأبين في الدلالة أن يأتي القرآن الكريم في أدني درجات البلاغة، فالذي يعجز عن كلام هو في مستوى كلام الناس أو أدنى منه يكون هذا دليلاً على وجود قوة حالت بينه وبين المعارضة، ولم يكن هناك حاجة لمجيء القرآن في نظم بديع، وذلك لأن الأقرب إلى قوة الدليل وبيان الحجة عندما تكون الصّرفة هي وجه للإعجاز فيكون القرآن في مستوى كلامهم أو دونه[٣].

- أنه لو اعتقد أن العرب المعاصرين للبعثة قد صُرفوا كما يدّعون، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف، فلما لم يوجد في كلام قبله مثله، تم معرفة أنّ ما ادّعاه القائل بالصّرفة هو ظاهر البطلان[٤].

وأستطيع القول أنه لا شيء يشبه القرآن أو حتى يقاربه وهذا دليل كافٍ على أن القول بالصّرفة باطل، وأن القرآن الكريم قد جاء على مستوى لا تصل إليه قدرتهم من غير صرف.

---

[٣] سورة البقرة، آية (٢٣-٢٤)
[١] سورة هود، آية (١٣- ١٤).
[٢] العمري، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص ١٠٤
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٢-٥٣.
[٤] المصدر نفسه ، ص ٥٣.

– ومما يبطل القول بالصرفة أيضاً أنه لو كانت المعارضة ممكنة و إنّما مَنَــع منهــا الصّرفة، فلم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع هو معجزاً، فلا يتضمن بذلك الكلام فضيلة على غيره.

إذ يمكن القول هنا إن حقيقة الإعجاز القرآني عند الباقلاني أنّه لا يقدر عليــه العبــاد لأنهم لو قدروا لبطل الإعجاز.

مرحلة التحديد:–

بعد ما أثبت الباقلاني معجزة النبوة، وبعد ما أصّل الأصول التي اعتمدها فــي بيــان وجه الدلالة على أن القرآن الكريم معجز في ذاته، ينتقل بعد ذلك إلى صلب موضوعه وهــو تحديد وجوه إعجاز والقرآن، وبذلك تبدأ المرحلة الثالثة ألا وهي مرحلة التحديد.

ويتلخص مفهوم الباقلاني للإعجاز في خطوات ثلاث:–

١. يعرض الفكرة في كتاب التمهيد عرضاً بسيطاً، فيثبت لنا الباقلاني صحة مــا بــين أيدينا من نص القرآن الكريم، فهو حقاً كتاب الله عز وجل المُنزّل على سيدنا محمد ε، وهو آية محمد عليه الصلاة السلام ومعجزته الخالدة التي لا تزول.
٢. يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم على الرغم من تحديه لهم مراراً.
٣. ثم ينتهي من المقدمات السابقة إلى نتيجة عامة، هي خلاصة نظريته ورأيــه فــي الإعجاز، ولقد عرضها الباقلاني في كتبه بصور مختلفة، وهــي:– خــروج نظــم القرآن عن سائر كلام العرب ونظمهم[١].

ويرى الباقلاني أن إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى نظمه وبيانه، وهذا مُنصبّ علــى القرآن كله، وذلك بوصفه وحدة متكاملة، وجملة لا تفصيلاً، فالقرآن الكريم نص كامــل، لــه سماته ومميزاته التي تميزه عن سائر أقوال العرب وفنون كلامهم[٢].

ويرفض الباقلاني فكرة الإعجاز البلاغي الذي يتعرض للتحليــل الجزئــي للعبــارة، والبحث عن ضروب البيان والبديع، ومجاز القول[٣] ولا يأخذ البــاقلاني بفصــاحة الألفــاظ وحدها، فالإعجاز يكون في نظمها وإحكام رصفها، وليس في الحروف نفسها، وليس رصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة ومترتبة في الوجود ولا يوجد لها نظم سواها، وهذا كتتابع الحركات، ووجود بعضها قبل بعض وبعده.

---

[١] الباقلاني، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، مصدر سابق، ص٢١٤–٢٢٠.
[٢] الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، تحقيق محمد زغلول ســلام. د.ط، نشــأة المعارف، الإسكندرية، ص ١١.
[٣] المصدر نفسه، ص ١١.

ويرى الباقلاني في أثناء دراسته لنظم القرآن الكريم أن القرآن يختلف في هذا الأمر عن سائر الكتب السماوية الأخرى، كالإنجيل والتوراة، ويتعلق بتوكيد إعجاز القرآن الكريم إذ يوجد فرق بين أسلوبه وأساليب العرب المعارضين الذين عملوا وبذلوا جهدهم في أن يقلدوا القرآن الكريم، ولكنهم لم يستطيعوا، فكان محصولهم سفه القول، وسخيف الكلام، وعدم اتزانه[١].

ويذكر لنا الباقلاني في مرحلة التحديد أن الإعجاز القرآني إنما كان من ثلاثة وجوه كالتالي:-

١. **الإخبار عن الغيوب:** الأمر الذي يخرج عن طوق البشر واستطاعتهم، وقد استدل عليه بما وعد الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيظهر دينه على الأديان كلها بقوله عز وجل:- (هُو الذي أرسَلَ رَسَوْلَهُ بالهُدَى وَدِين الحَقّ ليُظهرَهُ علَى الدين كُلِه ولَوْ كَرِهَ المشركُونَ)[٢]، ففعل الله عز وجل ذلك، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرّفهم ما وعدهم الله به من إظهار دينه؛ وذلك ليكون عندهم ثقة تامة بالنصر[٣].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل كذلك حتى وقف أصحاب جيوشه عليه، قال تعالى:- (قُلْ للَذينَ كَفَروُا سَتُغلَبُونَ وتُحشَرونَ إلى جَهَنَمَ وَبئِسَ المِهَادُ)[٤] فصدق الله عز وجل فيه، فهُزم الكافرون.

ومن أخبار الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل قوله تعالى:- (آلم غُلِبَتِ الرّوْمُ في أدنى الأرض وَهُم مّن بَعدِ غَلَبهم سَيَغلِبُونَ في بِضع سِنِينَ)[٥].

وأن الله عز وجل صدق وعده، فغلبت الروم فارس في بضع سنين، فالتخمين والظن متعذر وممتنع، فدلّ هذا على أنه من أخبار علاّم الغيب سبحانه وتعالى، وقال عز وجل في أهل بدر:- (وإذ يَعِدكُم اللّه إحْدَى الطّائِفَتَيْن أنها لَكُم)[٦]، فوفى الله عز وجل لهم بما وعد.

فجميع الآيات التي يتضمنها القرآن الكريم هي من الإخبار عن الغيوب ويكثر ذلك جداً، وهذا دليل على أن الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله عز وجل. ويلاحظ أن هذا الوجه من وجوه الإعجاز وُجد عند الرُمّاني أيضاً[٧].

---

[١] الباقلاني، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، مصدر سابق، ص١٧٩-١٨٢.
[٢] سورة التوبة، آية (٣٣).
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٧.
[٤] سورة آل عمران، آية (١٢).
[٥] سورة الروم، آية (١-٣).
[٦] سورة الأنفال، آية (٧).
[٧] الرُمّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق ص١١٠.

٢- من وجوه الإعجاز أيضاً إنه كان معلوماً من حال النبي ε أنه أميّاً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، ولم يكن يعرف عليه الصلاة والسلام شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم، وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، وإخبار عن قصص الماضين وسير الأمم الخالدة، من حين خلق الله عز وجل آدم عليه السلام إلى مبعث النبي ε [١]، فذكر في الكتاب عليه السلام قصة نوح عليه السلام وما كان بيّنه وبين قومه وما انتهى إليه أمره، فهذا الأمر لا سبيل له إلا عن طريق التعلم والنبي عليه الصلاة السلام أميّ لا يقرأ ولا يكتب، فلا يصل النبي الكريم إلى علم هذه الأمور إلا عن طريق الوحي ولذلك قال الله عز وجل:- (وَمَا كُنْتَ تَتلوا مِنْ قبلِهِ من كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بيَمِينكَ إذاً لارْتَابَ المُبطلونَ)[٢].

ويلاحظ هنا أن هذا الوجه يشمل كل ما تضمنه القرآن الكريم من العلوم والمعارف التي لا يمكن لأمي نشأ في بيئة أمية أن يأتي بها، فهذا وجه من جوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني.

٣- ومن وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني أيضاً، بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[٣].

ويلاحظ أن الباقلاني لا يقف طويلاً أمام الوجهين الأولين، بل يُوجّه جُلّ عنايته واهتمامه بالوجه الثالث البلاغي وهو نظم القرآن الكريم.

وقد اهتم الرُّمَّاني بالوجه الرابع من وجوه الإعجاز القرآني ألا وهو البلاغة فكانت رسالته تدور حول هذا الوجه واهتم به اهتماماً كبيراً.

لذلك يمكن القول إن دراسة الباقلاني لوجوه الإعجاز تدور حول محورين أساسيين، هما:-

المحور الأول: تحديد العناصر البلاغية الخاصة بالقرآن الكريم، والتي لا يوجد شيء منها في كلام الناس؛ وذلك لأنها ليست من عادات الناس وطبائعهم، وليست في مقدورهم أيضاً.

المحور الثاني: إمعان النظر في الآيات القرآنية، والعمل على مدارستها كلمة كلمة، وجملة جملة، وفقرة فقرة، وسورة سورة، ولقد أخذ الباقلاني كل هذه الأمور أخذة واعية، محاولاً أن يستخرج ما وراءها من أحوال، وغوامض وأسرار، وبهذا يكون القرآن الكريم غير الذي في الشعر والأدب فإن العقول تتيه في وتحار في بحره، وتضل دون وصفه[٤].

---

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٨.
[٢] سورة العنكبوت، آية (٤٨).
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٩.
[٤] أبو موسى، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، مرجع سابق، ص١٨٩.

ويلاحظ هنا أن الباقلاني دلّ على هذا الطريق دلالة واضحة، وقد ساعده في هذا الأمر حسه المُرهف، ولسان الذي يصل إلى غوامض ما يجد هذا الحس.

أما تحديد العناصر البلاغية القرآنية، فلا يوجد شيء منها في كلام الناس، فقد كان هذا الأمر ثمرة طول النظر في البحث عمّا أعجز الناس في القرآن الكريم، فانصرف الباقلاني إلى البحث عمّا ليس من طبع البشر، والذي قام عليه بيان القرآن فهو ثمرة معالجة عقلية طويلة[١].

وهكذا فأن مسألة البحث في الإعجاز القرآني تعتمد على الإقناع العقلي والجدل الكلامي، إضافة إلى الاستناد على البلاغة للوصول إلى الإعجاز القرآني[٢].

ويمكن القول إن وجوه الإعجاز عند الباقلاني ثلاثة وهي:-

١. ما تضمنه القرآن الكريم من نبؤات عن المستقبل.
٢. ذكر الحوادث الماضية وقصص السابقين مما روته الكتب السماوية مع أن النبي الكريم كان أمياً.
٣. نظم القرآن وأسلوبه وبلاغته.

ولما كان الباقلاني من علماء اللغة والأدب والبلاغة، فقد ركّز شرحه واهتمامه على الوجه الأخير من وجوه الإعجاز، فتحدث عن جمال نظم القرآن الكريم حديثاً طويلا، ولم يرض الباقلاني أن يترك هذا الوجه دون أن يحدد سماته، ويُبين معالمه، وما قصده بالنظم[٣].

فحلل هذا الوجه تحليلاً دقيقاً، ناتجاً عن ذكائه الحاد وسعة إطلاعه، ورسوخه في العلم ودقة فهمه.

فكان من جملة وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني كما أسلفنا: نظمه البديع، وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية التي يعجز البشر عن محاكاتها[٤].

والباقلاني هنا في الشطر الأول من نظريته تأثر بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أن الإعجاز القرآني الكريم يرجع إلى نظمه وأسلوبه العجيب المختلف عن أساليب العرب في الشعر والنثر وما يحتوى عليه من سجع.

أما في الشطر الثاني من نظريته فيلاحظ انه يتأثر بفكرة الرُمَّاني التي تكلمنا عنها في الفصل الأول، والتي ذهب فيها الرُمَّاني إلى أن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة.[٥]

---

(١) أبو موسى، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، مرجع سابق، ص ١٨٩.
(٢) حمودة، **البلاغة العربية**، مرجع سابق، ص٥٢.
(٣) العمري، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦.
(٤) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٩.

ويوجه الباقلاني جُلّ اهتمامه وعنايته بالبحث البلاغي حيث يُثبت لنا تميز الأسلوب القرآني، والبلاغة القرآنية عن أسلوب البشر وبلاغتهم، وينهج بذلك نهجاً مغايراً للمناهج التي انتهجها السابقون في إثبات الإعجاز البلاغي للقران، فهو يرفض فكرة إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن عن طريق ما فيه من البديع الموجود في الشعر؛ وذلك لان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه عن طريق التعلم والتدرب به وذلك كقول الشعر، ورصف الخطب، وصناعة الرسالة[١]، إذ يلاحظ هنا أن البديع عند الباقلاني غير معجز بحد ذاته، وذلك لان أي إنسان لا يعجز أن يأتي في كلامه بتشبيه، أو استعاره، أو طباق.

والمعجز عند الباقلاني، هو الصورة الباهرة التي وجد عليها في القرآن واتساقه مع سائر النظم القرآني اتساقاً عجيباً ورائقاً، بينما الشعر أو النثر البشري قد يحتوي على التشبيه أو الاستعارة الجيدة، ولكن يوجد إلى جوارها التعبير الساقط، واللفظ المبتذل، فالباقلاني يرفض فكرة التوصيل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق ما فيه من البديع[٢].

كما يرفض الباقلاني أيضا فكرة التوصل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق أقسام البلاغة العشرة التي حددها الرُّمَّاني، وذلك عندما عقد فصلاً بعنوان(فصل في وصف وجوه البلاغة) لخّص فيه أقوال الرُّمَّاني والذي يشير إليه، وان كان لا يصرّح باسمه، وذلك عندما قال:" ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام "[٣].

فالرُّمَّاني في الفصل السابق جعل هذه الوجوه سبيلاً إلى الوصول للإعجاز القرآني، بينما يلاحظ هنا أن الباقلاني يرفض هذا الرأي، ويُبين لنا أنّ هذه الوجوه العشرة تُقسم إلى قسمين هما:-

١ -قسم يمكن الوقوع عليه والتعمّل له، ويُدرك عن طريق التعلم؛ فما كان كذلك فلا سبيل هنا إلى معرفة الإعجاز القرآني به.

٢ -أما القسم الثاني: فهو ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعمل من البلاغات، فذلك هو الذي يدل على إعجازه[٤].

ويمكن الاستنتاج من هذا أن ما يمكن تعلمه ومعرفته من هذه الوجوه لا يؤدي إلى معرفة الإعجاز القرآني منه، وما لا يمكن تعلمه هو الذي يكون مناط الإعجاز، ويلاحظ أن ما

---

[٥] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق ص٧٥.
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق ، ص١٣١.
[٢] المصدر نفسه، ص٢١٣.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٦٨.
[٤] المصدر نفسه، ص٢٧٦.

ذكره الرُّمَّاني من أقسام البلاغة العشرة لا يوجد فيه ما لا يمكن تعلمه، فالفرق هو ما جاء من هذه الأقسام في القرآن هو في أعلى طبقات البلاغة.

ويقول الباقلاني إن هذه الوجوه البلاغية ليست معجزة في حد ذاتها، وإنما المعجز في هذه الوجوه هو حسنها البالغ وسموها أولاً، وارتباطها واتساقها مع بقية الكلام ثانياً، على نحو بالغ من الروعة والتكامل، وذلك حتى لا يحس القارئ بأي قدر من التفاوت البلاغي في هذا الكلام الرباني الذي يساوي بعضه بعضاً في البلاغة والفصاحة[١].

وبناءً على هذا فقد كان الباقلاني واسع الإدراك لنظم القرآن الكريم، وكان محيطاً ببلاغته وإعجازه، وذلك لأنه نشأ في عصر ترعرعت فيه العلوم البلاغية، واتخذت الدراسات الإعجازية صفة العلم القائم بذاته، وبذلك انفصلت عن التفسير، فُوجدت دراسات خاصة بالبحث في إعجاز القرآن، ساعدت هذه الدراسات على وضع الأصول، وتحديد ماهية الإعجاز القرآني وبلاغته[٢].

ويلاحظ أن الباقلاني يحصر الوجه البلاغي للإعجاز القرآني "أي بديع نظمه" في وجوه عشرة:-

- بعضها يرجع إلى القرآن الكريم في جملته.
- بعضها يرجع إلى بعض أساليبه.
- بعضها يرجع إلى مفرداته.
- بعضها يرجع إلى حروفه.

وهذه الوجوه العشرة هي:-

الوجه الأول :- ما يرجع إلى النظر في القرآن الكريم جملة واحدة، فنظم القرآن الكريم على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من كلامهم جميعه، وكذلك التميز عن أساليب الكلام المعتاد، فالقرآن الكريم له أسلوب يختص به ويميزه، إذ أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع من الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف من الكلام المعدل السجع، ونحن نعلم أن القرآن الكريم خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق؛ فالقرآن ليس من باب السجع، ولا فيه شئ منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر أيضاً كما قال الباقلاني[٣].

---

[١] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص٢١٤.
[٢] عمر السّلامي، **الإعجاز الفني في القرآن**، مرجع سابق، ص٦٣.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٥٩ – ٧٠.

ويلاحظ هنا أن الباقلاني يبذل جهداً كبيراً لمحاولة إثبات أن القرآن الكريم مخالف في جملته لجنس الكلام البشري.

ولم يكن الباقلاني أول من أشار إلى أن القرآن الكريم مخالف للمعهود من طرق التعبير، فقد سبق ذلك عند الرُّمَّاني، فقد قرر أن القرآن مخالف بقالبه لسائر قوالب الكلام عند العرب، وسمى هذا " نقض العادة " ولوحظ أن الرُّمَّاني جعلها أحد وجوه الإعجاز عنده، فهو يقول:- "أما نقض العادة، فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن الكريم بطريقة مفردة خارجه عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة "، والباقلاني اقتفى اثر الرُّمَّاني في ذلك[١].

الوجه الثاني :- وهوان القرآن الكريم على طوله وامتداده قد جاء على أعلى درجات الفصاحة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، وليس لأحد من العرب سواء في إنتاجه الفني شعراً أو نثراً، شئ من ذلك العلو الممتد في جميع إنتاجه على درجة واحدة[٢].

فقد يُنسب إلى الإنسان كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شعرهم قصائد محصورة يقع فيها الخلل والتكلف والتعسف، ولقد حمل القرآن الكريم – على كثرته وطوله – تناسباً في الفصاحة[٣]، كما وصفه الله عز وجل فقال:- (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ)[٤].

فكلام الآدمي وان امتد يقع فيه التفاوت، ويظهر عليه الاختلاف، وهذا تأكيد لقوله تعالى:- (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)[٥].

ويلاحظ أن هذا الوجه يرجع إلى أسلوب القرآن الكريم، فقد جاء في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وهو بذلك خارج عن أساليب البشر.

الوجه الثالث:- ومنها ما يرجع إلى النظم، وهو أنه عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت، و لا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف بها، من ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج، وحكم، وأحكام، وأعذار، وإنذار، ووعد، ووعيد، وتبشير، وتخويف، و أوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها،

---

(١) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١١.
(٢) مخلوف، **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن؛ دراسة تحليلية نقدية**، مرجع سابق، ص١٨٥.
(٣) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٦٠.
(٤) سورة الزمر، آية (٢٣).
(٥) سورة النساء ، آية رقم (٨٢).

فنجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المُصقع يختلف بحسب اختلاف هذه الأمور، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجاء وغير ذلك[٦].

فإذا تأملنا نظم القرآن الكريم وجدنا أنه يتصرف في جميع الوجوه على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف، والرصف، فلا يوجد تفاوت ولا انحطاط من المنزلة العليا فالإعجاز في القرآن الكريم يكون في جميع الآيات على حد واحد، ولا يختلف في ذلك سواء كانت الآيات طويلة أو قصيرة.

الوجه الرابع:- ومنها ما يرجع إلى استواء نظْمه، وحسن رصفه، فكلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيّناً في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير هذا مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، أن كثيراً من الشعراء قد وصُفوا بالنقص عند التنقل من معنى إلى معنى آخر غيره، حتى أن أهل الصنعة اتفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظْمه، وحسن وصفه في الخروج من النسيب إلى المديح، وتم الاتفاق على أنّه لا يحسنه، ولا يأتي فيه بشيء، ولكن القرآن الكريم على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة إلا أنه يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، وبهذا الأمر تظهر لنا بلاغة القرآن وفصاحته، فيخرج الكلام هنا عن حد العادة، ويتجاوز العرف[١]، ويلاحظ أن القرآن الكريم على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة.

الوجه الخامس:- ومنها خروجه عن نظْم المخلوقين، إذ أنّ نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج بذلك عن عادة الإنس والجن، فهم يعجزون عن الإثبات بمثله كعجزنا وعجز أي إنسان في هذه الدنيا، وهذه الآية تؤكد لنا هذا الأمر، قال تعالى :- (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا)[٢].

وبيان ذلك من القرآن الكريم أن الله عز وجل حكى عن الجن وما تفاوضوا فيه من القرآن فقال تعالى:- (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ)[٣]، إلى آخر ما حكاه الله عز وجل فيما يتلوه، فإذا وجد ما يثبت وصف كلامهم، وموافقة ما يعتقدونه في خطابهم، صح أن يوصف الشيء

---

[٦] الباقلاني، **أعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٦٠.
[١] الباقلاني، **أعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٦٢.
[٢] سورة الإسراء، آية رقم [٨٨].
[٣] سورة الأحقاف، آية رقم [٢٩].

المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن في الفصاحة[٤]، وبهذا يمكن الاستنتاج أن عجز الإنس عن القرآن الكريم له حكم الإعجاز فلا يُعتبر غيره.

الوجه السادس:- اشتمال القرآن على أساليب الخطاب من البسط والاختصار، والجمع والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق، وغير ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم، وكل ذلك ما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم، وذلك في الفصاحة والإبداع والبلاغة، والملاحظ هنا أن الباقلاني لا يمنع أن البديع أحد وجوه الإعجاز، ولكنه يمنع أن يكون الإعجاز وقفاً عليه.

الوجه السابع:- غزارة المعاني التي يتضمنها في أصل وضع الشريعة، والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة، وذلك مما يتعذر على البشر ويمتنع، وذلك أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة بين الناس أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، فابتداع الباقلاني للألفاظ التي عبر بها عن المعاني الشرعية من غير ما سبق إليها يسمى بالبراعة[١].

وفي هذا الوجه الذي يذكره الباقلاني توجد لفتة منّه تستحق التقدير، وذلك بأن اللفظ والمعنى في كتاب الله عز وجل كلاهما فيه جدّة، وهذا ليس بمتيسر لكثير من الناس، فالبراعة في اللفظ من شأن الأدباء، والجدّة في المعنى من شأن رجال التشريع والفلسفة والأخلاق[٢].

الوجه الثامن:- تأثير الكلمة في الأسماع والنفوس، وهو أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن يذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، فتأخذها الأسماع وتتشوق إليها النفوس ويُرى وجه رونقها كالدّرة التي تُرى في سلك من خرز[٣]، ويلاحظ هنا أن الباقلاني يبين تميز الكلمة القرآنية عن غيرها من سائر الكلام بالرونق والفصاحة فهذا يجعل القرآن الكريم معجزاً.

وقد استشهد الباقلاني بقوله تعالى:- (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا)[٤] فهذه الأية تخبرنا بأن أهل الفصاحة قد يكونون كاذبين وذلك فيما أخبروا به عن أنفسهم، وقد يكون هذا الكلام خرج منهم فدل على عجزهم، فلو كانوا على ما وصفوا به لتجاوزوا الوعد إلى الإنجاز، فلما لم يفعلوا ذلك مع وجود التحدي و إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه علم بذلك عجزهم، فلو

---

[٤] الباقلاني، **أعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٦٥.
[١] مخلوف، **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلة نقدية**، مرجع سابق، ص ١٨٧.
[٢] فضل حسن عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص ٥٨.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٦٧.
[٤] سورة الأنفال، آية رقم (٣١).

كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن الكريم لم يقتصروا على الدعوى فقط، ولكن لا يستطيع أحد أن يأتي بمثل القرآن الكريم.

الوجه التاسع:- ومنها ما يرجع إلى الحروف التي بني عليها كلام العرب وهي ثمانية وعشرون حرفاً وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة وهي أربعة عشر حرفاً؛ وذلك ليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم[١]، ويذكر لنا الباقلاني هنا تقسيم أهل العربية للحروف فأقسام هذه الحروف هي حروف مهموسة، وأخرى مجهورة، فالمهموسة هي: الحاء، والهاء، والكاف، والشين، والثاء، والفاء، والصاد، والسين، والخاء، فنصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء لا زيادة ولا نقصان[٢].

- فالحرف المجهور هو:- حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع أن يجري معه وذلك حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت، أي انقطاع النفس عند النطق بالحرف، مثل الألف.
- أما الحرف المهموس فهو:- كل حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس، فهذا الحرف مما تتم الحاجة إلى معرفته؛ وذلك لتبتني عليه أصول العربية، أي جريان النفس عند النطق بالحرف.
- ومن أقسام الحروف أيضاً حروف الحلق:- وهي العين، الهمزة، الهاء، الخاء، الغين، الحاء.
- حروف غير شديدة وحروف شديدة والشديدة هي: التي تمنع الصوت أن يجري فيه مثل:- الهمزة، والقاف[٣]، والحروف غير شديدة (رخوة) وهي: جريان الصوت عند النطق بالحرف إذا تم الانحصار في حروف قولك" "أجدك قطبت" سميت شديدة، وإذ تم الجري كما في الباقية من ذلك سميت رخوة، أي غير شديدة مثل:- حاء، خاء، دال[٤].

---

(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٩.
(٤) السكاكي، **مفتاح العلوم**، مصدر سابق، ص١١.

- حروف مطبقة وهي:- الطاء، الظاء، الضاد، الصاد، وما عدا هذه الحروف فهي حروف منفتحة[٥]، فموقع هذه الحروف لا يتم إلا من الله عز وجل؛ لأن ذلك يجري مجرى علم الغيوب.

الوجه العاشر: أما الوجه العاشر الذي يرجع إليه جمال النظم فهو السهولة والعذوبة، وهو أنه سهل سبيله، خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة فجعله بذلك قريباً إلى الفهم يبادر معناه لفظة إلى القلب، ويسابق المغزى من عباراته إلى النفس، وهو مع ذلك كله ممتنع الطلب، عسير المتناول، ولا يقدر عليه أحد[١].

وأرى هنا أن هذه الوجوه التي ذكرها لنا الباقلاني هي وجوه متكاملة تتسم بالدقة والوضوح، وتدل على ترابط الجزئيات وتكاملها، وهذه الوجوه كلها تندرج تحت فكرة واحدة وهي أن لنظم القرآن الكريم موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الإنس والجن.

فقد كانت فكرة مخالفة النظم القرآني لصور التعبير المعتادة عند العرب هي الدافع للباقلاني إلى أن ينفي بعض الصور عن القرآن الكريم.

ولقد بدأ الباقلاني في ذلك:-

أولاً: نفي الشعر عن القرآن الكريم[٢]:- فقد قرر الباقلاني في بداية حديثه عن هذا الموضوع أن الله عز وجل قد نفى الشعر عن القرآن الكريم، وعن النبي صلى الله عليه وسلم، مستشهداً بقوله تعالى:- (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِعرَ وَمَا يَنبَغي له إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ وقُرآنٌ مُّبِينٌ)[٣]، وقوله عز وجل في ذم الشعراء:- (والشُّعَراءُ يتَّبعُهمُ الغَاوونَ ألم تَرَ أنَّهُمْ في كلِّ وادٍ يهَيمُون)[٤] وقوله تعالى أيضاً:- (وَمَا هُوَ بقوْلِ شَاعر)[٥].

وعلى ذلك فإن ما حكاه القرآن الكريم عن الكفار من وصفهم الرسول الكريم بأنه شاعر، وبأن القرآن شعرٌ فلابد أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه في القرآن إلى الشعر، فالذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يعرفونه على الأعاريض المحصورة والمألوفة، أو أنه يكون محمولاً على ما يطلقه الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم، وذلك في وصفهم إياهم

---

(٥) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٦٩.
(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٦٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(٣) سورة يس، آية (٦٩).
(٤) سورة الشعراء، آية (٢٢٤-٢٢٥).
(٥) سورة الحاقة، آية (٤١).

بالشعر، وذلك لدقة نظرهم في وجوه الكلام، وأيضاً لطرق لهم في المنطق، فهذا الأمر خارجاً عما هو عند العرب من شعر على الحقيقة[٦].

أو يكون محمولاً على أن وصف القرآن بالشعر قد أطلقه بعض الضعفاء منهم، وذلك في معرفة أوزان الشعر، وهذا أبعد الاحتمالات كما قال الباقلاني، ولقد تصدّى الباقلاني للرد على من زعم أنه يوجد في القرآن الكريم شعرٌ كثيرٌ وأن بعض آيات القرآن قد تشكل بيتاً أو أبياتاً، أو تشكل مصراعاً، فأخذ الباقلاني يورد هذه المزاعم ويرد عليها بما ينفي أنها من الشعر، فمثّل لما يزعمونه مصراع بيت بقول القائل:-

قَدْ قلتُ لمّا حَاوَلوُا سَلْوتي " هَيهَاتَ هَيهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ"[١]

وقوله تعالى:- (وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ)[٢].

فقد زعموا أنه من الوافر؛ وذلك كقول الشاعر:

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقها غِزَارٌ كَأَنَّ قُرون جِلّتِها عِصِيُّ

ولقد ردّ عليهم الباقلاني بأن الفصحاء عندما ورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدون أنه شعرٌ، ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم لبادروا إلى معارضته؛ وذلك لأن الشعر مُسخّر لهم، فلما لم يشتغلوا بذلك تم معرفة أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً مما يقدره الضعفاء في الصنعة[٣].

وهكذا نرى أن الباقلاني يجهد نفسه في نفي صفة الشعر عما جاء في القرآن الكريم موزوناً ويوهم أنّه من الشعر، فمرة يستدل بمقدار الكلام وطوله، ومرة يستدل بنفي الشعر عن الرجز جملة، ومرة يستدل بالقصد والنّية في صياغة الشعر، والباقلاني بهذا قد ركز على الشكل والصورة في نفي أن يكون في القرآن شعر، ولم يلتفت إلى ما يخالف به القرآن الشعر من جهة المضمون والغاية.

ولقد نفى الباقلاني أن يكون القرآن من الكلام الموزون غير المقفى؛ وذلك لأنه من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه في الطول والقصر، والسواكن والحركات، فإذا خرج عن هذا لم يكن موزوناً، ويُمثّل لنا الباقلاني لهذا اللون من التعبير بقول القائل[٤]:

رُبَّ أخٍ كُنتُ بِهِ مُغتَبِطاً أشُدُّ كفّي بِعُرا صَحبتِهِ

تمكساً منّي بالودِ ولا أحسَبُه يزهَدُ في ذي أمَل

---

[٦] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٧٦.

[١] الشطر الثاني آية من آيات سورة المؤمنين، آية (٣٦).

[٢] سورة التوبة، آية (١٤).

[٣] الباقلاني، **إعجاز** القرآن، مصدر سابق، ص ٧٩.

[٤] المصدر نفسه، ص ٨٢.

فهذا اللون من التعبير يسميه الباقلاني (المزاوج المتساوي الضروب)، والباقلاني يعقب على هذا المثال بقوله:- "وقد علمنا أن القرآن ليس من هذا القبيل، بل إن هذا قبيل غير ممدوح ولا مقصود من جملة الفصيح، وربما كان مستنكراً، بل أكثره على ذلك"[٥].

وأرى هنا أن القرآن الكريم عندما نفى الشعر عنه، إنما كان يعمد إلى الجوهر هدفاً في ذلك.

ويورد لنا الباقلاني قصائد لكبار الشعراء من أمثال امرئ القيس، والبحتري، وغيرهم، فيعمل على تحليلها، ويبين ما وقع فيها من خلل واضطراب؛ وذلك بغرض إثبات أن القرآن الكريم يفوق أشعار هؤلاء الذي يُعدون من أفصح العرب.

ويقدم الباقلاني تحليلات أدبية تُعد تطبيقاً للمنهج التحليلي الفني، فيمزج بين النظرية والتطبيق في تحليله لقصيدة البحتري[١]:

قَدْ رُحْتُ منه على أغَرّ مُحجلِ وأغَرَّ في الزَّمَنِ البهَيم مُحجَّلِ

في الحُسْن جَاءَ كصُورةٍ في هَيْكَلِ كالهَيْكَلِ المَبْنِيّ إلا أنَّهُ

فيأخذ الباقلاني على البيت الأول أنه مقطوع عما سبقه من أبيات، فهذا عيب شائع في شعر البحتري، كما يأخذ الباقلاني عليه ذكر التحجيل في الممدوح قريب وليس بجيد، وعلى الرغم من اقتران ذكر التحجيل بالأغر؛ وذلك ليكسبه بعض التفرد والحسن، فإنه يظل مع ذلك معنى عادياً، فلقد كان هدف الشاعر هو أن يحقق في بيته لونين من التحسين البديعي هما "التجنيس" و"رد الإعجاز على الصدور"، ففي تكرير كلمتي (أغر) و (محجل) بمعنيين مختلفين هو تجنيس، وفي ذكرهما في بداية البيت ونهايته ردّ للإعجاز على الصدور[٢].

أما في البيت الثاني: فيركز الباقلاني انتقاده على كلمة (الهيكل) التي يرى أنها ثقيلة في ذاتها، ولقد زادها التكرار ثقلاً، فالشاعر هنا لم يكررها إلا لتحقيق لون من التحسين البديعي المتمثل في رد عجز البيت على صدره، فلم يظهر بهذه الكلمة، ولم يحقق بها شيئاً فقد حقق الثقل في البيت، ويقول لنا الباقلاني: إنه في العادة يُقال في التعبير عن مثل هذا المعنى الذي عبر عنه البحتري "وما هو إلا صورة" و "ما هو إلا تمثال" وغير ذلك من التعبيرات الخفيفة على القلب واللسان.

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(١) عبادة الوليد بن عبيد البحتري (ت٢٨٤هـ)، **ديوان البحتري**، شرح وتقديم حنا الفاخوري، ط١، مجلد٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٧٤.

(٢) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٣٧.

وهكذا يلاحظ أن الباقلاني يبرز لنا مساوئ القصيدة، وفي المقابل يبرز لنا محاسن القرآن الكريم.

ويورد لنا الباقلاني خطباً للرسول – ε – ولكبار الصحابة، مثل: علي بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق، وعمر بن عبد العزيز، وعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهم–[٣] وذلك ليثبت لنا أن القرآن الكريم قد فاق هؤلاء بلاغة، ولإثبات أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، وأنه قد سلم من التحريف والزيادة والنقصان، فكلام الله عز وجل مميز عن كلام البشر؛ وذلك بما اشتمل عليه من بديع التأليف والنظم.

وأن الوهم ينقطع دون مجاراة القرآن الكريم، والطمع يرتفع عن مباراته، ومساماته؛ فالكل في العجز عنه على حد واحد.

ثانياً: ولقد نفى الباقلاني أيضاً السجع عن القرآن الكريم؛ وذلك لأنه لو كان القرآن الكريم سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، فلم يقع الإعجاز بذلك، ثم يورد بعض الأدلة على نفي السجع عن القرآن الكريم، ويخلص إلى أن الذين قالوا بالسجع في القرآن يسلمون بما ذهب إليه النظّام، وعباد بن سليمان، ومن سار في مذهبهم في الصّرفة، وذلك بأنه ليس في نظم القرآن الكريم وتأليفه أي إعجاز وبالتالي يمكن معارضته[١].

وسوف أتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل في المبحث الثاني من خلال تأثير النزعة الشعرية عند الباقلاني.

ولقد تضمن كتاب "إعجاز القرآن" مجموعة من الإشارات البلاغية كلها تقع تحت مسمى (البديع)، فالباقلاني يستخدم مصطلح البديع بمفهومه العام والشامل، والذي كان متعارفاً عليه في عصره، فالبديع في مفهومه هو: علم شامل لكل مباحث البلاغة العربية التي قُسمت إلى بيان ومعان وبديع[٢].

ويرى الباقلاني أن الاستعارة والتشبيه من البديع، وهما من أهم مباحث علم البيان، ويرى أيضاً كما هو ملاحظ في كتابه "إعجاز القرآن" أن المساواة وبعض صور الإطناب من البديع، وهما في الواضح من موضوعات علم المعاني.

---

[٣] المصدر نفسه، ص ١٤٧، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٨٣، ٩١.

[٢] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص ٢١٣.

ويعدّ الباقلاني أيضا مجموعة من الصور البديعة التي استقرت فيما بعد تحت عنوان البديع من مثل: المطابقة، والتجنيس، وغيرها[٣].

كما يرفض الباقلاني فكرة التوصل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق ما فيه من بديع، فإنه يرفض أيضا فكرة التوصل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق أقسام البلاغة العشرة، والتي حددها لنا الرُّمَّاني في رسالته" النُّكت في إعجاز القرآن"، حيث عقد الباقلاني فصلاً في كتابه"إعجاز القرآن"، بعنوان "وصف وجوه البلاغة" ولخص فيه أقوال الرُّمَّاني، الذي يشير إليه، وإن كان لا يصرح باسمه، حيث يقول: "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام"[١]، والمقصود بأهل الأدب والكلام هنا هو الرُّمَّاني.

ويلاحظ أن الباقلاني قد تأثر بالرُّمَّاني، ونقل عنه هذه الأقسام العشرة، واختصر في بعض الأحيان، ونقل الباقلاني ما كتبه الرُّمَّاني حرفاً بحرف ومثالاً بمثال.

فمن المباحث البلاغية في كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني، ما يلي:-

١ -**الإيجاز:**- فالإيجاز عنده يحسن مع ترك الإخلال باللفظ والمعنى، فيأتي باللفظ القليل والشامل لأمور كثيرة، فينقسم الإيجاز عند الباقلاني إلى حذف وقصر.

فالحذف:- هو الذي يكون فيه الإسقاط للتخفيف، كقوله تعالى:(وأسال القرية)[٢]، ومنه حذف الجواب، كقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى)[٣]، فكأنه قيل هنا:- لكان هذا القرآن، أما الإيجاز بالقصر، كقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)[٤]، وكما أن الإيجاز بلاغة، والتقصير عَيّ، فأن الإطناب فيه بلاغة، وأما التطويل ففيه عَيّ[٥].

٢ -**التشبيه:**- فهو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الأخر في حس أو عقل أو لون أو حركة[٦]، وذلك كقوله تعالى:- (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)[٧].

---

[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢١٣.
[٢] سورة يوسف،آية (٨٢).
[٣] سورة الرعد، آية (٣١).
[٤] سورة البقرة، آية (١٧٩).
[٥] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٦٨.
[٦] المصدر نفسه، ص٢٦٩.
[٧] سورة النور، آية (٣٩).

وقولـــه تعالى:- (وَإذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فوْقهُمْ كَأنَّهُ ظلَّة)[٨]، فالتشبيه عند الباقلاني مـــن البديع أي من البلاغة، ويقول الباقلاني: ومن التشبيه الحسن في القرآن الكريم، قوله تعالى:- (وَلهُ الجَوَار المُنْشَآتُ فِي البَحْر كَالأعْلام)[٩]. ونلاحظ هنا أن الباقلاني يعرض لنا آيات قرآنيه كثيرة في مبحث التشبيه، وذلك حتى يبرز لنا مواطن الجمال في هذه الآيات القرآنية.

٣-الاستعارة:- والاستعارة في مفهوم الباقلاني عنصر من عناصر البديع أيضا حيث يقـــول الباقلاني:- "ومن البديع الاستعارة"[١]، ولقد ذكر لنا الباقلاني بعض النماذج الشعرية لتوضيح صورتها. فمن ذلك قول امرئ القيس[٢]:-

وَليـــلٍ كمُـــوج البحِـــر أرخـــى سُـــدُوله عَلـــــيّ بـــــأنْوَاع الهُمُـــــوم ليَبْتَلـــــي
فقُلـــتُ لـــــهُ لمّـــا تَمطّـــى بصُــــلْبهِ وأرْدَفَ إعْجَـــــازاً وَنـــــاءَ بكَلْكَـــــلِ

فيقول الباقلاني هنا:-"أن هذه الكلمات استعارات أتى بها لذكر طول الليل"[٣]، ويقدم لنا الباقلاني شواهد من القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى:- (صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَة)[٤]، أي دين الله عز وجل.

٤- التلاؤم:-وهو تعديل في التأليف، وهو كما عرفنا نقيض التنافر، وذلك كقول الشاعر[٥]:-

وقبْـــــر حَـــــرْبٍ بمكـــــانٍ قفْـــــر ولـــــيْسَ قُـــرْبَ قبْـــرْ حَـــربٍ قبْـــرُ

فهذا من شعر الجن، فحروفه متنافره، والتلاؤم على ضربين: أحدهما في الطبقـــة الوســطى كقول الشاعر:-

رَمَتنِـــي وسِـــتْرُ الله بيْنِـــي وبيْنَهَـــا عشِيّـــــية آرَام الكِنَـــــاس رمَـــــيمُ
رَمَـــيمُ التـــي قالـــت لجـــاراتِ بيْتَهَـــا ضَـــمِنْتُ لكـــم أنَ لا يـــزَالَ بهَـــيمُ
ألا ورُبّ يـــوم لـــو رَمَتنِـــي رَمَيْتُهُـــا ولكـــنّ عهْـــدِي بالنّضَـــال قـــديمُ

أما المتلائم في الطبقة العليا:- فهو القرآن الكريم كله، فالتلاؤم يكون بحسب الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب، وهذا كالخط الحسن والبيان الشـــافي، والمتنافر كالخط القبيح[٦].

---

[٨] سورة الأعراف، آية (١٧١).
[٩] سورة الرحمن، آية (٢٤).
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٩.
[٢] امرئ القيس جندح بن حجر، **ديوان امرئ القـيس**، شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجيـل، بيـروت، د.ت، ص٤٢.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٩.
[٤] سورة البقرة، آية (١٣٨).
[٥] الباقلاني، **إعجاز** القرآن، مصدر سابق، ص ٢٧٢.

٥. **الفواصل:-** هي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعنى وفيهـا بلاغـة، أمـا الأسجاع فهي عيب، وذلك لأن السجع يتبعه المعنى، أما الفواصـل فهـي تابعـة للمعـاني، فالفواصل قد تقع على حروف متجانسة، كما قد تقع على حروف متقاربة؛ وذلك لأنها تحتمل القوافي ما تحتمل الفواصل؛ وذلك لأنها ليست في الطبقة العليا في البلاغة. فالكلام يحسن فيها بمجانسة القوافي و إقامة الوزن أيضاً.

٦. **التجانس:-** وهو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد، وهو على وجهين همـا[١]:- المزواجة، والمناسبة، فالمزاوجة كقوله تعالى:- (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْـلِ مَـا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)[٢]. وكقول عمرو بن كلثوم:-

ألا لا يَجْهَلَـــنَ أحـــدٌ علينـــا   فنجهـــلَ فـــوقَ جَهْـــلِ الجاهلينـــا

وأما المناسبة، فهي كقوله تعالى:- (ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)[٣].

٧. **التصريف:-** هو تصريف الكلام في المعاني، وذلك كتصريفه فـي الـدلالات المختلفـة، كتصريف الملك في معاني الصفات، فصُرّف في معنى مالك، وذي الملكوت، والمليك، وفـي معنى التمليك، والتملك والإملاك، ومن الأمثلة على تصريف المعنى في الدلالات المختلفة ما كُرر في قصة موسى من مواضع مختلفة[٤].

٨. **التضمين:-** وهو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هـي عبـارة عنـه، فالتضمين يكون على وجهين هما:-

- تضمين يوجبه البنية:- مثل: معلوم يوجب أنّه لا بد من عالم.

- تضمين يوجبه معنى العبارة:- وذلك أنه لا يصح إلا به؛ وذلك كالصفة بضارب تدل على مضروب، ويقول الباقلاني إن التضمين كله إيجاز، وذكر لنا أن "بسم الله الرحمن الرحيم" من باب التضمين؛ وذلك لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه وذلك على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى.

وتضمين المعاني في نظر الباقلاني قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة في أعلى درجاتها.

---

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٧٢.
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٧٣.
[٢] سورة البقرة، آية (١٩٤).
[٣] سورة التوبة، آية (١٢٧).
[٤] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٧٤.

٩. المبالغة:- وهي الدلالة على كثرة المعنى، وهذا على وجوه:- منها مبالغة في الصفة المبنية لذلك مثل:- رحمن فقد عدل ذلك للمبالغة، وكقول "غفار"، وكذلك فعّال وفعُول من مثل:- شكور وغفور، وفعيل من مثل رحيم، وقدير، ومن ذلك أيضاً أن يبالغ باللفظة التي هي صفة عامة[٥]، من مثل قوله تعالى:- (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[٦]. و كقوله تعالى:- (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ)[٧].

١٠. حسن البيان: - فالبيان يكون على أربعة أقسام هي:- كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، ويقع التفاضل في البيان[١]، وذلك كقول الله عز وجل:-(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القرآن خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)[٢]، وبذلك يتعلق الإعجاز بالبيان، وهذا لا يختص بجنس دون جنس، قال تعالى:- (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاس)[٣].

وبهذا كان القرآن الكريم علم بلاغة عند العرب، ثم جاء بعدهم بلاغة هذا العلم، ويوجد في القرآن الكريم أنواع عديدة من البلاغة، بحيث يستحيل البتة أن يوجد في كلام العربي نوع من ذلك[٤].

وقد ذكر لنا الباقلاني بعض الألوان البديعية الأخرى، وذلك بأنّه تصوّر أن سائلا يسأل:- هل يمكن أن يُعرف إعجاز القرآن عن طريق ما يتضمنه من البديع؟ فيجيب الباقلاني وذلك بإيراد بعض الألوان البديعية، فيذكر لنا الباقلاني أن البديع قد يكون من الكلمات الجامعة الحكيمة، كقوله تعالى:- (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاص حَيَاةٌ)[٥]، وفي الألفاظ الفصيحة، كقوله تعالى:- (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا)[٦]، وفي الألفاظ الإلهية، كقوله تعالى:- (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ)[٧].

---

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٧٤- ٢٧٥.
[٦] سورة الزمر، آية (٦٢).
[٧] سورة النحل، آية (٢٦).
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٧٥.
[٢] سورة الرحمن، آية (١-٤).
[٣] سورة آل عمران، آية (١٣٧).
[٤] مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط٨، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٢٥٠.
[٥] سورة البقرة، آية (١٧٩).
[٦] سورة يوسف، آية (٨٠).
[٧] سورة النمل، آية (٩١).

ومن الألوان البديعية ما يلي: -

المقابلة:- والمقابلة في مفهوم الباقلاني من البديع أيضاً، ولقد عرفها بقوله:- وهي أن يوفق بين معانٍ ونظائرها، والمضاد بضده، ولقد استشهد لهذا اللون البلاغي بقول الشاعر[٨]:-

وَإذَا حَديثٌ سَاءني لَمْ أكْتَئِبْ　　وَإذَا حِديثٌ سَرَّني لَمْ أُسرُرْ

ومن هذا اللون البلاغي في القرآن الكريم قوله تعالى:- (ثُمَّ إذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُون)[٩].

- **ومن البديع أيضاً التعطف:** وذلك كقول أمرىء القيس:-

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلِقْ[١٠]

فالتعطف:- هو أن يُذكر اللفظ ثم يُكرر والمعنى مختلف، فالعود الأول: أي رجل مُسن، والثاني: جمل مُسن، والثالث: طريق[١].

- ويذكر لنا الباقلاني لوناً آخر من ألوان البديع ألا وهو **السلب والإيجاب:** وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة، وإثباته من جهة أخرى[٢]، وذلك كقول القائل :-

وننكرُ أن شئنا عَلَى النَاس قَولهم　　ولا يُنكرونَ القَولَ حينَ نقولُ

- **ومن البديع أيضاً التكافؤ:** وهو في نظر الباقلاني قريب من المطابقة، وذلك كقول المنصور:- لا تخرجوا من عز الطاعة، إلى ذلّ المعصية، ومنه قول بشار:-

إذا أيقظتك حروبُ العِدَا　　فنبّهْ لها عُمَراً ثُمَّ نَمْ[٣]

- **وصحة التقسيم** في مفهوم الباقلاني من البديع: فيتشهد لهذا اللون البلاغي، بقول الشاعر[٤]:

فقَالَ فريقُ القَومِ لا، وفَريقُهُمْ　　نعمَ، وفريقٌ قَالَ: ويحَك، ما يدري

كما استشهد من القرآن الكريم بقوله تعالى:- (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)[٥].

وكما عرفنا أنّ الباقلاني يرفض فكرة التوصل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق أقسام البلاغة العشرة التي حددها الرُّمَّاني، وقد نقلها عنه ويرفض التوصل إلى أعجاز

---

[٨] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ١١٢.
[٩] سورة النحل، آية (٥٤).
[١٠] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ١٢٠.
[١] العسكري، كتاب **الصناعتين**، مصدر سابق، ص٤٧٤.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٢٠.
[٣] بشار بن برد، **ديوان بشار بن برد**، ط١، مجلد٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٤٩٤.
[٤] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ١١٧.
[٥] سورة البقرة، آية (٢٥٧).

القرآن عن طريق ما فيه من البديع أيضاً، وذلك لأن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، ويمكن استدراكه بالتعلم والتدرب، وذلك مثل: قول الشعر، ووصف الخطب، وصناعة الرسالة، والحذف في البلاغة[٦]. فكل ما يمكن تعلمه لا يطلب وقوع الإعجاز به.

وبعد ذلك يبين لنا الباقلاني أن هذا الباب لا يتعذر ولا يمتنع، وكل إنسان يأخذ منه مأخذاً، ويقف فيه موقفاً، بحسب المعرفة، ويقول الباقلاني إن هذه الألوان البديعية باب من أبواب البراعة، وجنس من أجناس البلاغة، فالقرآن لا ينفك من فن من فنون البلاغة.

فنرى هنا أن الباقلاني لا يسلب هذه الألوان البديعية كل الفضل فيقول الباقلاني:- "إنما لم نطلق القول إطلاقاً؛ لأنا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة، ووقفاً عليها، ومضافاً إليها، وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة، آخذة بخطها من الحسن والبهجة، متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع، والتعمل المستبشع"[١].

وهذا القول يوضح أن الباقلاني يرد الإعجاز إلى النظم، فالوقوف عند الجملة القرآنية وبيان ما بها من صور بلاغية يجب أن تكون غايته بيان ما قد يكون لهذا اللون البلاغي من تأثير في الكل، فالغاية عند الباقلاني عدم الوقوف عند الجزئيات لإسناد الإعجاز لما تتضمنه الألوان البديعية.

ويصرح الباقلاني بأنه لا مزية للفنون البلاغية من طباق، وجناس، واستعارة، وتشبيه، وغيرها إلا من خلال نظمها وسياقها الذي سلكت فيه، فلا يمكن أن يقال: إن الطباق بنفسه معجز أو الاستعارة لذاتها معجزة، أو التشبيه بانفراده معجز، أما إذا نظرنا إلى هذه الفنون في سياقها ونظمها القرآني البديع العجيب والذي لا يدانيه نظم فعندئذ يُقال: إن القرآن الكريم معجز بنظمه وسياقه وتركيبه الذي سما إلى الطبقة العليا من طبقات البلاغة[٢].

ويلخص الباقلاني مذهبه في الإعجاز بقوله:- "إن القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته، وحسن بهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد، وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان و دلالة التأليف، ما لا ينحصر حسناً وبهجة وسناءً ورفعة، وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة، وبحسب ما يترتب في نظمه، ويتنزّل في موقعه ويجري على سمت مطلعة ومقطعة يكون

---

[٦] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ١٣١.
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ١٣٢.
[٢] بسيوني عبد الفتاح فيود، **دراسات بلاغية**، ط١، مطبعة السعادة، د.م ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٣٦.

عجيب تأثيراته، وبديع مقتضياته"[٣]، فالقرآن الكريم له تأثير كبير في النفوس البشرية، كما يفهم من قول الباقلاني.

ويلاحظ هنا أن البلاقلاني يحاول أن يثبت لنا أن النظم هو أهم وجه من وجوه الإعجاز، وهو الذي تحدى الله به الناس أن يأتوا بمثل نظمه، فالباقلاني يبني مذهبه ورآيه في الإعجاز على أساس مغايرة الشكل القرآني وأسلوبه للأشكال الأدبية الموجودة عند العرب، من مثل:- الشعر، والخطب، والرسائل، وغير هذا ، فالتعبير القرآني يفوق تعبيرات البشر، ونحن نؤيد قوله.

وأسرار الإعجاز القرآني كامنة، في نظم القرآن الكريم عنده، لا في البديع ولا في وجه من وجوه البلاغة التي أحصاها لنا الرُّمَّاني، والباقلاني عندما هاجم المعتزلة فقد لفت الأنظار إلى نظم القرآن الكريم وبراعة تأليفه.

والمتناهي في البلاغة إلى الحد المعجز عند الباقلاني، هو البالغ إلى أعلى درجات البلاغة وهي درجة المعجز عند الرُّمَّاني، وما كان دون هذا الأمر فهو ممكن[١].

كما يلاحظ أن نهج القرآن الكريم ونظمه وتأليفه ورصفه، فإن العقول الإنسانية تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه[٢]، وأرى أن البحث عن وجوه الإعجاز القرآني يعد سبيلاً وطريقاً للوقوف على البلاغة العربية بعلومها المختلفة، فتم دراسة فنون البلاغة العربية للتوصل إلى سر الجمال في التعبير القرآني، وكشف النواحي التي من أجلها عجز العرب عن أن يأتوا بأقصر سورة في القرآن الكريم.

---

[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٧٧.
[١] سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة**، مرجع سابق، ص ١٢٦.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ١٩٧.

المبحث الثاني: ـ أثر النزعة الأشعرية عنده في الإعجاز

كان أبو بكر الباقلاني رأساً من رؤوس أهل السنة، وكان من بعد الأشعري معلماً في بناء مدرسته واتجاهه، وينسب إلى الباقلاني وضع المقدمات العقلية؛ وذلك كالجوهر الفرد في تأليف علم الكلام الأشعري[١].

وقد عمل الباقلاني على الدفاع عن العقيدة الإسلامية وذلك ضد الطاعنين والمنحرفين، فكان من الطبيعي أن يشغل دفاعه عن القرآن الكريم حيزاً كبيراً من تفكيره وعلمه؛ ولهذا كان له كتابان عظيمان، وربما هما أشهر ما ألف الباقلاني، ألا وهما: كتاب الانتصار لنقل القرآن، وكتاب إعجاز القرآن[٢].

ويعدّ كتاب "إعجاز القرآن" ذا أثر جليل يدل على حذق المتكلمين للبيان، وفضلاً عن خدمتهم لعلم الكلام، والذي أغاض القول فيما يوجه إلى القرآن الكريم من المطاعن، والتي يريد بها كثير من الناس الغض من شأن الآية الكبرى للنبوة، وهي القرآن الكريم[٣].

ويلاحظ أن كتاب الباقلاني "إعجاز القرآن" يحتوي على القضايا البلاغية ومباحثها المتعددة، وهذه القضايا تختلط بالقضايا الكلامية اختلاطاً متوازناً، فتنفرد بعض القضايا البلاغية ببعض الفصول، من مثل الفصل الذي خصصه للحديث عن البديع من الكلام، والفصل الآخر ألا وهو وصف وجوه البلاغة.

وتنفرد القضايا الكلامية ببعض فصول الكتاب الأخرى، كالفصل الذي عقده على أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها القرآن الكريم، والفصل الآخر الذي خصصه للحديث عن وجه الدلالة على أن القرآن معجزة، وبعض الفصول الأخرى مزيج بين القضايا البلاغية،

---

[١] مخلوف، **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن: دراسة تحليلية نقدية**، مرجع سابق، ص ٧٥.
[٢] الباقلاني، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، مصدر سابق، ص ٤.
[٣] طبانة، **البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى**، مرجع سابق، ص ٥٤.

والقضايا الكلامية، وذلك كالفصل الذي تحدث فيه عن وجوه إعجاز القرآن[٤]. وبما أن الباقلاني أحد أعلام الأشاعرة، فقد تأثر بالمذهب الأشعري من عدة جوانب منها:-

- الالتزام بالمنهج الكلامي في كتابه "إعجاز القرآن": فالمتكلمون من صفاتهم البراعة في الجدل، فهم يقرعون الحجة بالحجة، وذلك في سبيل نشر أرائهم، وكذلك كان الباقلاني فهو يمتلك ناصية الجدل، ولقد كان المتكلمون يحرصون على تجريد خصومهم من أسلحتهم، ويعملون على تحرير العبارة، والابتعاد عن الاشتراك اللفظي، وأيضاً يحرصون على دقة العرض وحسن التنسيق، والعمل على مشاركة القارئ معهم، فيخاطبون عقل القارئ، وينقضون أراء الخصوم[١].

فكتاب الباقلاني يزخر بهذا، فقد عرض لنا رأي الأشاعرة في قضية الإعجاز القرآني، وكيف فنّد آراء المعارضين، وعمل على مخاطبة عقل القارئ؛ وذلك للوصول إلى شاطئ الأمان، وهذا هو شاطئ الأشاعرة الذي ينتمي إليهم، بعدما أغرقته بعض الفرق كالمعتزلة، والخوارج، والجهمية وغيرهم.

- وهكذا فقد علمنا أن الباقلاني أفضل تلاميذ المدرسة الأشعرية، وعمل على نصرة مذهبهم، حتى غدا إماماً لهم فيما بعد، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه قد تأثر بالمذهب الأشعري، وذلك من خلال نقله للوجوه الأساسية في الإعجاز القرآني عنهم، وهي:

١. إخباره الصادق عن الغيوب؛ وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.
٢. إخباره عن قصص الماضين وسير الأمم الخالية وذلك منذ آدم عليه السلام وحتى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك على الرغم من أمية الرسول الكريم، وعدم معرفته شيئاً من كتب المتقدمين، وقصصهم وأخبارهم.
٣. نظمه البديع وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية، التي يعجز البشر عن محاكاتها

فالباقلاني كما هو ملاحظ لا يقف أمام الوجهين الأولين، بل يوجه جُلّ اهتمامه وعنايته إلى الوجه الثالث البلاغي ألا وهو نظم القرآن الكريم[٢].

فإعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيانه منصب عنده على القرآن كاملاً كوحدة وجملة لا تفصيلاً، وكنص كامل له ميزاته وصفاته التي تميزه عن باقي أقوال العرب، وبذلك يعارض الباقلاني هنا فكرة الإعجاز البلاغي الذي يتعرض للتحليل الجزئي للعبارة، والبحث

---

(٤) العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص ٢١١.

(١) منير سلطان، **مناهج في تحليل النظم القرآني**، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص ٥٣.

(٢) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٨ – ٥٩.

عن ضروب البيان والبديع، والإعجاز عنده ليس في الحروف نفسها وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها[٣]، ولقد تحدثنا عن هذا الأمر بالتفصيل في المبحث الأول من هذا الفصل.

وبذلك يلاحظ أن الباقلاني في نظريته للإعجاز القرآني إنما يعبر عن رأي جمهور الأشاعرة الذين ينتمي إليهم، ولقد قيل أن الوجهين الأول والثاني هما: الإخبار عن الغيوب، وأمية النبي صلى الله عليه وسلم هما في الحقيقة وجهان أم وجه واحد يندرج تحت الإخبار عن الغيوب؛ وذلك لأن كلا الوجهين يتعلقان بالإخبار عن الغيوب المستقبلية، وغيوب الماضي؛ فلذلك كان من الأفضل الفصل بين الأمرين[١].

– ولقد عرفنا فيما سبق أن مسألة البحث في الإعجاز القرآني تعتمد على الإقناع العقلي والجدل الكلامي، بالإضافة إلى الاستناد على البلاغة؛ وذلك للوصول إلى إعجاز القرآن الكريم، فيلاحظ هنا أن الباقلاني قد تأثر بهذا الأمر بالنزعة الأشعرية، وذلك أن الأشاعرة قد التزموا تماماً جانب العقل، والبرهان العقلي، وذلك للدفاع عن بساطة العقيدة الإسلامية[٢]. فاستعان الباقلاني هنا بالنزعة الأشعرية، وأخذ عنهم.

– ولقد تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية؛ وذلك في قدر المعجز من القرآن الكريم، وأخذ بما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري، وذلك أن أقل ما يعجز عنه من القرآن الكريم سواء سورة قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها[٣].

فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة، وإن كانت سورة الكوثر فإن ذلك معجز فالقرآن الكريم كله معجز، وليس سورة معجزة دون الأخرى.

وأرى هنا أن الباقلاني قد ركز اهتمامه على التعبير القرآن في السورة عامة، وأخذ يُبين فضل النظم القرآني، وفنون التعبير فيه بشكل عام فلا يرتكز على مجرد الأسلوب، أو العبارة.

ففي تحليله لسورة النمل مثلاً، يتناول الباقلاني السورة جملة، ولقد اعتاد غيره الوقوف عند الآيات المفردة، يُفسّر غريبها، ويبين ما فيها من جمال اللفظ والمعنى في حدود

---

[٣] الباقلاني، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، مصدر سابق، ص ١١.
[١] أبو موسى، **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، مرجع سابق، ص ١٨٩.
[٢] العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مرجع سابق، ص ١٩٨.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٦١.

البديع والبلاغة[٤]. ويرسم لنا الباقلاني منهجه، فيقول:- "ثم اقصد إلى سورة تامة، فتصرف في معرفة قصصها، وراع ما فيها من براهينها وقصصها"[٥].

فيبدأ من أول السورة، وينظر فيها كلمة كلمة، إلى أن بيّن أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، قال تعالى:- (وإنّكَ لتلقى القرءان مِن لَدُنَ حكيمٍ عَليم)[٦] ثم وصل بذلك إلى قصة موسى عليه السلام وأنه رأى ناراً فقال لأهله: (إنّي آنسَتُ نَاراً سَأتيكُم مِنْهَا بِخَبرٍ أو آتيكُم بِشهابٍ قَبسٍ لعلكُم تَصطلُونَ)[١]، وقال في سورة طه في هذه القضية (لعلّي آتيكُم مِنْهَا بقبَسٍ أو أجدُ عَلى النّار هُدىً)[٢].

فقد جاء هنا ذكر القصة على ضروب؛ وذلك لكي يُعلمهم عجزهم من جميع طرق ذلك ولهذا قال تعالى:- (فليَأتُوا بِحَديثٍ مِثِله)[٣] فكل كلمة من هذه الكلمات، وإن أنبأت عن قصة، فهي بليغة بنفسها وتامة في معناها، ثم يورد لنا الباقلاني الآية التالية، قال تعالى:-(فلَمّا جَاءهَا نُودِيَ أن بُورِكَ مَنَ في النّار وَمَن حولَهَا وَسُبحَانَ اللهِ رَبِّ العَالمِينَ)[٤].

وهذا الكلام يدل على علو أمر هذا النداء، وعظيم شأن هذا الثناء، ولقد انتظم هذا الكلام مع الكلام الأول، واتصل هذا الكلام بما بعدها من الأخبار عن الربوبية، ويستدل بذلك من قلب العصا حية، فجعلها دليلاً يدل عليه ومعجزة تهديه إليه.

وقد وردت الكلمات المفردة القائمة بنفسها في الحسن، وما تتضمنه من المعاني الشريفة، ويبين بعد ذلك فضل نظم القرآن الكريم على الكلام العادي، ولكي يدل الباقلاني على إعجاز القرآن فإنه يدعو أحد الأشخاص إلى التقليد فلا يستطيع أن يصل إلى شيء، وبالتالي يقر بالعجز أمام لفظ القرآن الكريم ونظمه[٥].

ويستطرد في تحليل السورة، فيقول:- متى تهيأ للآدمي أن يقول في وصف كتاب سليمان عليه السلام، وذلك بعد ذكر العنوان والتسمية، قال تعالى:- (ألاّ تَعلُو عَلَيَّ وأتُوني مُسلِمين)[٦].

---

(٤) دوب، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، مرجع سابق، ص ٥٤٠.
(٥) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٠٢.
(٦) سورة النمل، آية (٦).
(١) سورة النمل، آية (٧).
(٢) سورة طـه، آية (١٠).
(٣) سورة الطور، آية (٣٣).
(٤) سورة النحل، آية (٨).
(٥) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٠٣.
(٦) سورة النمل، آية (٣١).

وتم الخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير واشتغلت به من المشورة، ومن تعظيمها أمر المستشار، وتعظيمهم أمرها وذلك عن طريق الألفاظ البديعية والكلمات العجيبة والبليغة، ومن ثم كلامها بعد ذلك لتعرف تمكن قولها:- (يَا أَيُّهَا المَلأُ أفتُوني في أمرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أمراً حَتى تَشهَدُون)[٧].

وذكر قولهم في ذلك، قال تعالى:- (قَالُوا نَحنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأسٍ شَدِيد وَالأمرُ إلَيكِ فانظُري مَاذا تأمُرِينَ)[٨]، فلقد كان هنا الإبداع في الوصف وذلك في قوله تعالى:- (الأمرُ إليكِ)، فيوجد هنا إتقان للمعاني، وتمكن الفاصلة وملاءمتها لما قبلها، وذلك في قوله تعالى:- (فانظُري مَاذا تأمُرِينَ) ثم إلى هذا الاختصار، والبيان مع الإيجاز، وذلك إن الكلام قد يفسده الاختصار، ويعميه التخفيف منه والإيجاز، وهذا الاختصار يزيد الكلام بسطا، وذلك لتمكنه ووقوعه موقعه، أمّا الإيجاز منه فإنه يتضمن تصرفاً يتجاوز محلهُ[١].

ثم فكر بعد ذلك في آية آية، وكلمة كلمة، وذلك في قوله تعالى:- (إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَريَةً أفسَدُوهَا، وجَعَلُوا أعزَّةَ أهلِهَا أذِلة، وَكَذلِكَ يَفعَلُونَ)[٢].

وهذه الكلمات الثلاثة كما يقول الباقلاني كل واحدة منها كالنجم في علوه، والياقوت المتلألئ، فلقد وقعت الفاصلة هنا موقعها المناسب، وهكذا وجد النظم الدال على الإعجاز القرآني في جميع الآيات القصيرة، والطويلة، والمتوسطة[٣].

ويقول الباقلاني:- "إن نظم القرآن لا يتفاوت في شيء، ولا يتباين في أحد، ولا يختل في حال بل له المثل الأعلى، والفضل الأسنى"[٤]. فيلاحظ أنه يكشف لنا عن أسرار نظم القرآن.

ولذلك يمكن القول:- إنه لا يصح الاعتماد على النظرة الفردية في كل آية آية أو كلمة كلمة دون معرفة الموقع لتلك الآيات والكلمات في السورة، ومعرفة أيضاً المعنى العام لها. ولقد تم الاعتماد هنا على التحليل الفني لفهم النصوص مع تطبيق لما قاله الباقلاني من آراء، ومن الأمور التي يعتمد عليها المنهج ما يلي[٥]:

١. تماسك السورة في المعنى والموضوع، وفي اللفظ والمعنى.

---

(٧) سورة النمل، آية (٣٢).
(٨) سورة النمل، آية (٣٣).
(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٠٤.
(٢) سورة النمل، آية رقم (٣٤).
(٣) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٣.
(٥) سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، مرجع سابق، ص ٢٩٤-٢٩٥.

٢. سهولة الانتقال من معنى إلى معنى، ومن قصة إلى قصة أخرى.

٣. تساوي السور على الرغم من اختلاف موضوعاتها في النظم والروعة الفنية، ويعترف الباقلاني بتفاوت بعضها عن بعض في ظهور الإعجاز ووضوحه يقول:- "وإن كنا نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن أظهر، وفي بعض أدق وأغمض"[٦].

٤. التآلف بين الألفاظ وانسجامها بحيث لا نحس بأي نشوز أو أي خلل.

٥. وقوع الفاصلة موقعها المناسبة.

٦. الدقة في التعبير عن المعاني، والملائمة بينها وبين فنون التعبير الأخرى من مثل: الاستعارة، والتشبيه وغيرها.

٧. دقة الاختيار للألفاظ المعبرة في مواضعها بحيث تحمل مجموعة من المعاني تنطلق بمجرد نطقها، وهذه الخاصية أوفى بالغرض دون غيرها من الألفاظ، ومن الأمثلة على هذا، كلمة (لِيَأْخُذُوهُ) وذلك في قوله تعالى:- (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ برسولهم لِيَأْخُذُوهُ)[١] فلا يمكن أخذ كلمة أخرى بدلاً منها لأنه لا يكون بديعاً ولا بارعاً[٢].

٨. جلال الربوبية، وظهور ذلك في بيان القرآن في لفظ رائع وعبارات رصينة، نشعر إزاءها بالهيبة، وذلك كما في قوله تعالى:- (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[٣].

ويقول الباقلاني: إنه عند الوقوف على هذه الدلالة والتفكير فيها، والعمل على مراعاة معاني هذه الصفة العالية والكلمات السامية، والحكم البالغة، والمعاني الشريفة، ندرك حينها أنها وردت عن الألوهية، وتدل على الربوبية[٤].

٩. التصرف في القول وذلك في المناسبة الواحدة مع التساوي في الروعة والتعبير كما جاء بقصة موسى بألفاظ متغيرة، ومتساوية في سور كثيرة.

---

(٦) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر السابق، ص ٢١٨.
(١) سورة غافر، آية (٥).
(٢) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢١٠.
(٣) سورة غافر، آية (١٤-١٦).
(٤) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢١٢.

١٠. التصرف في الموضوعات العقلية، وذلك كالتشريع والأحكام، وأصول العقيدة بأسلوب سهل،ونظم بديع، مع اختراع بعض الألفاظ ومجيئها لأول مرة فيه.

ومن الأمور الأخرى التي تأثر بها الباقلاني بالنزعة الأشعرية ما يلي:

– لقد عمل الباقلاني على إثبات أن نظام القرآن الكريم مخالف لأنظمة الكلام البشري، لذلك عقد فصلاً في كتابه بعنوان (نفي السجع من القرآن) ولقد بدأ الباقلاني حديثه ببيان رأي أصحابه الأشاعرة وذلك في نفي السجع عن القرآن، فتأثر الباقلاني هنا برأي أبي الحسن الأشعري وذلك في نفي السجع عن القرآن الكريم[٥].

وبين لنا الباقلاني أن كثيراً ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وبينوا أن هذا الأمر مما يبين به فضل الكلام، وهو من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في الفصاحة، والبيان، وذلك من مثل الالتفات، والتجنيس فالباقلاني هنا يعيب السجع، وينفي وروده في القرآن، ويعرض لحجج القائلين بوجود السجع في القرآن، وهذه الأدلة هي كالتالي[١]:–

– وأقوى ما يستدلون به هو اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام، فقيل (هَارُونَ وَمُوسَى)[٢] وقيل (مُوسَى وَهَارُونَ)[٣]، وذلك لما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون، ويعني هذا أن الأصل تقديم موسى على هارون، وذلك لفضله، ولكن لمكان السجع قدم هارون على موسى.

وينقل عن العلماء أيضاً أن السجع يخالف الشعر، وذلك لأنه الشعر لا يقع في الكلام إلا مقصوداً، وإذا أتى غير مقصود فإنه يأتي دون القدر الذي نسميه شعراً، أما ما في القرآن من السجع فهو كثير فلا يصح أن يكون كله غير مقصود إليه وهم يبنون هذا الأمر على تحديد ومعرفة معنى السجع، فقد قال أهل اللغة إن السجع هو موالاة الكلام على وزن واحد، فيقول ابن دريد: سجعت الحمامة أي رددت صوتها، فأنشد ما يلي[٤]:

طربتُ فأبكتك الحمامُ السواجعُ تَميل بها ضَحْواً غصونٌ نوائعُ

فالنوائع هنا بمعنى الموائل، وذلك من قولهم جائع نائع، أي ضعيف.

ويلاحظ أن الباقلاني يُعقب على هذا الكلام بأنه غير صحيح هذا الذي يزعمون به، ثم يقدم لنا الأدلة التي تؤيد رأيه ومن ذلك ما يلي:

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٣.
(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٨٣.
(٢) سورة طه، آية (٧٠).
(٣) سورة الأعراف، آية (١٢٢).
(٤) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٨٤.

- لو أن القرآن كان سجعاً، لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع فيه الإعجاز القرآني.

فكلام الباقلاني هذا مبني على شيء مُسلّم لديه ألا وهو أن القرآن الكريم خارج عن صور التعبير المعروفة لدى العرب، وبما أن السجع من صور التعبير لديهم، فلا بد أن يكون القرآن الكريم بريئاً منه[٥].

- ومن أدلته أيضاً أنه لو جاز أن يقولوا: إنه سجع معجز، لجاز أن يقولوا أيضاً شعر معجز، وكانت حجة الباقلاني في نفي السجع عن القرآن أن الكهان من العرب كانوا يؤلفون السجع، فنفيه من القرآن أجدر حجة من نفي الشعر؛ وذلك لأن الكُهّانة تنافي البنوات، وليس الشعر كذلك.

ولقد استدل الباقلاني بالحديث الشريف عن النبي عليه الصلاة والسّلام لنفي السجع عن القرآن وقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاءوه فكلموه بشأن جنين: كيف نَدِي من لا أكل ولا شرب، ولا صاح ولا استهل، أليس دمه قد يُطلّ؟ فقال: " أسجاعة كسجاعة الجاهلية" وفي بعضها "أسَجْعاً كسجع الكهّان"[١].

ويلاحظ أن السجع المرفوض هو السجع المتكلف، أما القرآن الكريم فلا يوجد فيه سجع متكلف.

- ذهب الباقلاني إلى أن الذي يعدونه سجعاً في القرآن الكريم فهو وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع ولو لم يكن سجعاً؛ وذلك لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون الأخرى، فالسجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي إلى السجع، وليس هذا ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن؛ وذلك لأن اللفظ فيه يقع تابعاً للمعنى[٢].

- ويورد لنا الباقلاني دليلاً آخر وهو إن كان في القرآن ما ترون أنه سجعٌ لكان هذا مذموماً ومرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت كان الكلام قبيحاً، وللسجع منهج مرتب، وطريق مضبوط فمتى أخل به المتكلم فقد وقع الخلل في كلامه، فخرج عن الفصاحة مثل الشاعر إذا خرج عن الوزن المعروف كان مخطئاً وبالتالي فإن شعره يكون مرذولاً[٣].

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٤.
(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨٥.

- ويورد لنا الباقلاني دليلاً آخر وهو أن من جوّز السجع في القرآن فلابد أن يسلم بما ذهب إليه النظّام، وعبّاد بن سليمان، وهشام الفُوطيّ، فيذهب مذهبهم وذلك في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه أي إعجاز، وبالتالي يمكن معارضته وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف[٤].

ويلاحظ هنا أنهم يرون أن أسجاع القرآن إنما أتت استجابة للمعاني، وتعبيراً عن المواقف التي قيلت فيها بحيث لا يسد مسدها أي تعبير آخر، وبالتالي صيغت في أروع صور البيان.

فالباقلاني هنا متأثر بالرُّمَّاني في رده السجع عن القرآن الكريم، فقد قال الرُّمَّاني:- "والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك لأنه الفواصل تابعة للمعاني، وأمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها"[١].

وأرى أن الباقلاني كان مُحقاً في نفي السجع المذموم عن القرآن، وذلك لأن القرآن الكريم يجب أن يُنَزه عنه مثل هذه الأشياء، ومع هذا ليس كل ما هو سجع مرذول، فيوجد هناك السجع الذي يقع فيه اللفظ الموقع الرائع وهو مع هذا تابع للمعاني فهذا هو النوع المحمود فأحاديث النبي الكريم تشير إلى هذا. فالفواصل على نوعين هما:- نوع يكون سجعاً وهو ما تماثلت حروفه مع المقاطع، ونوع لا يكون سجعاً وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع[٢].

وقد عرّف بعض العلماء السجع على أنه تواطؤ الفواصل في حروف الروي، أو في الوزن أو في كليهما، فيبدو أن هذا التعريف يسمح بدخول جميع الصور التي تتفق في الوزن دون الروي، أو في الروي دون الوزن أو فيهما معاً[٣].

وقد قسّم البلاغيون السجع إلى مُطرَّفٌ: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، كقوله تعالى:- (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارا)[٤].

- وإلى المُرَصَّعْ: وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين مع ألفاظ الفقرة الأخرى وذلك في الوزن والتقفية.

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٩١.
(١) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٩٧.
(٢) سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، مرجع سابق، ص ١٢٥.
(٣) بركة، **الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره**، مرجع سابق، ص ١٢٨.
(٤) سورة نوح، آية (١٣-١٤).

- وإلى مُتَوازٍ: وهو ما لم تتفق فيه الفقرتان في الوزن والتقفية وذلك على وجه العموم كقوله تعالى:- (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ)[٥].

وقد تتساوى الفقرتان في عدد الكلمات، كقوله تعالى:- (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ)[٦]. وقد تكون الثانية أطول من الأولى، ومنه قوله تعالى:- (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)[٧]. وقد تطول الثالثة، كقوله تعالى:- (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ)[٨].

فإن التوسع في السجع بالمغايرة في الوزن والفاصلة وبالتنقل من وزن إلى وزن، ومن فاصلة إلى فاصلة أخرى هو سر جمال النغم القرآني، فهذا الأمر قد فات الباقلاني.

- ففي القضايا التي تأثر بها الباقلاني بالنزعة الأشعرية نراه يذكرها مسبوقة بقوله "أصحابنا" أو "عندنا" أو "على أصولنا" وحين يتسع المذهب وتتعدد فيه الاجتهادات، يوافق الباقلاني على بعضها يقول:- "واعلم أن من قال من أصحابنا: إن الأحكام معللة بعلل موافقة لمقتضى العقل، جعل هذا وجهاً من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه، كنحو ما يعللون به الصلاة ومعظم الفروض، ولهم في كثير من تلك العلل طرق قريبة، ووجوه تُستحسن"، ويرفض بعضها: "وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك، ولكن الأصل الذي يبنون عليه عندنا، غير مستقيم"[١].

- ومن مظاهر تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية، العمل على تفنيد آراء المخالفين، فتفنيد آرائهم ركن أساسي في المنهج الكلامي، وكلما نجح المتكلم في تهوين آراء خصومه سمح له المقام أن يعرض بدائله فيتم وجود الحل الأمثل لهذا الخلاف[٢]، ومن الأمثلة على هذا ما يلي:

- معرفة قدر المعجز، فالمعتزلة ذهبت إلى أن كل سورة برأسها هي معجزة، فيقول الباقلاني هنا:- "وقد حكى عنهم نحو قولنا، إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة، بل شرط الآيات الكثيرة، وقد علمنا أنه تحداهم تحدياً إلى السور كلها، ولم يخص، ولم يأتوا بشيء منها بمثل، فعلم أن جميع ذلك معجز"[٣].

---

[٥] سورة الغاشية، آية (١٣-١٤).
[٦] سورة الواقعة، آية (٢٨-٣١).
[٧] سورة النجم، آية (١-٢).
[٨] سورة الحاقة، آية (٣٠-٣٢).
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٧١.
[٢] سلطان، **مناهج في تحليل النظم القرآني**، مرجع سابق، ص ٥٥.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٦١.

- لم يعتمد المعتزلة معجزات النبي عليه الصلاة والسلام أصلاً في إثبات النبوة، فإثبات النبوة إنما تعلم بعد العلم بنبوته، فثبوت هذا يكون فرع على ثبوت النبوة، فلقد جعلوا المعتزلة هذه المعجزات مؤكدة، وزائدة في شرح الصدور، وذلك لمن يعرفها من جهة الاستدلال، ففند الباقلاني هذا الرأي، ويرى أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بنيت على أساس هذه المعجزة[٤].

وكما رفض رأيهم في أن بلوغ بعض نظم القرآن الرتبة التي لا مزية عليها، غير ممتنع، وذلك لوجود الكلمات الشريفة الجامعة للمعاني البديعة، بالإضافة إلى حسن الموقع، فيكون قد بلغ النهاية، وذلك لأنه عندهم وإن زاد على ما في العادة فإن هذا الزائد عليها لا بد أن ينتهي إلى حد لا مزية عليه، فالله عز وجل قادر على أن يأتي بنظم أبلغ وأبدع من القرآن كله، كما ويقدر على مثله[١].

- ومن جوانب تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية في الإعجاز هي قضية الصّرفة، فقد نقد الباقلاني رأي النظّام وهو أحد رجال المعتزلة في الصّرفة وجعلها وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، وذلك بأنه من كان قادراً على الإتيان بصنوف البلاغات كان قادراً على الإتيان بمثل نظم القرآن الكريم، فهم قادرون بالتالي على الإتيان بمثل القرآن، ولكن الله عز وجل يصرفهم أو يمنعهم عن الإتيان بمثله، وذلك ضرباً من المنع والصرف، على الرغم من قدرتهم على هذا الأمر[٢].

فالباقلاني هنا لم يرض بالصّرفة وعمل على تفنيدها، ففي أثناء حديثه عن الصّرفة لم يدّخر وسعاً في مناقشة رأي النظّام، والعمل على إبطاله، وربما يعد الباقلاني مبتكراً في مناقشة القول بالصّرفة، ولاحظنا ذلك في المبحث الأول وذكرنا الأدلة التي احتج بها الباقلاني ولا داعي إلى تكرارها.

وقد تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية وذلك في الالتزام بالمنهج الكلامي، ظهر لنا هذا من خلال مخاطبته لعقل القارئ، فالقراء عنده بين رجليك ذاهب عن الحق، ذاهل عن الرشد، وآخر مصدود عن نصرته ومكدود في صنعته، فأما الأول فإنه ساقط من حسابه؛ وذلك لأن الجهالة قد أبعدته عن الغاية فأصبح متساوياً مع الأعجمي في العجز عن تذوق نظم القرآن الكريم[٣].

---

[٤] المصدر نفسه، ص ٣١.
[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٩٠.
[٢] الملاحويش، **إعجاز القرآن وعلم المعاني**، مرجع سابق، ص ١٤٤-١٤٦.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٦.

أما الصنف الآخر، وهو الذي يهمه، وهو المصدود عن نصرة القرآن المكدود في صنعته، ويشترط الباقلاني لمن يخاطبه أن يكون من أهل صناعة العربية، عرف جمل من محاسن الكلام، وعرف جملة من طرق المتكلمين، ونظر في شيء من أصول الدين[٤]. وهؤلاء جاء ذكرهم في القرآن الكريم، في قوله تعالى:- (كِتَابٌ فُصّلت آياته قرآناً عَربيّاً لقَوم يَعلمُون)[٥].

ولم يكن هناك مفر من أن يتسرب إلى تذوق الباقلاني، الجدل المنطقي، وهو المتكلم الأشعري، وأن يسيطر عليه الوعي الديني، وقد لقب بشيخ السنة ولسان الأمة، ولقد تأثر تذوق الباقلاني بالجدل المنطقي عند حديثه عن وجوه الإعجاز الثلاثة:- **أولها:** الإخبار عن الغيوب، **وثانيها:** أميّة الرسول صلى الله عليه وسلم، **وثالثها:** نظمه الخارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، والمختلف لأساليب خطابهم[١].

ولكي يخلص الباقلاني للوجه الثالث الذي اهتم به، فقد دخل في جدل مع من ادّعى أن القرآن الكريم من قبيل الشعر، أو ادّعى أن القرآن الكريم من قبيل السجع، فأفرد فصلاً في "نفي الشعر من القرآن" و "نفي السجع من القرآن"[٢].

وتتجلى سيطرة المنحى الكلامي على تذوق الباقلاني وذلك عند وقوفه على بيتي البحتري[٣]:

مــاذا عَلَيْــكَ مِــنَ انتظــار مُتَــيَّم ... بَــلْ مــا يَضُــرُّك وقفَــةٌ فــي مَنْــزلِ

إنْ سِيلَ عَيّ عن الجــوابِ فلــم يُطِــقْ ... رَجْعــاً، فكيــف يكُــون إنْ لــمْ يُسْــأل

فالباقلاني هنا لا ينكر حسن البيتين ولطفهما، إلا أن البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضرباً من الانقطاع؛ وذلك لأنه لم يجر لمشافهة العاذل ذكر، وإنما تم الذكر للعذال على وجه لا يتصل بهذا البيت ولا يلائمه.

ثم يقف الباقلاني عند كلمة (الانتظار) فيقول الباقلاني: إن ما ذكره من الانتظار، وإن كان مليحاً من ناحية اللفظ، فهو متكلف من ناحية المعنى، وذلك لأن الواقف في الدار لا ينظر أمراً، وإنما يقف تحسراً، وتخيراً وأما البيت الثاني، فهو متعلق بالأول فلا يستقل إلا به[٤]، وهم يعيبون هنا وقوف البيت على غيره، فالبيت التام هو المحمود.

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨.
(٥) سورة فصلت، آية (٣).
(١) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٥٧-٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦-٨٣.
(٣) البحتري، **ديوان البحتري**، مجلد٢، ص٢٧٤.
(٤) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص ٢٣٥.

فالباقلاني يضع للقارئ منهاجا؛ وذلك للوصول إلى سر الإعجاز القرآني يقوم على الفهم والتأمل، والتواصل الوجداني بين القرآن الكريم والقارئ؛ وذلك ليحكم القارئ على نظم القرآن الكريم بنفسه وذوقه.

- أما بالنسبة لتأثر الباقلاني بالوعي الديني فلا غُبار أن يتذوق العالم الفقيه في الشعر، فيجب على الباقلاني أن يدرك أنه أمام قول شاعر، يصور ما يحس به، فيقوم على المزج بين الخيال والواقع، والممكن والمستحيل، ويستخرج من المعطيات الملموسة صوراً غير ملموسة، قد يكون فيها شفافية وغرابة، فطالما أن هذا الشاعر لا يدعو إلى رذيلة، فلا يجب علينا أن نطالبه بالصدق الأخلاقي أو بالوعظ وغير ذلك في قصيدته[٥]، فقول امرئ القيس:

إذا ما بكى مِنْ خَلفِهْا انْصَرَفتْ لَهُ بِشِقٍّ وتَحْتي شِقُّها لَمْ يُحَوَّلِ
ويوماً على ظَهْرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ عَليَّ وآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تُحَلَّلِ[١]

ويأتي الباقلاني وقد تأثر بالوعي الديني في تذوقه، ويبين لنا أن البيت الأول غاية في الفحش ونهاية في السخف؛ وذلك لأنه لا يوجد فائدة من ذكر عشيقته، فهذا البيت ليس فيه بديع ولا معنى حسن، أما في البيت الثاني في قوله (يوماً) فيتعجب منه الباقلاني، فهذا الكلام رديء النسج، فلا فائدة من ذكر أن حبيبته قد تمنعت عليه يوماً في موضع يسميه ويصفه[٢].

ويلاحظ هنا أن الباقلاني المتكلم، والملتزم قد وازن بين النظم القرآني، والنظم البشري؛ وذلك ليثبت الإعجاز القرآني، ويبين تفاوت النظم البشري من حيث اللفظ والفكرة.

فالباقلاني لم يكن خالصاً لوجه الفن بقدر ما كان يعمل على الدفاع عن قضية الإعجاز القرآني، ولقد تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية وذلك في معرفة كلام الله عز وجل فيرى أن كلام الله عز وجل حقيقة وهو الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالى[٣].

- ويبرز تأثر النزعة الأشعرية أيضاً في جواز رؤية الله في الدار الآخرة فكل موجود يصح أن يرى؛ وذلك لأن الشيء يرى لوجوده، وليس لكونه محدثاً أو لحدوث معنى فيه[٤]. قال تعالى:- (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[٥].

---

[٥] سلطان، **مناهج في تحليل النظم القرآني**، مرجع سابق، ص ٨٦.
[١] امرئ القيس، **ديوان امرئ القيس**، مصدر سابق، ص٣١.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٨٣.
[٣] المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
[٤] أحمد محمود صبحي، **في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (الأشاعرة)**، د.ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.م، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص ١٠٢.
[٥] سورة القيامة، آية رقم [٢٢- ٢٣].

- ولقد تأثر الباقلاني بالنزعة الأشعرية وذلك في وجود المجاز، فلا يوجد هناك تعارض بين المعتزلة، والأشاعرة على التسليم بوجود المجاز في اللغة العربية وفي القرآن الكريم[٦].

ولقد عرف الباقلاني الحقيقة على أنها تنصرف إلى عدة معاني هي[٧]: -

- حقيقة وصف الشيء التي هي حده والمعنى الذي له استحق الوصف، بمعنى ما أكسب الوصف، ووجب لأجله، كقولنا:- حقيقة العالم أي أن له علماً.

- وقد يعني بالحقيقة أيضاً صفة الشيء التي اختص بها، وما هو عليه في نفسه وذلك كقولنا:- حقيقة المحدث أنه الموجود من عدم.

- وقد تكون الحقيقة حقيقة الكلام، وهذا راجع إلى وصف الكلام، إلى أنه قول استعمل فيما وضع في الأصل له.

- فالحقيقة إذن في نظر الباقلاني هي: - ما استعمل فيما وضع له في الأصل.

فمن المعروف أن الألفاظ المستعملة تُقسم إلى حقيقة ومجاز فعرّفنا الحقيقة عند الباقلاني والآن نتحدث عن المجاز، فلقد عرّف الباقلاني المجاز على أنه: ما استعمل في غير ما وضع له، وبذلك يكون متجاوزاً له إلى غيره[١].

ويرى الباقلاني أن المجاز يستلزم الحقيقة، فكل مجاز لابد فيه من حقيقة يرد إليها الكلام، وليس لكل حقيقة مجاز؛ وذلك لأن من الألفاظ والأسماء ما لم يتجوز بها في غير ما وضعت له، ومن الأسماء التي لا يصح دخول المجاز فيها ما يلي[٢]:-

- الأسماء العامة التي لا عموم فوقها من مثل المعلوم، والمجهول، والمظنون، والمشكوك فيه، والمذكور والمخبر عنه، فهذه الأسماء لا تقبل المجاز عند الباقلاني، وذلك لأنه لا يوجد أمر إلا ويصح تعلق العلم به أو الخبر عنه، أو الذكر له، أو الدلالة عليه من موجود ومعدوم وقديم ومحدث.

- أسماء الأعلام، كزيد وعمرو، فالباقلاني يرى هنا أن هذه الأسماء لا يصح دخول المجاز فيها؛ وذلك لأنها أسماء وضُعت للفرق بين الأشخاص وليس الفرق في الصفات، وإفادة المعنى في المسمى، ويجوز دخول المجاز في الأعلام الموضوعة للصفة، من مثل الأسود، أو الموضوع على وجه اللقب، فالباقلاني هنا يرى أن المجاز يقع في اللغة العربية، وفي كتاب الله عز وجل وبذلك تأثر بالنزعة الأشعرية التي أخذت بالمجاز.

---

[٦] قصاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص ٣٤٢.

[٧] الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، **التقريب والإرشاد الصغير**، تحقيق عبد الحميد بن علي أبو رشيد، ط١، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص ٣٥٢.

[١] الباقلاني، **التقريب والارشاد الصغير**، مصدر سابق، ص ٣٥٢

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٥٨، ٣٥٩.

ولقد استدل الباقلاني بوجود المجاز في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:- (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[٣] فالقرية لا تسأل حقيقة، ولكن الذي يسأل هو أهل هذه القرية مجازاً.

وقوله تعالى:- (لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ)[٤] فالصلوات لا تُهدّم، وإنما أراد مواضع الصلوات، وعبر بالصلوات عنها على سبيل المجاز، فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه، وأرى هنا وقوع المجاز في اللغة في القرآن الكريم، و السنة النبوية، وذلك لوجود الشواهد والآيات القرآنية الدالة على ذلك.

وقد ذكر الباقلاني من أنواع العلاقة بين الحقيقة والمجاز علاقتين، هما:-

١. **مجاز بالزيادة:** وذلك كقوله تعالى:- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[١] ولقد سمي هذا المجاز بالزيادة، وذلك لأن فيه زيادة حرف الكاف، لأنه لو قال: ليس كهو شيء أو ليس مثله شيء لاستقل الكلام، فالكلمة تصير بالزيادة مجازاً[٢].

٢. **مجاز بالنقصان:-** وذلك كقوله تعالى:- (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[٣] فالمراد هنا أهل القرية، فحذف الأهل ونقص، ولقد بيّن لنا الباقلاني أن المراد في قوله تعالى:- (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[٤]، أن الله عز وجل يقول لما يخلقه "كن" ولفظ "كن" هو كلام الله تعالى، وهذه حقيقة وليست مجازاً كما كان عند المعتزلة.

فرّد الباقلاني المتأثر بالنزعة الأشعرية على المعتزلة في هذه الآية، بأن الأشياء التي ينُسب إليها المجاز تكون جماداً، ويستحيل أن يتكلم، أما في هذه الآية فإن الله عز وجل لا يستحيل أن يكون قائلاً أو متكلماً، فوجب وصفه لنفسه بالقول محمولاً على الحقيقة دون المجاز[٥]. ولو أنه جاز أن يكون الوصف لنفسه بالقول مجازاً لوجب أن يكون وصفه لنفسه بالإرادة والعلم والقدرة مجازاً أيضاً، ولقد ذكر الباقلاني أنه لا يجوز أن يكون قوله "أن نقول

---

[٣] سورة يوسف، آية (٨٢).
[٤] سورة الحج، آية (٤٠).
[١] سورة الشورى، آية (١١).
[٢] الباقلاني، **التقريب والارشاد الصغير**، مصدر سابق، ص ٣٥٣.
[٣] سورة يوسف، آية (٨٢).
[٤] سورة النحل، آية (٤٠).
[٥] محمد رمضان عبد الله، **الباقلاني وآراؤه الكلامية** ، رسالة سابقة ، رسالة دكتور منشورة، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٥٣٥- ٥٣٦.

له كن فيكون" مجازاً وذلك لذكر المصدر، و تأكد به للفعل لذلك وجب أن يكون حقيقة، فلذلك صار قولـــه تعالى:- (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)[٦]، حقيقة وذلك بسبب تأكيد الفعل بالمصـــدر الذي هو تكليمٌ، ويستنتج من العرض السابق أن الباقلاني تأثر بالنزعة الأشعرية بدرجة كبيرة كما رأينا.

[٦] سورة النساء، آية (١٦٤).

الفصل الثالث

الموازنة بيّن الرُّمَّاني والباقلاني

بعد أن عرضتُ في الفصلين السابقين كيف وظف كل من الرُّمَّاني، والباقلاني البحث البلاغي؛ لمعرفة سر الإعجاز القرآني، يمكن القول هنا إنّ سر الإعجاز إنما يكون في أسلوب القرآن الكريم، ولغته، فالقرآن الكريم مُعجز، فلا يستطيع أحدٌ من البشر الإتيان بمثله حتى ولو بسورة واحدة، فالقرآن الكريم مُعجز في كل زمان ومكان.

ولابد أن نعرض في هذا الفصل الموازنة بين هذين العلمين؛ وذلك لأهمية كل منهما، فبعد أن عرفنا أن الرُّمَّاني (ت٣٨٦هـ) من أعلام المعتزلة فلابد أن يكون له أفكار، ومعتقدات تختلف عن أفكار ومعتقدات الباقلاني (ت٤٠٣هـ) الذي هو من أعلام الأشاعرة.

ولابد أن يكون كلاهما قد اتفقا في أمور، واختلفا في أمور أخرى، ولقد أثر أحدهما في الآخر فيجب أن نتعرف في هذا الفصل على منهجيهما في رسالة الرُّمَّاني (النُّكت في إعجاز القرآن) وفي كتاب الباقلاني (إعجاز القرآن) وهذا ما سأعرضه.

وبناءً على ذلك سوف نتحدث عن الأمور التي تم الاتفاق عليها والاختلاف في معرفة أسرار الإعجاز القرآني عندهما.

يعدّ أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرُّمَّاني، من كبار علماء المعتزلة، الذي صنّف رسالته، "النُّكت في إعجاز القرآن" وذلك دفاعاً عن القرآن الكريم، وإبرازاً لوجوه الإعجاز التي يمكن أن تُعد دليلاً على الإعجاز القرآني.

بينّما يعدّ أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، أهم تلاميذ المدرسة الأشعرية، الذي عمل على نصرة المذهب، وصار إماماً له، فصنف كتاباً سمّاه "إعجاز القرآن" دفاعاً عن القرآن الكريم، فقد عمل على مناظرة الفرق الإسلامية كالمعتزلة وغيرها.

وأرى أن لكل من الرُّمَّاني والباقلاني مكانته ومنزلته في دراسة قضية الإعجاز القرآني، فقد شغلت هذه القضية تفكيرهما، وعنيا بالبحث فيها عناية كاملة، ولذلك نجدهما قد ألفا في هذا الموضوع كتابين مستقلين في الإعجاز القرآني.

كما أرى في ختام دراستي أن أقوم بالموازنة بمقدمتي الكتابين، وكيف بـدأ الرُّمَّـاني رسالته؟ وكذلك الباقلاني؟ وما الأفكار التي مهدا بها لموضوع البحث؟

مقدمتا الكتابين:-

يلاحظ أن الباقلاني بدأ كتابه بحمد الله عز وجل على نعمة القرآن الكريم، الذي كـان بشيراً، ونذيراً وداعياً إلى الله عز وجل، ودليلاً على وحدانيته، ومرْشداً إلى معرفـة عزتـه تعالى وجبُروته، وكذلك حجة الرسول – ρ – .

فالباقلاني يحث أهل زمانه على ضرورة البحث في القرآن الكريم، فيقول:- "ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه، وأولى ما يلزم بحثه؛ ما كان لأصل دينهم قواماً، ولقاعـدة توحيدهم عماداً ونظاماً، وعلى صدق نبيهم ρ بُرهاناً، ولمعجزته ثبتاً وحجة. ولا سّيما والجهل ممدود الرّواق، شديد النفاق، مستولٍ على الآفاق، والعلم إلى عنـاء ودروس، وعلـى خفـاءٍ وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم، يقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشتيم. فالنـاس بـين رجلين: ذاهبٍ عن الحق، ذاهل عن الرُّشد، وآخر مصدود عن نصرته، مكدودٍ في صنعته"[١].

ويلاحظ أن الباقلاني يتذمر من أهل زمانه؛ وذلك لانشغالهم بـأمور لا قيمـة لهـا، وتركهم لأمور في غاية الأهمية.

ومن هنا رأى الباقلاني أن التأليف في إعجاز القرآن، والبحث فيه أصـبح ضـرورة مُلّحة، فأجاب سائلاً سأله تأليف كتابه هذا، وذلك ليذكر فيه "جملة من القول، تُسقط الشـبهات، وتزيل الشكوك التي تعرض للجُهّال، وتنتهي إلى ما يَخْطُر لهم، ويعرض لإفهامهم من الطعن في وجه المعجزة"[٢].

فهذه الأمور أدّت بالباقلاني إلى تأليف هذا الكتاب، فعندما قصّر أصحاب الأمر فـي الدفاع عن القرآن الكريم، ووجد من الملحدين من يخوض في أصول الدين، والتشـكيك فـي القرآن الكريم، ووصفوه بالسّحر وبالشعر، وذهاب بعض الجُهّال إلى عـدل القـرآن الكـريم ببعض الأشعار وموازنته بكلام العرب، رأى الباقلاني أنّ من واجبه أن يؤلف كتاباً يُسقط بـه الشبهة عن القرآن الكريم، ويزيل الشكوك عنه. هذا بالنسبة لمقدمة كتاب البـاقلاني "إعجـاز القرآن".

---

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٢٦.

أمّا بالنسبة للرُمَّاني في رسالته المُسماة "النُكت في إعجاز القرآن" فهي رسالة ضمنت ثلاث رسائل هي من بينها، والرسائل الأخرى للخطابي في "بيان إعجاز القرآن" والجرجاني في "الرسالة الشافية في الإعجاز". فهذه الرسالة "النُكت في إعجاز القرآن" تأخذ شكل جواب عن سؤالٍ قد وجّه للمؤلف، وذلك عن ذكر النُكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج[١].

فالرُمَّاني قد هجم على الموضوع دون مقدمات، بينما الباقلاني قد تصرف في مقدمته تصرفاً رائعاً، واستهل كتابه بمقدمة وضّع فيها منهجه، فبذلك يكون الباقلاني هنا فاق الرُمَّاني في هذا الأمر.

وجوه الإعجاز:-

يؤكد لنا الباقلاني كما شرحت مُسبقاً أن الإعجاز القرآني لا يكون بواحد أو أكثر من الوجوه البلاغية العشرة، بل يقرر أنّه في نظم ألفاظها وتأليفها، وهو بذلك يخالف الرُمَّاني الذي يرى أن الإعجاز من هذه الوجوه وهي:- الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحُسن البيان.

ويلاحظ أن الباقلاني قد نظر أولاً للبلاغة والبديع، وتأثر بالرُمَّاني الذي نقل عنه أقسام البلاغة العشرة فاختصر وشوّه أحياناً. إذ يقول:- "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان"[٢].

فالباقلاني يقصد هنا بأهل الأدب والكلام الرُمَّاني، لكنّه لم يذكر اسمه، وقد لاحظنا أن الباقلاني عمل على شرح كل قسم من هذه الأقسام البلاغية العشرة، مقتبساً من الرُمَّاني شرحه، وشواهده القرآنية أيضاً، مع قليل من الاختصار المُخّل في بعض الأحيان.

وقد كانت وجوه الإعجاز عند الرُمَّاني تظهر من سبع جهات[٣]، أمّا وجوه الإعجاز القرآني عند الباقلاني فهي ثلاثة[٤].

وكما لاحظنا أن الرُمَّاني اهتم بالوجه الرابع من وجوه الإعجاز، وركز عنايته عليه، وهذا الوجه هو البلاغة، فقد بدأ رسالته بالحديث عن البلاغة وأطال في ذلك.

---

[١] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٥.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٦٨.
[٣] انظر: الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، ص٧٥.
[٤] انظر: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٥٧-٥٩.

وكانت البلاغة عنده على ثلاث طبقات[١]:-

١ -منها ما هو في أعلى طبقة، وهو بلاغة القرآن الكريم.

٢ -منها ما هو في أدنى طبقة.

٣ -ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، وهذا ممكن وذلك كبلاغة البلغاء من الناس.

فالبلاغة عند الرُّمَّاني هي:- إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[٢]. فالرُّمَّاني يرى هنا أن البلاغة يجب أن تهتم بالألفاظ والمعاني معاً[٣].

بينما اهتم الباقلاني بالوجه الثالث من وجوه الإعجاز القرآني وهو نظمه البديع، وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية والتي يعجز البشر عن محاكاتها.

فالباقلاني في الشطر الأول نراه يتأثر بفكرة الجاحظ، التي ذهب فيها إلى أن مرجع الإعجاز في القرآن الكريم هو نظمه وأسلوبه العجيب المختلف عن أساليب البشر.

أما في الشطر الثاني نراه يتأثر بالرُّمَّاني، الذي قال بأن القرآن الكريم يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة[٤].

وقد حصر الباقلاني الوجه البلاغي للإعجاز القرآني، أي بديع نظمه في وجوه عشرة[٥]، فالباقلاني يحث على إيجاد المعاني البارعة المبتكرة، ثم يتم اختيار مثلها من الألفاظ البارعة[٦]. فيجعل للمعنى أعلى قيمة من اللفظ.

وقد درس الباقلاني معظم وجوه البديع، مستشهداً في شرحه بشواهد من الشعر، وبشواهد قرآنية، حيث يقول هنا: "ومن البديع في الشعر طرق كثيرة، قد نقلنا منها جملة، لتستدل بها على ما بعدها"[٧]، ثم انتقل بعد ذلك إلى تفصيل هذه الوجوه، مستشهداً في ذلك بأشهر الأبيات الشعرية.

---

[١] انظر: الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، ص٧٥-٧٦.
[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٥.
[٣] الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص١٣٧.
[٤] شوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ**، مرجع سابق، ص١٠٨-١٠٩.
[٥] انظر: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٥٩-٧٠.
[٦] المصدر نفسه، ص٦٦.
[٧] المصدر نفسه، ص٩٥.

فمن وجوه البديع التي ذكرها ما يلي:-

المبالغة، والغلو، والتشبيه، والمماثلة، والمطابقة، والمقابلة، والإيغال، والتوشيح، وصحة التقسيم، والتكميل والتتميم، والتكافؤ، والالتفات، والكناية والتعريض، والاستطراد، والتكرار، والاستثناء[١].

وقد لوحظ أن الباقلاني قد نهج نهجاً مختلفاً للمناهج التي انتهجها السابقون؛ وذلك لإثبات الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، فهو يرفض فكرة إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن عن طريق ما فيه من البديع؛ وذلك لأن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه عن طريق التعلم والتدرب، مثل: قول الشعر، ورصف الخطب، وصناعة الرسائل[٢].

فالبديع عند الباقلاني غير مُعجز بحد ذاته، وذلك لأن أي إنسان يستطيع أن يأتي بكلامه بتشبيه، واستعارة.

فالمُعجز عند الباقلاني هو الصورة الباهرة التي وجد عليها في القرآن الكريم، والاتساق مع سائر النظم القرآني اتساقاً عجيباً ورائقاً[٣]. أمّا الرُّمَّاني فنراه يهتم بالبديع في إعجاز القرآن الكريم.

ويرفض الباقلاني كذلك فكرة التوصل إلى إثبات الإعجاز القرآني عن طريق أقسام البلاغة العشرة، والتي حددها الرُّمَّاني وشرحها على أكمل وجه، وأكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية في هذه الأقسام.

وقد لخص الباقلاني أقوال الرُّمَّاني، فعقد فصلاً سمّاه "فصل في وصف وجوه البلاغة"، بينما يعد الرُّمَّاني هذه الوجوه سبيلاً للوصول للإعجاز القرآني، وقد قسم الباقلاني هذه الوجوه إلى قسمين:- فمنها ما يمكن الوقوع عليه، والتعّمل له، ويدُرك عن طريق التعلم، فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة الإعجاز به، وأمّا ما لا سبيل إليه بالتعلّم والتعّمل من البلاغات فذلك الذي يدل على إعجازه.

فما يمكن تعلمه ومعرفته من هذه الوجوه لا يؤدي إلى معرفة الإعجاز القرآني منه، وما لا يمكن تعلمه هو الذي يكون مناط الإعجاز[٤].

---

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٣١.
[٢] المصدر نفسه، ص١٣١.
[٣] المصدر نفسه، ص٥٩.
[٤] المصدر نفسه، ص٢٧٦.

ويلاحظ أنّ ما ذكره الرُّمَّاني من أقسام البلاغة العشرة لا يوجد فيه ما لا يمكن تعلمه، فالفرق هو ما جاء من هذه الأقسام في القرآن الكريم هو في أعلى طبقات البلاغة.

فهذه الوجوه البلاغية عند الباقلاني غير معجزة بحد ذاتها، بل المعجز يكون في حسنها البالغ وسموها، وارتباطها واتساقها مع بقية الكلام.

لذا فقد أدرك الباقلاني سر إعجاز القرآن الكريم وذلك عن طريق القدرة الفائقة في نظم جزئيات الأداء في اللفظ، والتركيب والصورة[١].

ويمكن القول هنا إن أسرار الإعجاز كامنة في نظم القرآن الكريم، وهذا موجود عند الباقلاني، أما الرُّمَّاني فإن أسرار الإعجاز كامنة عنده في البديع وفي وجوه البلاغة.

ونحن هنا نؤيد ما قاله الباقلاني في إن هذه الوجوه البلاغية وحدها لا يمكن أن تكشف لنا عن إعجاز القرآن الكريم، ولأنه لا أهمية لأي صورة بلاغية لم يراع فيها الأسلوب والنظم والتأليف.

وفكرة النظم لم تكن غائبة عن ذهن الرُّمَّاني، وقد لاحظنا ذلك عندما تحدث لنا عن "التلاؤم" وهو مراعاة تأليف الألفاظ بما يكون بينها من تلاؤم، وانسجام، والبعد عن التنافر، ففكرة النظم بدأت عند الرُّمَّاني بصورة شكلية بسيطة[٢].

وقد رأينا أن الباقلاني لم يخرج عن المعنى الذي جاء به الرُّمَّاني في شرحه "البيان" وهو من أقسام البلاغة، فالبيان عند الرُّمَّاني هو: الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك، والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، والكلام بذلك يكون على وجهين:

- كلام يظهر به تميز الشيء عن غيره.
- كلام لا يظهر به تميز الشيء، فليس هذا ببيان، وذلك ككلام المُخلط الذي لا يُفهم منه شيء[٣].

أما بالنسبة للباقلاني فالقرآن عنده أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه – يعني البيان – ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وأبوابه وذلك من حيث تعديل النظم وسلامته، وحُسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، وتقبل النفس له[٤].

---

[١] أحمد سيّد محمد عمّار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي**، مرجع سابق، ص١٤٨.
[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٤-٩٥.
[٣] المصدر نفسه، ص١٠٦.
[٤] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٧٧.

وأرى هنا أن الباقلاني قد بلغ الغاية في بيان وجهة نظره وتوضيحها، فالإعجاز إنما يعود إلى النظم بكل جوانبه.

التحدي والمعارضة:-

ونصل في هذه الموازنة إلى الحديث عن التحدي والمعارضة عندهما، فهما طريق إثبات الإعجاز القرآني، فعندما يعجز الإنسان عن معارضة القرآن الكريم، مع التحدي إليه، فهذا دليل جازم وقاطع على الإقرار بالإعجاز القرآني.

ولقد كان التحدي الأصل الثاني الذي اعتمد عليه الباقلاني؛ وذلك في بيان وجه الدلالة على أن القرآن الكريم معجز في ذاته، فقد تحدى القرآن الكريم العرب بأن يأتوا بمثل القرآن، ولكن لم يستطيعوا الإتيان حتى ولو بسورة واحدة.

ويستشهد الباقلاني بآيات التحدي، قال تعالى:- (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)[١]

وقوله تعالى:- (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[٢]. وقوله تعالى:- (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)[٣]، فالعجز عن الإتيان بمثل القرآن الكريم يُعد دليلاً على أنه منه، وقوله تعالى:-(أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)[٤].

وقد ثبت بما بينا هنا أن القرآن الكريم تحداهم، ولكن لم يأتوا بمثله، ولقد اهتم الباقلاني بقضية التحدي، وبخاصة عند الدفاع عن القرآن الكريم، فنراه يشبعها تحليلاً؛ وذلك لإثبات صدق النبوة، وردا على المتكلمين بعامة، والمعتزلة بخاصة.

---

[١] سورة البقرة، آية (٢٣-٢٤).
[٢] سورة هود، آية (١٣-١٤).
[٣] سورة الإسراء، آية (٨٨).
[٤] سورة الطور، آية (٣٣-٣٤).

فهذا الباقلاني يقول:- "والذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنه تحداهم إليه حتى طال التحدي، وجعله دلالة على صدقه ونبوته، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم من حكمه، بأمر قريب، هو عادتهم في لسانهم، ومألوف من خطابهم، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال، وإكثار المراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي"[١].

ومن كان على درجة رفيعة من البلاغة والفصاحة، وأقرّ بعجزه عن الإتيان بمثله، فهو يدرك الإعجاز دون الجنوح للمعارضة بعد التحدي، إذ يقول الباقلاني في هذا:- "وأما من كان من صنعة العربية، والتقدم في البلاغة، ومعرفة فنون القول، ووجوه المنطق فإنه يعرف حين يسمعه عجزه عن الإتيان بمثله"[٢].

ولقد عجز سائر أهل الأعصار كلهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، فالتحدي في الكل يكون على جهة واحدة، والتنافس في الطباع على حَدّ واحد، والتكلف على منهاج لا يختلف، ولذلك قال الله – تبارك وتعالى – (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٣].

فالتحدي بالقرآن الكريم واقعٌ على أهل كل زمان ومكان؛ وذلك لأن الإعجاز القرآني باقٍ بقاء الدهر.

أما بالنسبة للرُمَّاني فلقد ذكر التحدي للجن والإنس كافة، وجعلها الوجه الثالث من وجوه الإعجاز عنده وذلك أن التحدي عنده أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توافر الدواعي إلا للعجز عنها[٤].

وبناءً على هذا فإن كلاً من الرُمَّاني والباقلاني قد ذكرا التحدي للجن والإنس كافة، وإن توافر الدواعي إلى المعارضة على القرآن الكريم لما لم تقع المعارضة دل ذلك على العجز عنها، وهذا هو الوجه الأول من وجوه الإعجاز عند الرُمَّاني وهو ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

الصّرفة:-

---

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٤٣.
[٢] المصدر نفسه، ص٢٥٨.
[٣] سورة الإسراء، آية (٨٨).
[٤] الرُمَّاني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١٠.

لا يخلو كتاب من الكتب التي تبحث في إعجاز القرآن الكريم من حديثٍ عن الصّرفة، وذلك لارتباطها بالعجز عن المعارضة، مع استمرار التحدي، فكيف كان موقف كل من الباقلاني والرُّمَّاني من الصّرفة.

فهذا الباقلاني يعرض القول بالصّرفة قائلاً:- "فإن قيل: فلم زعمتم أن البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات؟ وهلا قلتم: إنّ من قدر على جميع هذه الوجوه البديعة كان على مثل نظم القرآن قادراً، وإنّما يصرفه الله عنه ضرباً من الصّرف، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرباً من المنع، أو تقصير دواعيه إليه دونه، مع قدرته عليه، ليتكامل ما أراده الله من الدّلالة، ويحصل ما قصره من إيجاب الحجة"[١].

فكانت حجتهم أنه من يقدر على نظم كلمتين أو أكثر فإنه لا يعجز عن نظم مثلها، وبعد ذلك يستطيع أن يصل إلى قدر الآية والسورة.

فالباقلاني يرفض القول بالصّرفة. ولا يرى هذا في الإعجاز، فيرد على الذين قالوا بالصرفة بردودٍ مقنعة[٢].

أما بالنسبة للرُّمَّاني فهو على عكس الباقلاني فلقد أخذ بالصّرفة، وعدّها وجهاً من وجوه الإعجاز، فالصرفة عنده هي:-

صرف الهمم عن المعارضة، وعلى هذا كان يعتمد بعض أهل العلم وذلك في أن القرآن مُعجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وهذا خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة[٣].

ويلاحظ أن الرُّمَّاني نسب الصّرفة إلى أهل العلم، فكأنه يريد أن يتبرأ منها، ثم يعود ليدفع الشك عن نفسه في هذا الأمر[٤]. فيقول:- إن الصّرفة أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول[٥].

ولقد أخذ الرُّمَّاني فكرة الصّرفة من النّظام، فأثبت الرُّمَّاني هنا القدرة على معارضة القرآن الكريم لكن لما لم تحصل هذه المعارضة كان ذلك عجز.

---

[١] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٥٢.
[٢] انظر: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٥٢-٥٣.
[٣] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١٠.
[٤] الملاحويش، **إعجاز القرآن وعلم المعاني**، مرجع سابق، ص١٦٨.
[٥] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١٠.

وإنني أرى هنا أن الصّرفة لا تنسجم مع ما قرره الرُّمَّاني من وجوه الإعجاز وذلك لأن الصّرفة تنقض كل ما بناه الرُّمَّاني من وجوه الإعجاز الأخرى.

فالقول بالصّرفة قول باطل؛ وذلك لأن القرآن الكريم مُعجز بذاته فلا يستطيع أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثل ألفاظ القرآن الكريم ولا معانيه.

قال تعالى:- (قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[١].

الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة:-

اتفق كل من الرُّمَّاني والباقلاني في عَد الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، فالأمور الغيبية الماضية منها والمستقبلة لا يعلمها إلا علام الغيوب، وهذا مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه، ومن ذلك قوله تعالى:- (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)[٢]، فلقد وعد الله عز وجل النبي ρ أنه سيظهر دينه على الأديان كلها، فوفى الله بوعده، وأيضاً قوله تعالى:- (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)[٣]، فلقد وعد الله عز وجل بالظفر من إحدى الطائفتين، ووفى بهذا الوعد.

بين الفصاحة والبلاغة:-

استخدم الرُّمَّاني مصطلح البلاغة في نكته، فلا نجد مصطلح الفصاحة حتى في باب التلاؤم، الذي درس فيه ما سوف يدرس وذلك تحت عنوان الفصاحة، كان السبب في ذلك أنّ الرُّمَّاني وجد في مصطلح البلاغة خير معُبر عن بعض وجوه الإعجاز القرآني، وذلك في

---

[١] سورة الإسراء، آية (٨٨).
[٢] سورة التوبة، آية (٣٣).
[٣] سورة آل عمران، آية (١٢).

زمن لم يكن المصطلح قد استقر فيه، أو لأنه رأى أن في الفصاحة تعبيراً عن المعنى، وفي البلاغة إيصالاً له إلى القلب[١].

ويلاحظ أن هذا ينسجم مع تعريفه لها في "أنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[٢].

بينما استخدم الباقلاني المصطلحين في مواقع مختلفة من "إعجازه"، فالباقلاني هنا لم يورد ما يجعلنا نعرف وجوه تمايزهما. فمنهم من عبرّ عن معنى الفصاحة بأنه ما كان جزل اللفظ، حسن المعنى، وقد قيل معناها الاقتدار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس[٣].

الشعر ونقده:-

ويتبادر إلى ذهن القارئ عن موقف الرُّمَّاني والباقلاني من الشعر ونقدهما له، لذلك يمكن القول بأنهما اشتركا في الوقوف على الشعر.

فهذا الباقلاني قد عقد فصلاً في كتابه، نفى فيه أن يكون القرآن الكريم شعراً. فلقد قرر في بداية حديثه عن هذا الموضوع أن الله عز وجل قد نفى الشعر عن القرآن الكريم، وعن النبي ρ، مستشهداً بالآيات التالية قال تعالى:- (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ)[٤]، وقال عز وجل أيضاً في ذم الشعراء:- (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ)[٥]، وقال تعالى أيضاً:- (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ)[٦].

فإن ما حكاه القرآن الكريم عن الكفار من وصفهم الرسول الكريم بأنه شاعر، وبأن القرآن الكريم شعرٌ، فلابد أن يكون محمولاً على أنهم نسبوه في القرآن، فالذي أتاهم به هو من قبيل الشعر الذي يعرفونه على الأعاريض المحصورة والمألوفة.

أو أنه يكون محمولاً على ما يطلقه الفلاسفة على حكمائهم وأهل الفطنة منهم، وذلك في وصفهم إياهم بالشعر، وذلك لطرق لهم في المنطق، فهذا الأمر خارجاً عما هو عند العرب

---

[١] علي مهدي زيتون، **إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي**، ط١، دار المشرق، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص٨٨.
[٢] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٥.
[٣] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٥.
[٤] سورة يس، آية (٦٩).
[٥] سورة الشعراء، آية (٢٢٤-٢٢٥).
[٦] سورة الحاقة، آية (٤١).

من شعر على الحقيقة أو يكون محمولاً على أن وصف القرآن بالشعر قد أطلقه بعض الضعفاء وذلك لمعرفة أوزان الشعر. وهذا أبعد الاحتمالات في رأي الباقلاني.

وقد تصدى الباقلاني للرد على من زعم أنه يوجد في القرآن الكريم شعرٌ، وأن بعض آيات القرآن الكريم تتم بيتاً أو أبياتاً، أو تشكل مصراعاً فأخذ الباقلاني يورد هذه المزاعم ويرد عليها بما ينفى أنها من الشعر، فمثّل لما يزعمونه مصراع بيت[١].

كما ردّ عليهم الباقلاني؛ وذلك بأن الفصحاء عندما أورد عليهم القرآن الكريم لو كانوا يعتقدون أنّه شعرٌ، ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم لبادروا إلى معارضته؛ وذلك لأن الشعر مُسخرٌ لهم، فعندما ما لم يشتغلوا بذلك تم معرفة أنهم لم يعتقدوا فيه شيئاً مما يُقدّره الضعفاء في الصنعة[٢].

فالباقلاني يجهد نفسه في نفي صفة الشعر عما جاء في القرآن الكريم موزوناً ويُوهم أنه من الشعر، فنراه يستدل بمقدار الكلام وطوله، ومرة يستدل بنفي الشعر عن الرجز جملة، ومرة يستدل بالقصد والنية في صياغة الشعر.

وقد أكد الباقلاني على نفي الشعر عن القرآن الكريم، وذلك بنفيه أنه من الكلام الموزون غير المقفى[٣]، فالقرآن الكريم هنا عندما نفى الشعر عنه إنّما كان يعمد إلى الجوهر هدفاً وغاية في ذلك.

كما لوحظ أن الباقلاني يُورد قصائد لكبار الشعراء من أمثال امرئ القيس، والبحتري، وغيرهم، فيقوم على تحليلها، وبيان ما وقع فيها من الخلل والاضطراب؛ وذلك لإثبات أن القرآن الكريم يفوق أشعار هؤلاء الذين يُعدون من أفصح العرب.

فالقرآن الكريم من عند الله عز وجل قد سلم من التحريف، والزيادة والنقصان، وكلام الله عز وجل مُميز عن كلام البشر؛ وذلك لاشتماله على بديع النظم وعجيب التأليف.

ويلاحظ أن الرُمَّاني قد وافق الباقلاني في نفي الشعر عن القرآن الكريم، إذ إن خلاصة رأي الرُمَّاني في الإعجاز هو أن القرآن الكريم معجز بنظمه وبيانه البديع؛ وذلك لأنه خرق العادة في هذه الناحية، فلم يكن ما تضمنه شعراً يقيده الوزن والقافية، ولكنه جاء كلاماً لطيفاً خالياً من الوزن الذي يُعد من مستلزمات جمال الشعر، فأقصر سورة في القرآن الكريم معجزة كأطول سورة فيه.

---

[١] انظر: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٧٧.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٩.
[٣] انظر: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٨٢.

كما جاء القرآن الكريم بطريقة مميزة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحُسن تفوق به كل طريقة[١].

السجع:-

قد نفى كل من الرُّمَّاني والباقلاني وجود السجع في القرآن الكريم. فالباقلاني عمد إلى إثبات أن نظام القرآن الكريم مخالف لأنظمة الكلام البشري، لذلك نراه عقد فصلاً في كتابه "إعجاز القرآن"، بعنوان "نفي السجع من القرآن".

كما نفى الرُّمَّاني وجود السجع في القرآن الكريم، وبيّن لنا أن الفواصل هي:- حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، فالفواصل بذلك تكون بلاغة، والأسجاع عيباً؛ وذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، لأن الغرض هو الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت على خلاف ذلك فهو عيب[٢].

ويقول الباقلاني في ذلك:- "ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن، وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه"[٣].

ويلاحظ أن الرُّمَّاني قد أخطئ عندما عاب السجع محمود ومرذول، وتابعه الباقلاني على خطئه في اتباعه المعنى للفظ دائماً، فليس كل سجع كذلك، إنما هو نوع رديء من السجع اتبعه كُهّان الجاهلية. فأين هما من النوع الذي يقع فيه اللفظ الموقع الرائع وهو مع ذلك تابع للمعاني. وهذا النوع المحمود جاء به فصحاء الإسلام، وأحاديث النبي ρ تشير إلى ذلك بوضوح[٤].

فالسجع المذموم هو السجع المرفوض، والنبي ρ عندما قال:- "أَسَجْعاً كسجع الكُهّان" أراد به السجع المتكلف والمذموم، وليس السجع المحمود، ويبين لنا الباقلاني أدلته على نفي وجود السجع في القرآن الكريم[٥].

لذلك أرى هنا أن الباقلاني قد وافق الرُّمَّاني في نفي السجع عن القرآن الكريم.

---

(١) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١١١.
(٢) الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٩٧.
(٣) الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٣.
(٤) منير سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، مرجع سابق، ص١٢٤.
(٥) انظر: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، ص٨٣.

المجاز:-

وجد المجاز عند كل من الباقلاني والرُّمَّاني وعملا على استخدامه، فلا يوجد تعارض بين المعتزلة والأشاعرة على التسليم بوجود المجاز في اللغة العربية وفي القرآن الكـريم[١]. وهذا ما لاحظناه عند كل من الباقلاني والرُّمَّاني.

فالألفاظ في العربية تقسم إلى قسمين حقيقة ومجاز:-

فالحقيقة عند الباقلاني هي:- ما استعمل فيما وضع له في الأصل.

أما المجاز فهو:- ما استعمل في غير ما وضع له[٢].

فبين لنا الباقلاني أن كل مجاز لابد له من حقيقة يرد إليها الكلام، وليس لكل حقيقـة مجاز، لأن من الألفاظ والأسماء ما لم يتجوز بها في غير ما وضعت له، ومن الأسماء التي لا يصح دخول المجاز فيها:-

- الأسماء العامة التي لا عموم فوقها من مثل المعلوم، والمجهول، والمظنون.
- أسماء الأعلام، كزيد، وعمرو.

ولقد استدل الباقلاني على وجود المجاز في القرآن الكريم، وذلك في قولـه تعـالى:- (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)[٣]. فالقرية هنا لا تسأل حقيقة، ولكن الذي يُسأل هو أهل هذه القرية، فالمجاز بذلك يوجد في اللغة العربية وفي القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة.

كما وجُد مصطلح المجاز عند الرُّمَّاني كذلك، فأطلق مصـطلح الاسـتعارة علـى النصوص المجازية، وذلك عندما عرف لنا الاستعارة بأنها تعليق العبارة في غير ما وضعت له في أصل اللغة، على جهة النقل وذلك للإبانة، فكل استعارة لابد لها من مُستعار ومُستعار له ومُستعار منه[٤]، ومن ذلك قوله تعالى:- (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِـنْ عَمَـلٍ فَجَعَلْنَـاهُ هَبَـاءً مَنْثُورًا)[٥].

فحقيقة قدمنا هنا أي عمدنا، وقدمنا في ذلك أبلغ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من السفر، لأنه عندما أمهلهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم به.

---

[١] الباقلاني، **التقريب والإرشاد الصغير**، مصدر سابق، ص٣٥٢.
[٢] المصدر نفسه، ص٣٥٢.
[٣] سورة يوسف، آية (٨٢).
[٤] الرُّمَّاني، **النُّكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٦.
[٥] سورة الفرقان، آية (٢٣).

وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعها هو العدل، لأن العمد إلى إبطال الفاسد عدل. أما "هباءً منثوراً" ففيه بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه[١]. ونلاحظ أن الرُماني قد أوّل الآيات القرآنية؛ وذلك لتحقيق مبدأ الاعتزال.

المصطلحات:-

استخدم الباقلاني والرُمَّاني المصطلحات لعرض أفكارهما والدفاع عنها، وقد اختص كل من الباقلاني والرُمَّاني ببعض المصطلحات في كتابيهما: فهذا الباقلاني يستخدم المصدر "النّذارة" ويقصد فيه الإنذار، حيث يقول:- "دلّ على أنه نزّله على قلبه ليكون نذيراً، وبيّن أنه آيةٌ لكونه نبياً، ثم وصل بذلك كيفية النّذارة"[٢]، فذكر قوله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[٣]، فالتأمل في آيات القرآن الكريم، يبين لنا الإعجاز القرآني.

ويستخدم الباقلاني أيضاً مصطلح "الأحكاميات" ويقصد فيها التشريعات، حيث يقول هنا:- "والآيات الأحكاميات التي لابد فيها من أمر البلاغة، يعد فيها من الألفاظ ما يعد في غيرها"[٤].

وفي البديع نرى أن الباقلاني يطلق على البديع مصطلحه الشائع، ويُعرفه لنا، ثم يذكر لنا بعد ذلك أن قوماً آخرين قد أطلقوا عليه مصطلحاً آخر، فمن ذلك أن الباقلاني يذكر مصطلح "المطابقة" فيريد به الطباق، ثم يذكر لنا الآراء الخلافية حول هذا المصطلح فيقول الباقلاني هنا:-

"ويرون من البديع أيضاً ما يُسمونه المطابقة، وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضدّه، كالليل والنهار، والسواد والبياض، وإليه ذهب الخليل بن أحمد والأصمعي، ومن المتأخرين عبد الله بن المعتز. وقال آخرون: بل المطابقة أن يشترك معينان بلفظة واحدة، وإليه ذهب قدامه بن جعفر الكاتب"[٥].

---

[١] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٦.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٠٩.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٠٩.
[٤] المصدر نفسه، ص٢٢١.
[٥] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٠٤.

ومن ذلك أيضاً ذكره لمصطلح "الاستعارة"، حيث يقول: "وذكر الأصمعي وأبو عُبيد وحمّاد، وقبلهم أبو عمرو" أنه أحسن في هذه اللفظة، وأنه اتُبع فيها فلم يَلحق، وذكروه في باب الاستعارة البليغة"[١].

وسمّاها بعض أهل الصنعة "الإرداف" وهو: أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا تأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ هو تابع له وَردْف[٢].

أما بالنسبة للرماني فإنه يستخدم في باب البلاغة والبديع المصطلحات المشهورة كما هي دون أن يذكر اختلاف العلماء في هذه المصطلحات من مثل:- الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والمبالغة وحسن البيان.

وقد استخدم الرُمَّاني مصطلح "التشبيه البليغ" الذي أراد به صفة للتشبيه، وليس ما ينطبق على المصطلح البلاغي، الذي تعارف عليه البلاغيون في مصطلحات البلاغة من وجود المشبه والمشبه به مع حذف الأداة، والتشبيه البليغ عند الرُمَّاني هو: إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف[٣].

واستخدم الرُمَّاني مصطلح "حُسن التأليف" وأراد به النظم وذلك عندما قال عن التشبيه البليغ: إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف.

استخدام مصطلح "الجامع" ويقصد به هو وجه الشبه، فيستشهد الرُمَّاني ليبين وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، بقوله تعالى:- (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ)[٤].

إذ اجتمع في هذه الآية المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع، والعجز عن الاستدراك لما فات وفي هذا حسرة عظيمة وموعظة بليغة.

كما استخدم الرُمَّاني أيضاً مصطلح "دلالة التأليف" وأراد بها الدلالة البلاغية، فإنها غير متناهية إلى حد[٥].

هذا هو شأن المصطلح عندهما، ونلاحظ هنا أنّ كل واحدٍ منهما قد أجاد في عرضه لمصطلحاته؛ وذلك تبعاً لمذهبه الذي ارتضاه، فكل من الباقلاني والرُمَّاني متكافئان هنا في هذه المسألة.

---

[١] المصدر نفسه، ص٩٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٩٦
[٣] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨١.
[٤] سورة إبراهيم، آية (١٨).
[٥] الرُمَّاني، **النُكت في إعجاز** القرآن، مصدر سابق، ص١٠٧.

المنهج المُتبع في عرض الأفكار:-

امتاز الرُمَّاني و الباقلاني بمذهب معين في العرض والمناقشة تحكمه النزعة العلمية، والتذوق الأدبي.

فهذا الباقلاني الذي وجدت عنده الطريقة التربوية، التي تعمل على تكوين ملكات التفكير عند القارئ، فيعمل على استخراج المعرفة بنفسه[١]، فتكثر المواضع التي تعمل على تأكيد هذه الطريقة التربوية في كتابه، إذ أن الباقلاني يضع الباحث في بداية الطريق، ويبين له النهج الصحيح، لكي يشق طريقه بنفسه.

ويقول في هذا:- "ولست أطول عليك فتستثقل، ولا أكثر القول في ذمة فتستوحش"[٢].

ويقول أيضاً:- "ولولا كراهة الإملال، لجئت إلى كل فصل، فاستقريت على الترتيب كلماته، وبيّنت لك ما في كل واحدة منها من البراعة وعجيب البلاغة"[٣]، ولقد لوحظ أن هذه المقولات تكثر في كتاب الباقلاني.

ولقد غلب على منهج الباقلاني أيضاً النزعة الكلامية؛ وذلك عندما يقوم بالدفاع عن مسألة معينة، يقدم الردود الكافية والأدلة المقنعة.

فمثلاً الذين يعملون على إثبات وجود السجع في القرآن الكريم يرد ببعض الأدلة ومن هذه الأدلة مثلاً:-

أن من أجاز السجع فإنه يسلك ما ذهب إليه كل من النظّام، وعبّاد بن سليمان، وهشام الفوطي، فيذهب مذهبهم؛ وذلك أنّه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز، وبالتالي يمكن معارضته، ولكنهم صُرفوا منه ضرباً من الصرّف[٤].

ويوجد للباقلاني طريقة مميزة في دراسته للموضوعات في كتابه "إعجاز القرآن"، فهو يعمل على إجمال الآراء، ثم يعود إلى بسط القول فيها، وهذه الطريقة ما زالت متبعة إلى الآن.

ومثال ذلك أنه يقدم لنا فصلاً في جملة وجوه إعجاز القرآن، ثم يليه بفصل آخر يشرح فيه هذه الوجوه.

---

[١] أبو موسى، **الإعجاز البلاغي في دراسة تحليلية التراث أهل العلم**، مرجع سابق، ص٢١٧.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص١٩٣.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٠٩.
[٤] المصدر نفسه، ص٩١.

وقد قسّم الباقلاني بحثه في الإعجاز إلى ثلاثة مراحل متوالية، وجعل كل مرحلة تمهد لما بعدها، فاتسم عمله بالوضوح، والتكامل الموضوعي[١].

فالباقلاني اتبع في كتابه رد الأقوال إلى أصحابها فعندما يأخذ بفكرة معينة لشخص ما فإنه يذكر اسمه، ومثال ذلك قول الباقلاني:- "ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن، وذكره أبو الحسن الأشعري في غير موضع من كتبه"[٢].

وقوله:- "وذكر الجاحظ في كتاب البيان والتبين"[٣]، فقد اتصف الباقلاني هنا بالأمانة العلمية في نسبة الأقوال إلى أصحابها.

وفي بعض الأحيان لا يذكر الاسم، بل يلمح به تلميحاً، وهذا ما لوحظ عندما قال:- "ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام"[٤]، فيقصد هنا الرُمَّاني، ولكنه لم يذكر اسمه. ولقد لاحظنا في منهج الباقلاني استشهاده بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية المتفرقة في قضايا كتابه.

أما بالنسبة للرُمَّاني فقد كان أسلوبه في معالجة موضوعه علمياً منطقياً يحتاج في كثير من المواضع إلى الجهد في فهمه، ويغلب عليه أيضاً الطابع الكلامي، والنزعة الاعتزالية في تأويل القرآن، وقد جاءت أفكاره متسلسلة ومنظمة، وجاء كتابه مختصراً ومفيداً.

فقد هجم الرُمَّاني على الموضوع دون أي مقدمة على عكس ما فعله الباقلاني في كتابه، كما استشهد الرُمَّاني بالآيات القرآنية، والأبيات الشعرية المتفرقة؛ ليؤيد ما ذهب إليه من فكرة معينة، كما فعل الباقلاني أيضاً.

وقد عمل الرُمَّاني على الموازنة بين الآية القرآنية وكلام العرب، وذلك في قوله تعالى:- (وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ)[٥]، فيقارن بقول العرب "القتل أنفى للقتل"، أما الباقلاني فلاحظنا أنه يوازن بين سورة قرآنية وقصيدة، أو بين سورة وخطبة أو رسالة، يبين أن القرآن الكريم يفوق كلام البشر.

وقد اتسم منهج الرُمَّاني في رسالته المسماة "النُكت في إعجاز القرآن" بالوضوح والدقة، إذ قسّم البلاغة على عشرة أقسام:- الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم،

---

[١] انظر: العمري، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري**، مرجع سابق، ص٩٦.
[٢] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٨٣.
[٣] المصدر نفسه، ص١٤٥.
[٤] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٢٦٨.
[٥] سورة البقرة، آية (١٧٩).

والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان[١]، ففسر كل باب من هذه الأبواب، وأشبعها بالشواهد القرآنية وعرض ما فيها من أسرار بلاغية.

وقد أكثر الرُّمَّاني من ذكر الأقسام والتعاريف كما في بـــاب الإيجـــاز، والاســـتعارة، والتشبيه، فالرُّمَّاني يقدم ما يريد بأكثر من وسيلة؛ وذلك ليستوعب أكبر قدر ممكن من الطالبين للمعرفة والاستفادة من درسه فهذا المنهج قد اتبعه في رسالته.

فكان للمفاهيم الفكرية عند الرُّمَّاني دور كبير جداً في خدمة البحث البلاغي المخـــتص في إعجاز القرآن الكريم، وذلك عندما تحدث عن باب التلاؤم واعتدال الحروف في الكلمـــة، واعتدال الكلمات بعضها إلى بعض، إذ استفاد من فكر المعتزلة هنا، وفي أخذه لأحد أصـــول المعتزلة وهي المنزلة بين المنزلتين.

كما استفاد الباقلاني من مفاهيم الأشاعرة الفكرية في خدمة البحث البلاغي المخـــتص في إعجاز القرآن الكريم، ويبدو ذلك عندما رفض الأخذ بالصرفة، لأن معنى الصرفة هـــو:- أن نظم القرآن الكريم وتأليفه هو في قدرة العباد لولا صرف الله هممهم عن ذلك، فهم قادرون على الإتيان بمثله ولكن الله منعهم، فلا يستطيع أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثـــل القـــرآن الكريم مهما بلغت درجة فصاحته وبلاغته.

وهكذا لوحظ كيف اشترك كل من الرُّمَّاني والباقلاني في النزعة العلميـــة والتـــذوق الأدبي، إذ أرى أنهما أحسنا في منهجيهما، إذ أن الرُّمَّاني يفوق الباقلاني في إحاطته، وتمكنه في جميع الأقوال التي يذكرها.

ويبقى أن أقول:- إن كتابي الرُّمَّاني والباقلاني كتابان تراثيان من ذخائر العرب، فهما يعالجان قضية من أنبل القضايا وأصعبها، وذلك لارتباطهما بالقرآن الكريم.

---

[١] الرُّمَّاني، **النكت في إعجاز القرآن**، مصدر سابق، ص٧٦.

الخاتمة:-

تبين لي من خلال تناولي دراسة توظيف البحث البلاغي في إعجاز القرآن بين الرُمَّاني والباقلاني جملة من الأمور أوردها كالآتي:-

يعد القرآن الكريم كلام الله عز وجل المُعجز المنزل على سيدنا محمد ρ بواسطة جبريل، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس.

إن إعجاز القرآن الكريم هو العلم الذي يبين لنا كيف أعجز القرآن الكريم جميع الخلق وأقام الحجة عليهم من خلال الحديث عن وجوه الإعجاز، والتحدي في القرآن الكريم، وهذا دليل على صدق الرسول الكريم، فلا يستطيع أحد من الإنس والجن الإتيان بمثل القرآن الكريم حتى ولو بسورةٍ واحدة، قال تعالى:- (قُلْ لئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) وبما أنهم لم يستطيعوا الإتيان بمثله فهو دليل على أن القرآن الكريم مُعجزة خالدة وباقية بقاء الدهر لا تزول.

إن القرآن الكريم معجز ببلاغته وفصاحته، فقد وقع موقعاً في الفصاحة والبلاغة خارجة عن مقدور البشر، فسر الإعجاز القرآني إنما يكون في أسلوبه، ولغته، فالقرآن الكريم كله مُعجز.

اهتم العلماء بدراسة الإعجاز القرآني، ولقد كان لكل عالم رأيٌ في وجوه هذا الإعجاز القرآني، وقد اختلفوا في هذه الوجوه، فقالوا: هل القرآن مُعجز بلفظه أم بمعناه؟ أم بكليهما؟ أو إن القرآن مُعجز بنظمه، أو بأخباره عن المغيبات المستقبلة، أو بصرف الله الناس عن الإتيان بمثله، فهذا النظّام جعل الإخبار عن المغيبات وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، أما نظم القرآن وحُسن تأليف كلماته فإن الناس قادرون على مثلها، ولكن الله عز وجل صرفهم عن معارضة القرآن الكريم.

إن البحث عن وجوه الإعجاز القرآني يُعد سبيلاً للوقوف على البلاغة العربية بعلومها المختلفة، إذ أدى هذا الأمر إلى الخوض في البحوث البلاغية، فأخذوا يدرسون فنون البلاغة العربية؛ وذلك لكي يقفوا على سر الجمال في التعبير القرآني، ولكشف النواحي التي من أجلها عجز العرب عن الإتيان بأقصر سورة من مثله.

-تبين من خلال البحث أن الرُمَّاني المعتزلي اتجه إلى محاولة اكتشاف وجه الإعجاز القرآني عن طريق الألوان البلاغية المختلفة، وقد تمثل ذلك في رسالته "النُكت في إعجاز القرآن"

حيث ردّ الإعجاز إلى وجوه بلاغية عشرة، ومضى يتحدث عن كل وجه من هـذه الوجـوه، ويقدم شواهده من القرآن الكريم، ويبين ما فيها من أسرار بلاغية ونكات، إضافة إلى ما قدمه من موازنات بين النصوص القرآنية وما قيل في معناها عن كلام العرب كلما وجد إلى ذلـك سبيلاً.

إن وجوه الإعجاز القرآني عند الرُّمَّاني تظهر من سبع جهات، وهي ترك المُعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمـور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل مُعجزة، وقد بدأ الرُّمَّاني رسالته بالوجه الرابع من وجوه الإعجاز وهو البلاغة، واهتم به اهتماماً كبيراً.

جمع الرُّمَّاني في رسالته بين الجانب الكلامي أو العقلي، وبين الجانب البلاغي، وبذلك ندرك مدى تأثره بالنزعة الاعتزالية، إذ أن المعتزلة كانوا يهتمون بالجانب الكلامي البلاغي معاً.

اهتم الباقلاني الأشعري بدراسة الإعجاز القرآني، وبيّن ذلك في كتابه "إعجاز القرآن" فوجوه الإعجاز القرآني عنده ثلاثة، هي: احتواء القرآن على تنبوءات عن المستقبل، وذكر الحوادث الماضية، وقصص السابقين، مع أن – النبي ρ كان أمّيـاً، لا يقـرأ ولا يكتـب –، ونظـم القرآن، وأسلوبه، وبلاغته، كما توسع كثيراً في الوجه الثالث، وفصّل المسائل، وأكثر من ذكر الأمثلة والشواهد، فأسلوب القرآن الكريم عنده خارج عن الأساليب المعروفة، فلا يوجد عنـد العرب أثر أدبي يجاري القرآن الكريم.

إن مسألة البحث في الإعجاز القرآني تعتمد على الإقناع العقلي، والجدل الكلامي، إضافة إلى الاعتماد على البلاغة، وذلك للوصول إلى سر الإعجاز القرآني، وهنا يظهر تأثر البـاقلاني بالنزعة الأشعرية، إذ إن الأشاعرة يهتمون بالعقل للدفاع عن بساطة العقيدة الإسلامية.

اتفق كل من الرُّمَّاني والباقلاني على نفي وجود السجع في القرآن الكريم، وذلك لأن السـجع المذموم يجب أن ينزه عنه القرآن الكريم.

إن إسرار الإعجاز القرآني كامنة في البديع، وفي وجوه البلاغة العشرة، وهذا موجود عنـد الرُّمَّاني، أما الباقلاني فأسرار الإعجاز القرآني عنده كامنة في الـنظم، فـلا مزيـة للفنـون البلاغية عند الباقلاني من جناس، وطباق، وتشبيه، واستعارة، إلا من خلال نظمها وسياقها.

Abstract

This study takes the issue the rhetorical research employment regarding the inimitability of quran between AL- Rummani an AL-Baqilani, where both of them are considered as the most famous scientists who studied the inimitability of quran and who know the core of it's secret, and this appears very clearly in the message of AL-Rummani "The moments luminous his in the impossible of the quran", and the book of AL- Baqilani "The rhetoric of quran".

Reaching to know the secret of the inimitability of quran and understanding it's high quality methods cann't be understood is except through the rhetoric, and this field what this studying searching in through AL- Rummani and AL- Baqilani, but as a beginning the studen's should have a pre – knowlage about quran, which is the core of Islamic believe, in order to be able to defend the quran against allegations of the opponents a from a side and to show now this quran became inimitable, which challenges any opponent or to bring such a book same as it.

This study is consisted of preface and three chapters where I spoke during the preface a bout the scientists' point of views regarding the quran's inimitability and an Identification of AL-Rummani who died in (386H) and AL- Baqilani died in (403H), where most scientists focused on the structure of quran as one face of quran rhetoric, where we can notice this point very obvious in AL-Baqilani, and this point in the consideration of AL- Rummani, even that he didn't clear it up, that we can feel this point when he is speaking about the issue of convenience, which we can understand that it means composing the ideems to gather and we saw him

bringing this composing in to three levels according to what kind of convince does this ideem have and how much it's fat from oddity.

The first chapter was specialized to speak abut AL- Rummani and his rhetoric, where we can notice that AL- Rummani has restricted the inimitability of quran in to seven consepts which are to leave the contradicting and supplying the needs and necessity, challenging future, lak of habid, measuring it with all the miracles.

The rhetoric according to AL- Rummani is getting the meaning reached to the heart with the ideal shape of pronouncing, and this is depending on three levels where the highest level of quality is in the rhetoric of quran, that AL- Rummani was very intrested on the forth aspect of quran's inimitability, where he limited the inimitability of quran into ten section which are:- brefing, metaforic, immefation, convenience, spaces, similarity, implicity, exaggerating, and the clear explanation. For those aspects AL- Rummani specialized a chapter for each section and he used the quran's verses as an indecation for that.

The secret of the inimitability of quran is shown through the aspects of it's rhetoric, and it was spoken abut the effect of the retreat tendency, and it was this was shown to us when AL-Rummani gathered between the verbal, mental and rhetoric side, where he was effected here by AL-mutazilah because they were interested in the verbal and rhetoric sides fogather, so the Rummani was very effected by this group specially if we know that he was one of their famous faces.

The chapter was divided into two researches:

A) the efforts of AL- Rummani in the rhetoric.

B) The efforts of retreat tendency in inimitability.

The second section was specialized in studying the rhetoric research which was done by AL- Baqilani, where he was interested in rhetoric, in order to know the secret of the quran's inimitability, where the concepts of quran's inimitability are divided in to three categories which are.

A- quran contains some verses that speaks about the future's predictions. B-Narrating some stories about many previous events and ancient people, while our profit Mohamed was an illiterate man, and he was inters teed in the third aspect that the secret of quran's inimitability comes from its structure that there is no taste for the rhetoric arts except from its context and structure, so he refuses the idea of implementing the inimitability of quran through the ten sections of rhetoric which are determined by AL- Rummani while this man made those aspects the way to reach the idea of quran's inimitability.

And it was very clear that AL- Baqilani was effected by the tendency of Al-Ash'arieyah, because searching in the inimitability of quran depends on the the mental pursuasing and verbal convesating, depending on rhetoric, so he was effected by Al-Ash'arieyah, because Al-Ash'arieyah were interested in the mentality to defend the simplicity of the Islamic believe as the Baqilani did.

This chapter is divided into two researches:

- the first research: the efforts of AL- Baqilani in the rhetorical research.
- The second research: the effect of the Al-Ash'arieyah terdency in inimitability.

The third chapter was specialized to make comparison between AL- Baqilani and AL- Rummani and to know issues they agreed on and disagreed whith knowing the secrets of quran's inimitability

though the two introduction for the two books were iclentified, and the concepts of inimitability were studied as well, then the study went to go through the imitation and metaphoric and how both scientists were dealing with them, then there was a very wide study for the idioms that were used according to each scientest and how they defendect their thoughts,

Then the study showed the method that was conducted and how the intellectual idioms played avery important role during this research.

The study was finished by a group of notices that study came after the which perform for us the specifications of both AL-Rummani and AL-Baqilani to discover the secret of the inimitability of quran.

أولاً:- المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد جمال العمري، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، د.ط، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، د.ت.
- أحمد جمال العمري، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى نهاية القرن السادس الهجري**، د.ط، دار المعارف القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- أحمد أبو زيد، **المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن**، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- أحمد سيّد محمد عمّار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي**، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- أحمد محمود صبحي، **في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (الأشاعرة)**، د.ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ)، **مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلّين**، عنى بتصحيحه هلموت ريُتر، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **الإبانة عن أصول الديّانة**، تحقيق فوقيه حسين محمود، دار الكتاب، القاهرة، د.ت، ج١.
- ابن أبي الإصبع، أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد (ت٦٥٤هـ)، **بديع القرآن**، تحقيق حفنى محمد شرف، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي (ت٦٣١هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، ضبطه إبراهيم العجوز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- امرئ القيس، جندح بن حجر، **ديوان امرئ القيس**، شرح وتقديم حنا الفاخوري، د.ط دار الجيل بيروت، د.ت.

- أمير مهنا وعلي خريس، **جامع الفرق والمذاهب الإسلامية**، ط٢، المركز الثقافي العربي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- أمين الخولي، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ط١، دار المعرفة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب ت(٤٠٣هـ)، **إعجاز القرآن**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط٤، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان،د.ت.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب، **التقريب والإرشاد الصغير**، تحقيق عبد الحميد علي أبو زنيد، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق عماد الدين أحمد حيدّر، ط٣، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان،١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيّب، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، تحقيق محمد زغلول سلام، د.ط، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت.
- البحتري، عبادة الوليد بن عبيد، **ديوان البحتري**، شرح وتقديم حنا الفاخوري، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مجلد٢.
- البدراوي زهران، **ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بيّن القدماء والمحُدثين**، ط١، دار المعارف، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- بدوي طبانة، **البيّان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى**، ط٧، دار المنّارة، جدّه، دار الرفاعي - الرياض، د.ت.
- بشار بن برد، **ديوان بشار بن برد**، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مجلد٢.
- بسيوني عبد الفتاح فيّود، **دراسات بلاغية**، ط١، مطبعة السعادة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، **أصول الدين**، د.ط، دار زاهد القدسي، د.ت.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، **الفرق بيّن الفِرق**، تحقيق مُحي الدين عبد الحميد، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- التغلبي، عمرو بن كلثوم، **ديوان عمرو بن كلثوم**، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج١.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج١.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت٤٧١هـ)، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، الشيخ أسامه صلاح الدين، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، صحح أصله الأستاذ الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، د.ط، مكتب العالم بالجيزة، د.ت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النّجار، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت٤٠٠هـ)، **الصحّاح تاج اللغة وصحاحُ العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله (ت٤٧٨هـ)، **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، تعليق زكريا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، تحقيق فوقية حسين محمود، راجع التحقيق محمود الخفيري، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- حسن صادق، **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الحلي، عبد العزيز بن سرايا (ت٧٥٠هـ)، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع**، تحقيق نسيب نشاوي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- حمزة الدمرداش زغلول، **نشأة الفنون البلاغية**، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن "ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"**، حققها وعلق عليها محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٣.
- الخيّاط، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد (ت٣٠٠هـ)، **الانتصار والرد على ابن الرّوندي الملحد**، تحقيق الدكتور نيبرج، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.
- رابح دوب، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ)، **أساس التقديس في علم الكلام**، دراسة محمد العُريبي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر، **مُحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتقدمين**، تقديم سميح دغيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٣٢جزءً**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر، **نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز**، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي، د.ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الرُمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ)، **النكت في إعجاز القرآن "ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"**، حققها وعلق عليها محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- الزبيدّي، محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، د.ط، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج٤.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧، ج٢.

- ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٤م، ج٤.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٣٥٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ج١.
- سعد الدين السيّد صالح، **المُعجزة والإعجاز في القرآن الكريم**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- سعد سليمان حمودة، **البلاغة العربية**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت٦٢٦هـ)، **مفتاح العلوم**، علّق عليه نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- السيّد عبد الغفار، **القرآن الكريم تاريخيته، ولغته**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن بالهامش "إعجاز القرآن" للباقلاني**، د.ط، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، د.ت، ج٢.
- شلتاع عبود، **الإعجاز القرآني أسلوباً ومضموناً**، دار المرتضى، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن (ت٥٤٨هـ)، **المِلل والنحل**، تحقيق أميّر مهنا، علي حسن فاعور، ط٦، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- شوقي ضيف، **البلاغة تطور وتاريخ**، ط٨، دار المعارف، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- صلاح الدين أحمد مقبول، **زوابع في وجه السنّة قديماً وحديثاً**، د.ط، دار عالم الكتب، الرياض، د.ت.
- صلاح عبد الفتّاح الخالدي، **البيان في إعجاز القرآن**، ط١، دار عمّار، عمّان، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- عبد الجواد محمد طبق، **دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية**، ط١، دار الأرقم، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- عبد الرؤوف مخلوف، **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن: دراسة تحليلية نقدية**، د.ط، دار ومكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- عبد الغني محمد سعد بركة، **الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- عبد الفتّاح لاشين، **من أسرار التعبير في القرآن (الفاصلة القرآنية)**، د.ط، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- عبد القادر حسين، **القرآن والصورة البيانية**، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- عبد الكريم الخطيب، **الإعجاز في دراسات السابقين "دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها"**، ط٢، دار المعرفة للطباعة، بيروت- لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- عبد الله بن علي بن سالم الرويشدي، **الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم**، ط١، معهد القضاء الشرعي، عُمان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- عبد الله علي محمد حسن، **دراسات حول أسلوب التشبيه وآيات الوحدانية**، د.ط، مركز فجر، القاهرة، د.ت.
- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، **مجاز القرآن**، تحقيق مصطفى بن الحاج، ط١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- علي أحمد مزاج علي، **الإعجاز والبيان في قصص القرآن**، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- علي البدري، **علم البيان في الدراسات البلاغية**، ط٢، د.ن، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- علي الجارم ومصطفى أمين، **البلاغة الواضحة (البيان والمعاني البديع)**، تدقيق أشرف محمد عبد، ط١، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ)، **الصناعتين**، تحقيق مفيد قميّحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨٧م.
- علي مهدي زيتون، **إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي**، ط١، دار المشرق، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- عمر السّلامي، **الإعجاز الفني في القرآن**، د.ط، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

- عمر الملا حويش، **إعجاز القرآن وعلم المعاني**، د.ط، مكتبة الفلاح، الكويت، د.ت.
- فتحي عبد القادر فريد، **بحوث ومقالات في البلاغة**، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- فضل حسن عباس، **إعجاز القرآن الكريم**، ط٣، مكتبة دار الفرقان، إربد، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- فضل حسن عباس، إتقان **البرهان في علوم القرآن**، ط١، مكتبة دار الفرقان، إربد، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج١.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان البديع)**، تحقيق عبد القادر حسين، د.ط، مكتبة الآداب، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- محمد بركات حمدي أبو علي، **البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل**، ط١، دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- محمد بركات حمدي أبو علي، **دراسات في الإعجاز البياني**، د.ط، دار وائل للنشر، عمان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- محمد بركات حمدي أبو علي، **أصول النظرية البلاغية**، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- محمد حسين سلامة، **الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم**، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- محمد حسين علي الصغير، **مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية**، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري**، تقديم محمد خلف الله أحمد، ط٣، دار المعارف، د.ت.

- محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى القرآن**، د.ط، دار الفكر العربي، د.ت.
- المحمدي عبد العزيز الحناوي، **دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن**، ط١، دار الطباعة المحمديّة، الأزهر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- محمد عزيز نظمي سالم، **إبراهيم بن سيّار النظّام والفكر النقدي في الإسلام**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- محمد عللوه، **الإعجاز القرآني والتقدم العلمي**، ط١، دار الإشراق، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- محمد بن علي بن محمد الصامل، **المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة**، ط١، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- محمد محمد أبو موسى، **الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم**، ط١، مكتبة وهبة، مصر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- محمود أحمد نحلة، **في البلاغة العربية (علم المعاني)**، ط١، دار العلوم، العربية، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط٨، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مصطفى الصاوي الجويني، **بلاغة العرب في بيئات الإسلام**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.
- منير سلطان، **إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة**، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- منير سلطان، **مناهج في تحليل النظم القرآني**، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مهدي صالح السامرائي، **تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية**، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

- مهدي صالح السامرائي، **المجاز في البلاغة**، ط١، دار الدعوة، حماة – سوريا، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
- نصر حامد أبو زيد، **مفهوم النص دراسة في علوم القرآن**، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- نصر محمد نصر القاضي، **موقف أهل السنة من الفرق**، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- نواف قوقزة، **التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد**، ط١، وزارة الثقافة، عمان – الأردن، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- الهمذاني، عبد الجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ)، **شرح الأصول الخمسة**، تعليق أحمد بن أبي هاشم، وتحقيق عبد الكريم عثمان، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٧م.
- وليد قصّاب، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري**، د.ط، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- اليمني، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٧هـ)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، د.ط، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، د.ت، ج٣.
- يوسف هزايمة، **من علوم القرآن**، ط١، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

ثانياً:- الدوريّات

- شوقي ضيف، "**عقيدة الموحدين بين التشيع والاعتزال**"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مجلد ٧٦، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- عوض بن معيوض الجميعي، "**البلاغة العربية وعلم الأسلوب**"، مجلة كلية اللغة العربية، عدد ١٤، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

ثالثاً:- الرسائل الجامعية

- أحمد ياسوف، "**جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير**"، رسالة ماجستير، كلية الآداب (الدراسات الأدبية)، الجامعة الأردنية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- محمد رمضان عبد الله، "**الباقلاني وآراؤه الكلامية**"، رسالة دكتوراه منشورة، الجمهورية العراقية – بغداد، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

رابعاً:- المراجع الأجنبية

- Amir Ali, **The Spirit of Islam**, London Christopher's, 1923.
- Muir, Sir W, **Mahomet and Islamic**, London. RTS.